تاريخ المصريين ١٥٢

الطبقات الشعبية
في القاهرة المملوكية
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

د. محاسن محمد الوقاد



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

تاريخ المصريين

(١٥٢)

تصدر عن
الهيئة المصرية العامة للكتاب



الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

د. مجاسن محمد الوقاد

الاشراف الفنى :

محمــود الجــزار

تقـــــديم

يسرني ان اقدم للقارىء الكريم هذا الكتاب عن « الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية » الذى كتبته الدكتورة محاســـن الوقاد . والكتاب فى الأصل رسالة علمية حصلت صاحبتها على درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامى من كلية الآداب جامعة عين شمس . وقد سبق لهذه السلسلة ان نشرت لنفس المؤلفة رسالتها للدكتوراه عن « اليهود فى مصر المملوكية » . فهى — على هذا النحو — متخصصة فى مصر المملوكية ، واعمالها العلمية فى هذا العصر المملوكى تعد اعمالا موثوقا بها من الناحية العلمية ، كما ان تخصصها فى التاريخ الاجتماعى يعطيها أهمية خاصة .

والكتاب الذى بين ايدينا يتكون من ثلاثة فصـــول ، وقد مهدت له بمدخل استعرضت فيه اوضاع الطبقات الشعبية فى القاهرة فى العصرين الفاطمى والأيوبى ، بعد ان حددت المقصود بالطبقات الشعبية التى تنوى دراستها ، والتى قصـــدت بها مختلف شرائح الحرف والصنائع وصغار التجار والباعة والسوقة والمكاريين ، وصـــولا فى النزول الى الشطار والحرافيش والمناسر وغيرهم .

وفى الفصل الاول تناولت تجمعات الطبقات الشعبية بالقاهرة المملوكية ، فتحدثت عن الأسواق والوكالات والمساجد والخانقاوات ومجالس الذكر واحياء الطبقات الشعبية .

أما الفصل الثانى فتناولت فيه الأوضاع الاقتصادية للطبقات الشعبية ، وسياسة الدولة حيالهم ، فتحدثت عن الحرف والصناعات ،و نظام طوائف الحرف ، وصغار التجار ، كما تناولت فئة الشطار من أهل الدعارة والنهب واللصوصية ، والعيارين من باعة الأسواق الفقراء ، والحرافيش الذين هم ادنى طبقات المجتمع ، وهم أصحاب الحركات الشعبية ، واهل الفتوة ، وغيرهم .

أما الفصل الثالث ، فتناولت فيه الدكتورة محاسن الوقاد عادات وتقاليد الطبقات الشعبية فى مصر المملوكية ، فتحدثت عن الاحتفالات والاعياد الدينية للمسلمين والنصارى واليهود ، والمآتم ، ووسائل اللهو والتسلية ، والمتنزهات ، كما تحدثت عن المعتقدات الباطلة فى هذا العصر .

والكتاب بذلك يرسم صورة بانورامية للطبقات الشعبية فى العصر المملوكى ، واوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ، وهو بذلك جدير بالقراءة .

والله الموفق ،،،،

رئيس التحرير

أ . د . عبد العظيم رمضان

المقدمــة

على الرغم من تقدم الدراسات التاريخية التى تبحث فى عصر سلاطين المماليك وشمولها لكثير من الموضوعات ذات الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ، فان دراسة موضوع الطبقات الشعبية فى القاهرة فى ذلك العصر يكتسب أهميته من عدة اعتبارات يمكن تلخيصها فيما يلى :

أولا : حدوث منعطف تاريخى فى ذلك العصر يتمثل فى انتقال الحكم من الأيوبيين الى المماليك الأمر الذى كان له تأثيره المهم ليس فى التاريخ المصرى فحسب بل فى تاريخ شعوب البحر المتوسط فضلا عن الشرق الاسلامى قاطبة .

ثانيا : بروز الحاجة الماسة لدراسة الطبقات الشعبية فى القاهرة باعتبارها احدى القوى الاجتماعية التى تعرضت للتجاهل من قبل المؤرخين الذين طالما اهتموا بالتاريخ للحكام والسلاطين واهملوا تاريخ هذه الطبقة الذى يشكل عصب الواقع التاريخى للقاهرة فى ذلك العصر .

ثالثا : وقد ترتب على هذا الاهمال من قبل معظم المؤرخين بهذه الطائفة من أهل القاهرة ظهور توجه جديد بين بعض الباحثين

المحدثين لدراسة دور الطبقات الشعبية من الحواضر الاسلامية بما فيها القاهرة ، ويمثل هذا التوجه دراستان :

أولاهما للدكتورة حياة ناصر الحجى التى تناولت بالدراسة موضوع « احوال العامة فى حكم المماليك »(١) ، والأخرى للأستاذ علاء طه رزق تناول فيها بالدراسة عامة القاهرة فى عصر دولة المماليك(٢) .

الا أن هاتين الدراستين اهملتا بعض الابعاد الاجتماعية والاقتصادية والدينية التى ميزت أوضاع الطبقات الشعبية فى القاهرة فى عصر دولة سلاطين المماليك ، فضلا عن اغفالهما لبعض الشرائح الاجتماعية الاخرى نحو الشطار والعيارين والحرافيش والزعر والعياق والمناسر التى تدخل ضمن التركيب الاجتماعى لأهل القاهرة فى ذلك العصر ، ومن هنا تأتى اهمية هذه الدراسة التى تستهدف تقديم صورة واضحة لاحوال الطبقات الشعبية فى القاهرة فى الفترة من ٦٤٨ هـ — ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ — ١٥١٧ م .

رابعا : ان محاولة دراسة التاريخ الاجتماعى للطبقات الشعبية تعترضها عدة معوقات من اهمها انه لا يمكن دراسة الوضع الاجتماعى للعامة بمعزل عن التطور الاقتصادى للمجتمع المصرى بصفة عامة ولاهل القاهرة على وجه الخصوص ، ونحن نعلم مدى ضآلة المعلومات التى تغطى هذين الجانبين معا ، ومن ثم يمكن تجاوز هذه الاشكالية بالرجوع الى كتب الطبقات والرحالة وكتب الحسبة والتراث الشعبى .

وقد لوحظ تناول بعض المصادر التاريخية لبعض أوضاع الطبقات الشعبية بغير موضوعية ، وقد يرجع السبب الى سياسة القهر وطبيعة الحكم الاستبدادى لمعظم سلاطين المماليك فى تلك

الأونة ، ومن هنا فان التناول الموضوعى لهذه الأوضاع يطرح عدة ملاحظ مهمة تضفى على الدراسة مزيدا من الاهمية ، خاصة وانه كلما زادت الاشكاليات زادت فرص الباحث فى محـــاولة الرصد واقتراح الحلول لها .

وايجاد حلول للاشكاليات المطروحة فى مختلف اقسام هذا البحث يستلزم اتباع منهج معين وقد آثرت ان يشتمل هذا المنهج على رصد المعلومات من اجل تكوين هيكل أولى للموضوع يشمل ما يخص الطبقات الشعبية من احوال سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية حتى نهاية العصر المملوكى ، ثم اتباع المنهج التاريخى فى استقصاء دور الطبقات الشعبية فى القاهرة منذ بداية العصــــر المملوكى وحتى نهايته مع توضيح اهم المنعطفات والتحولات التى مرت بها هذه الطبقات .

ومن ثم اخلص الى الاسلوب الوصفى التحليلى فى تفسير جوانب الأوضاع السياسية والاقتصـــادية والاجتماعية والدينية للطبقات الشعبية ، وتحديد دورهم فى السياق التاريخى المناسب .

وعلى ضوء هذا المنهج قسمت هذه الدراسة الى ثلاثة فصول مسبوقة بمدخل مهدت فيه بدراسة احوال الطبقات الشعبية فى القاهرة فى العصرين الفاطمى والايوبى فضلا عن حصـــر اماكن تجمعهم وتتبع ما طرا على ظروفهم من تغير ابان هذين العصرين .

اما الفصل الاول ، فقد تناولت فيه الدراسة ملامح من حياة الطبقات الشعبية فى القاهرة فى عصر سلاطين المماليك وذلك من خلال استعراض اماكن تجمعهم فى الاسواق للبيع او الشراء أو التنزه ومشاهدة ما يعرض فيها من بضائع ، وأماكن تجمعهم فى الوكالات والفنادق والخانات للعمل كحمالين ، ثم انتهيت الفصـــل بدراسة احياء الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية .

واشتمل الفصل الثانى وعنوانه « الحالة الاقتصادية للطبقات الشعبية وسياسة الدولة حيالهم » دراسة حرف الطبقات الشعبية بالاضافة الى صغار التجار ، ثم استعرضت احوال طبقات الشطار والعيارين والحرافيش والزعر والعياق والمناسر واهل الفتوة ، وانهيت الفصل بالحديث عن المنقطعين للعبادة .

ثم بحثت فى الفصل الثالث « عادات وتقاليد الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية » واشتمل على الاحتفالات الدينية والأعياد والمناسبات التى كانت تشارك فيها الطبقات الشعبية ، ووضحت تأثير هذه العادات والتقاليد فى الجوانب الاجتماعية والدينية والاقتصادية لهذه الطبقات ، كما تضمن هذا الفصل دراسة وسائل التسلية لدى الطبقات الشعبية فى القاهرة فى ذلك العصر ، وظاهرة الاعتقاد فى الاولياء والمشايخ ، الى جانب بعض المعتقدات الباطلة التى تفشت فى اوساط هذه الطبقات ، وقد انهيت هذه الدراسة بخاتمة احملت فيها اهم النتائج التى توصلت اليها من خلال دراسة القضايا المطروحة بها .

واشتملت المصادر التى استندت اليها الوثائق والمخطوطات ثم المصادر ذات الصلة بموضوع الرسالة فضلا عن المراجع .. وكما هو واضح فالوثائق تاتى فى المقام الاول بين مصادر التاريخ الاسلامى لأى عصر من العصور ، لانها تحتوى على مادة تاريخية حية غير قابلة للتحريف(١) ، كما انها تمثل قيمة تاريخية نادرة يعتمد عليها فى الدراسات التاريخية الاسلامية فهى شاهد عيان ، وتصلنا مباشره بالعصر واحداثه ، ولذلك فهى ضرورية فى دراسة التاريخ الاسلامى ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، وتتمثل اهميتها ايضا فى قرب مؤلفيها من الاحداث ووصفهم بدقة المظاهر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى عصرهم ، بالاضافة الى مشاركتهم فيها بحكم توليهم بعض المناصب الحكومية . » »

واهم الوثائق التى اعتمد عليها البحث وثيقة السلطان بيبرس الجاشنكير ووثيقة السلطان برقوق(٢) .

ومن المخطوطات المتصلة بالعصر المملوكى التى افاد منها البحث ، مخطوط « قطف الازهار من الخطط والآثار » لمحمد بن ابى السرور زين العابدين(٣) ، وهذا المخطوط افدت منه افادة كبيرة فى بعض جوانب البحث وبخاصة فيما يتعلق بوصفه لأسواق القاهرة . ومن الملاحظ على هذا المخطوط التشابه الكبير بين ما تضمنه من معلومات عن طوبوغرافية القاهرة وامحيائها وبين الموضوعات التى تناولها المقريزى فى خططه ، الى حد انه يكاد يكون صورة طبق الأصل من كتاب الخطط للمقريزى .

وقد افدت ايضا من بعض المخطوطات التى تناولت موضوع الفتوة ، ومن هذه المؤلفات مخطوط « الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان » لادريس من بيدكين التركمانى(٤) ، الذى تحدث فيه عن الفتوة واطوارها ، ورسالة فى الفتوة لمجهول ، وغيرها من المخطوطات المذكورة فى اسانيد البحث وفى ثبت المخطوطات والمصادر والمراجع .

ومن ابرز هذه المصادر التاريخية التى اعتمد عليها البحث كتاب صبح الأعشى فى صناعة الانشاء للقلقشندى(٥) ، وهو يعد من ابرز الموسوعات فى العصر المملوكى ، وهذا الكتاب يقع فى اربعة عشر مجلدا فى فنون كثيرة من التاريخ والأدب ووصف البلدان والممالك . وقد افاد منه البحث فى مواضع كثيرة مثل وصف القلقشندى للقاهرة وتدهور مكانتها بفعل ما اصابها من الاوبئة والمجاعات ، ثم اشارته الى الاجراءات التى اتخذها صلاح الدين لتعضيد المذهب السنى والقضاء على المذهب الشيعى ، ثم اشارته

ايضا الى بعض الوظائف فى العصر المملوكى والتى وردت فى البحث مثل وظيفة المليبة(٦) والاستادارا(٧) ، كما افاد من حديث مؤلفه أيضا عن أعياد اهل الذمة واحتفالاتهم ، ومن بعض الأحياء التى تواجدت بها الطبقات الشعبية كحى الحسينية وملب اللوق .

ومن اشهر هذه المصادر ايضا « كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب »(٨) للنويرى ، وقد احتوى هذا الكتاب على معلومات وافية افادت الدراسة وبخاصة فيما يتعلق بأهل الذمة واحتفالاتهم بأعيادهم ، وفيما يتصل بحديثه عن بعض وسائل التسلية التى كانت سائدة فى تلك الوقت مثل الألغاز والأحاجى . »

وهناك مجموعة من المصادر اطلق عليها المصادر المتأخرة تناولت العصر المملوكى ، ولا يمكن لدارسى تاريخ المماليك الاستغناء منها . ومعظم هذه المصادر وضعها مؤرخون عاشوا فى عصر دولة المماليك الجراكسة (العصر الثانى) اى فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، وهؤلا المؤرخون اعتبروا العصر الأول رمزا للازدهار والتقدم والرقى فى شتى المجالات على حين رأوا فى العصر الثانى عصر المماليك الجراكسة صورة للاضمحلال والفساد الذى استشرى فى مختلف أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية . »

والحقيقة ان هؤلاء المؤرخين يمثلون مدرسة للفكر التاريخى بمصر فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) تزعمها المقريزى(٩) ، الذى يعد من اعظم مؤرخيها جميعا واغزرهم مادة واقواهم عرضا .

ويعد كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » من من اشهر مؤلفاته التى اعتمد عليها هذا البحث وافاد منها كثيرا ،

وقد صدر الكتاب بمقدمة جغرافية تاريخية مسهبة ، وتناول المدن والآثار المصرية القديمة وعنى عناية خاصة بخطط الفسطاط والقاهرة ، وطرق المعيشة بأرجائها الواسعة ، وقدم معلومات وافية أفادت البحث افادة كبيرة ، ولا سيما الجزء المتعلق بالوكالات والفنادق والخانات والأسواق والخانقاوات(١٠) .

ويعتبر كتاب « السلوك فى معرفة دول الملوك » للمقريزى ايضا من المصادر التى أمدت هذا البحث بمعلومات مهمة فى مواضع عديدة ، مثل اشارته الى المكوس التى كان يفرضها السلاطين على الطبقات الشعبية ثم تراجعهم تحت تأثير تمرد وعصيان هذه الطبقات ومثل حديثه عن دوران المحمل الذى كان من المشاهد المحببة لدى تلك الطبقات ، وكوصفه للمفاسد التى كانت تحدث فى مثل هذه المناسبات اختلاط الرجال بالنساء مما حدا بالمحتسب الى اصدار اوامره بمنع النساء من الجلوس بالحوانيت انتظارا للمحمل . وبناء على ما ذكره المقريزى امكننى التعرف على بعض وسائل التسلية التى كانت تنتشر فى ذلك العصر وتلهو بها الطبقات الشعبية مثل العاب الدبابة القرادة والحواة والعاب البهلوانية .

· وكتاب (اغاثة الأمة بكشف الغمة »(١١) ، للمؤلف نفسه ايضا تناول فيه تاريخ المجاعات التى حلت بمصر منذ اقدم العصور الى سنة ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م ، واتضح له ان اسباب ما يحل بالناس من مجاعات وطواعين انما هو « سوء تدبير الزعماء والحكام ، وغفلتهم عن النظر فى مصالح العباد »(١٢) . كما ذكر المقريزى التقسيم الطبقى للمجتمع فى عصر سلاطين المماليك ورتب الطبقة الارستقراطية المملوكية على قمة درجات السلم الاجتماعى .

اما عن الأسباب التى دفعت المقريزى الى تأليفه هو المجاعة المتقطعة التى حدثت فى عصره من عام ١٣٥٥/٧٥٦ م الى عام

٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م فرای ان من واجبه أن يبين أسبابها ، بالاضافة الى وفاة ابنته الوحيدة فى طاعون عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م . وقدم المقريزى فى كتابه هذا معلومات قيمة أفادت الدراسة ، ولاسيما فيما يتعلق بالأوبئة والمجاعات التى حدثت فى تلك الآونة .

وكتاب « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » للمؤرخ ابن تغرى بردى(١٣) ، الذى اتبع أسلوب المقريزى ونمطه فى التحصيل والكتابة الغزيرة واجتهد فى ذلك ، فضلا عن معرفته باللغة التركية ، ويعد كتابه على جانب كبير من الاهمية لقد تضمن تاريخ مصر من الفتح الاسلامى الى عام ٨٧٢ هـ/١٤٦٧ م ، وقد جعل المؤلف كل عصر من عصور الملوك والسلاطين فصلا قائما بذاته ، وذكر السنين وحوادثها وتراجمها تباعا غير انه يجعل لها عناوين مستقلة(١٤) ، وقد اضاف هذا المصدر الكثير الى هذا البحث وبخاصـــة فيما يتعلق بالخانات والوكالات والفنادق وفيما يتصل بحديثه عن الحرافيش والزعر والعياق والمناسر .

وكتاب « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » لابن اياس(١٥) ، احد المصادر المهمة لعصر سلاطين المماليك الجراكسة ، وأوائل العصر العثمانى بمصر ، وقد افاد البحث منه ، فقد أورد تفاصيل فى غاية الدقة عن ظاهرة البذل والبرطلة التى تفشت فى دولة المماليك وبخاصة فى عصرها الثانى وغيرها مما كان سائدا ابان ذلك العصـــــر .

ومن المصادر المهمة التى انتفع البحث بها كتاب « معـــالم القربة فى احكام الحسبة » لضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد القرشى المعروف بابن الاخوة (٧٢٩ هـ/١٣٢٩م) . فقد أوضـــح مؤلفه أن منصبى القضاء والحسبة كانا من اجل المناصب الدينية ،

ونبه الى خطورة وظيفة المحتسب ، وتناول الشـــــروط الواجب توافرها فيمن يتولى هذا المنصب وأوضح واجباته نحو المجتمع من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى تولى امور الرعيـــــة ، وقد قدم معلومات وافية افادت الدراســة ، وبخاصة فيما يتعلق بحرف الطبقات الشعبية .

واعتمد البحث فى بعض جوانبه على كتاب « المدخـــل الى الشرع الشريف » لابن الحاج(١٦) (٨٣٧ هـ/١٤٣٣ م) ويعد هذا الكتاب على جانب كبير من الاهمية لما تضمنه من أوجه النقد لمختلف نواحى الحياة من فساد وانحلال دينى واخلاقى ، وســـــخرية من الأوضاع القائمة ابان عصر المماليك .

وكتاب « معيد النعم ومبيد النقم » للسبكى(١٧) ، من كتب النقد الاجتماعى ايضا التى تناول فيها المؤلف العلاقات الاجتماعية والسلوك الخارج عن الشرع وطرق الاصلاح ، كما اشـــــار الى الأنشطة المختلفة لاهل الدولة من الامراء واهل العلم والقضاه والدين ، وذكر الحرف كما تحدث عن أخلاق أربابها وارجع المؤلف النقم التى تحل بالمسلمين الى الانحراف والفساد بين الســـــلاطين والامر على حين ان الطبقات الشعبية تعانى من الفقر والجوع والجوع والعوز ، وقد استفاد البحث من هذا المصدر ايما افادة فقد اعتمدت عليه فى بعض المواضع وبخاصــة فيما يتعلق بحرف الطبقات الشـــــعبية .

وتعد كتب الطبقات والتراجم من المصادر المهمة التى تكمل اوجه القصور فى بعض المصادر التاريخية الأخرى ، اذ أنها تتتبع الاشخاص وتترجم لهم فى حياتهم العلمية والخاصــــة وتبرز مدى مشاركتهم فى أوجه النشاط الانسانى والعلاقات الاجتماعية والحياة السياسية ودورهم فى الحياة العلمية والدينية ، فهى بذلك تقدم

معلومات وافية قيمة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ومن كتاب التراجم المهمة التى افادت البحث فى بعض جوانبه كتاب « الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة » لشهاب الدين بن على ابن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٣ هـ/١٤٤٩ م .

والجدير بالذكر ان المصادر السابقة جاءت جنبا الى جنب من حيث الفائدة مع كتب اخرى لم تختص بدراسة التاريخ المملوكى ولكنها تلقى الضوء على بعض فروع البحث ومن ذلك كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » للمسعودى(١٨) ، الذى اورد مؤلفه معلومات مهمة من فئة الشطار والعيارين افاد منها البحث .

كما كان لكتب الرحالة اهمية كبيرة فى الوقوف على كثير من التفاصيل ، وخاصة فيما يتصل بالنواحى الاقتصادية والاجتماعية والدينية .

ويعد كتاب « الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر للبغدادى(١٩) من الكتب المهمة فقد وصف مؤلفه اسواق مصر ابان العصر الايوبى وصفا دقيقا أضاف الى البحث معلومات مهمة .

وكتاب « سفرنامة » لناصر خسرو(٢٠) المتوفى سنة ٤٨١ هـ/١٠٨٨ م . فقد امدنى هذا الكتاب بوصف عن اهم اسواق مصر وحالة الامن التى كانت عليها تلك الأسواق آنذاك ، كما اشار مؤلفه الى ازدهار صناعة الفخار فى العصر الفاطمى ، وذكر كثيرا من مظاهر الحياة الاجتماعية بها .

وكتاب الرحلة المسماة « تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة(٢١) (٧٠٣ هـ/١٣٠٤ م) قدم لى

معلومات وافية قيمة افادت الدراسة ، وبخاصة فيما يتصل بالتصوف والمتصوفة .

كما استفاد البحث من مراجع كثيرة تناولت التاريخ الاجتماعي ابان عصر سلاطين المماليك ومن أهمها كتاب « المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك » للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، كما يعتبر كتاب « دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى » للدكتور قاسم عبده قاسم من المراجع المهمة التى استفاد منها البحث فى بعض فروعه .

وقد استعنت فى هذه الدراسة ببعض المراجع الأجنبيه ويجىء فى مقدمة هذه المراجع مقال :

«Le Visirat et les Visirs D'Egypte »

للأستاذ الدكتور أحمد عبد الرازق وهو احد المقالات المهمة التى افادت الدراسة افادة كبيرة ، فى تتبع ظاهرة الرشوة (البذل والبرطلة) التى استشرت بصورة واضحة بين الطبقات العليا ومنها الى الطبقات الشعبية . ومن هذه المراجع أيضا مقال للمؤلف نفسه بعنوان «La Hisba Et le Muhtasib en Egypt» وقد عرض هذا المقال لدور المحتسب منذ العصر الاسلامى وحتى عصر المماليك وتضاءل مكانة هذه الوظيفة فى العصر الثانى ، وارتباط الحصول عليها بدفع مبالغ مالية محددة ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تولى هذا المنصب غير الاكفاء مما ادى تدهورها وانحطاطها .

ومن ابرز هذه المراجع الأجنبية : «A History of Egypt» للين بول (Lane — Poole) وقد افدت منه فى تقسيمات المجتمع . ويعد كتاب «The Mohammedan Dynasties» للمؤلف نفسه من اهم الكتب التى افادت منها هذه الدراسة ايضا . فقد تناول هذا الكتاب تاريخ فترة المماليك البحرية ثم البرجية ، وقد ذكر المؤلف

فى كلتا الفترتين تاريخ تولى كل سلطان على حدة ، وبهذا افدت منه فى التسلسل التاريخى المقترن بفترات حكم سلاطين المماليك .

ويعتبر كتاب An Accaunt of the Manners and Customs» ومؤلفه (Clane-E-W) من الكتب المهمة ، فمن خلاله أمكنني التعرف على بعض الحرف التى زوالتها الطبقات الشعبية مثل حرفة السقائين والدايات ، وحديثه عن حصول السقائين على اجرهم من الاغنياء فى حين كانوا يسقون الفقراء مجانا او نظير قطعة من الخبز .

ولا يمكننا اغفال اهمية كتاب
«La femme au temps des Mamluks»
للأستاذ الدكتور أحمد عبد الرازق ، فقد أمكن من خلاله الوقوف على بعض الحرف ايضا التى عملت بها نساء الطبقات الشعبية مثل حرفة الداية والخاطبة والبلانات والماشطة والصائمة والدلالة وغيرها من الحرف التى كانت سائدة فى ذلك العصر .

كذلك لايفوتنا الاشارة الى مقال «Les Mosquees du Caire» (ومؤلفه (Wist) الذى افاد الدراسة كثيرا خاصة فيما يتعلق بالحصول على الطعام . فقد أشار هذا الكتاب الى ان الغالبية العظمى من سكان القاهرة وفى مقدمتهم الطبقات الشعبية كانت تشترى طعامها من الاســـــواق او تتناوله فى المطابخ التى كانت منتشرة فى القاهرة على عصر سلاطين المماليك .

كذلك من هذه المراجع مقال
The Arabic shadow play in Egypt
(للمؤلف (Poul-Kahle) ، وقد اعانني على التعرف على وسائل التسلية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت ومنها خيال الظل الذى كان يعد وســــيلة التسلية المفضلة لدى جميع الطبقات . كما

ساعدنى هذا الكتاب فى معرفة تتبع نشأة هذا الفن وموقف سلاطين المماليك منه .

ولا يمكننا ايضا اغفال اهمية دائرة المعارف الاسلامية التى افدت منها فى مختلف جوانب هذه الدراسة .

واخيرا لا يسعنى الا ان أتقدم بخالص شكرى وعميق تقديرى لاستاذى الدكتور احمد رمضان احمد استاذ تاريخ العصور الوسطى ، الذى اشرف على هذا البحث منذ ان كان مجرد فكرة إلى ان خرج فى هذه الصورة التى احسبها لائقة ، وصوب ما وقعت فيه من اخطاء وتجشم عناء الدرس والقراءة والتوجيه العلمى لى طوال فترة الاشراف وكان خير مرشد لى ومعين ، فجزاه الله عنى وعن كل الزملاء خير الجزاء .

كما اتوجه بخالص تقديرى وشكرى وعرفانى الى الأستاذ الدكتور اسحق عبيد استاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ على ما بذله من جهد فى ترجمة بعض النصوص التاريخية المكتوبة باللغة الفرنسية ، وكذلك الدكتور الحسينى زغلول على ما قام به من ترجمة لبعض مراجع البحث المكتوبة باللغة الالمانية ، كما اتوجه بالشكر والتقدير الى الدكتور محمد ابراهيم الطاووسى بقسم اللغة العربية على تفضله بمراجعة الرسالة .

كما اتوجه بخالص شكرى وعرفانى الى كل من قدم لى يد العون من الاساتذة والزملاء داخل القسم وخارجه .

واخيرا اشكر اساتذتى الكرام اعضاء لجنة المناقشة أ . د احمد عبد الرازق احمد استاذ التاريخ والحضارة الاسلامية بجامعة عين شمس ، أ . د قاسم عبده قاسم ، استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الزقازيق على تفضلهما بقبول المشاركة فى مناقشة هذه الرسالة فجزاهم الله عنى خير الجزاء .

والله ولى التوفيق ،،

هوامش المقدمة

(١) حياة ناصر الحجى : أحوال العامة فى حكم المماليك ، دراسة فى الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية (٦٨٧ — ٧٨٤ ه/١٣٨٢ م) الكويت .

(٢) علاء طه رزق : عامة القاهرة فى العصر المملوكى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، كلية الآداب ، ١٩٨٩ .

(١) عبد المنعم ماجد : مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ، طبعة ١٩٥٣ ، ص ١٧ .

(٢) انظر الفصل الاول ص ٦١ ، ٦٦ .

(٣) انظر المدخل ص ٩ هامش (٣) .

(٤) انظر الفصل الثانى ص ١٤٠ .

(٥) هو أبو العباس القلقشندى المولود فى بلدة (قلقشندة) بمركز طوخ محافظة القليوبية ، ولد أبو العباس القلقشندى فى عام (٧٥٦ ه/١٣٥٥ م) واشتغل بالفقه وغيره وسمع من أبيه فى وقته ، وكان أحد الفضلاء ممن برع فى الفقه والأدب وكتب الانشاء ، ونابه فى الحكم .عمل صبح الأعشى فى صناعة قوانين الانشاء فى أربعة عشر مجلداً جمع فيه فأوعى وتوفى عام (٨٢١ ه/١٤١٨ م) . .أحمد رمضان أحمد ، تطور علم التاريخ الاسلامى ، ط ١٩٨٩ ، ص ٣٢٢ .

(٦) انظر المدخل ص ٢١ هامش (٧) .

(٧) انظر الفصل الأول ص ٥٣ هامش (٥)

(٨) هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم المعروف بشهاب الدين النويرى ، المولود بقرية (نويرة) ببنى سويف (٦٧٧ ه/١٢٧٨ م) ، وقد جمع فى موسوعته خمسة فنون الفن الأول : فى السماء والآثار العلوية والارض والمعالم السفلية ، والفن الثانى : فى الانسان وما يتعلق به ، والفن الثالث : فى الحيوان

الصليت ، والفن الرابع : في المباك ، والخامس في التاريخ ، وتوفى ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٢ م . خير الدين الزركلي :الأعلام قاموس تراجم ، ط بيروت ١٩٧٩ ، ح ١ ، ص ١٦٥ ؛أحمد رمضان : تطور علم التاريخ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٢١ .

(٩) هو أحمد بن علي المقريزي ، ولد بالقاهرة في حارة برجوان عام ٧٦٥ هـ/ ١٣٦٤ م ، وهي منطقة من أعظم مناطق القاهرة امتلاء بالعمران والصخب وضوضاء الحياة ، وقد تقلد طويلاً في عدة مناصب حكومية كبيرة مثل ديوان الانشاء بالقلعة ثم نائبا عند قاضي القضاة الشافعية ، ماماما لجامع الحاكم ، ومدرسا للحديث بالمدرسة المؤيدية ، ثم اختاره السلطان برقوق لوظيفة محتسب القاهرة ، ثم عمل بالتدريس في دمشق ، وعاد الى القاهرة ليتوفر على الدرس والاشتغال بالعلم ، ولاسيما التاريخ ، وتوفى ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م . محمد مصطفى زيادة : المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي القرن التاسع الهجري ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٧ الى ص ٦ ؛ انظر الفصل الاول ص ٥٥ هامش (٦) .

(١٠) انظر الفصل الاول .

(١١) طبعة القاهرة ١٩٤٠ .

(١٢) إنظر اغاثة الامة بكشف الغمة ، ص ٩ .

(١٣) وهو ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهري ، الذي ولد في القاهرة في عام ٨١٢ هـ/١٤١١ م من أم تركية كانت جارية لدى السلطان برقوق كذلك ملك والده كان موظفا في البلاط المملوكي ، وقد عاش المؤرخ في بحبوحة من العيش بصفته أحد ابناء الأمراء الذين عرفوا في ذلك الوقت باسم أولاد الناس ، وقد احتل ابو المحاسن مركز الصدارة بين المؤرخين بمصر بعد وفاة المقريزي ، أواسط القرن الخامس عشر الميلادي . مصطفى زيادة : المؤرخون في مصر ، ص ٢٦ ، انظر الفصل ص (١) .

(١٤) احمد عبد الرازق : دراسة في المصادر المملوكية ، ص ١٤٥ ، ص ١٤٧ ، زيادة . المؤرخون في مصر ، ص ٢٩ ، ص ٩٥ .

(١٥) هو محمد بن احمد بن ايلس المصري الحنفي ، ولد في القاهرة في عام ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م ، وابن ايلس شبيه بابي المحاسن من حيث ان كلا منهما سليل اسرة مملوكية ، وظل معظم حياته متمتعا باقطاع وافر ، فعاش حياة راضية ، مصطفى زيادة : المؤرخون في مصر ، ص ٢٩ ص ٩٥ ، احمد عبد الرازق : دراسة في المصادر المملوكية ، ص ١٤٥ ص ١٤٧ .

(١٦) انظر الفصل الأول ص ٣٦ هامش (٢) .

(١٧) انظر معيد النعم ومبيد النقم المقدمة ط ١٩٤٤ م .

(١٨) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، ولد بمدينة بغداد ، وقد ارتحل الى ايران (سنة ٣٠٥ هـ/٩١٧ م) ، ثم ذهب الى الهند والصين وفي طريق عودته زار عمان وزنجبار وسواحل افريقيا الشرقية والسودان ، ثم اتجه الى آسيا الصغرى وانطاكية عام (٣٣٧ هـ/٩٤٨ م) . كذلك زار بلاد الشام والعراق ثم انتهى به المطاف في مصر عام ٣٤١ هـ/٩٥٢ م التي بقي بها حتى توفي سنة ٣٤٥ هـ/٩٥٦م او سنة ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م . ويعد المسعودي من المؤلفين ذوي الثقافة المتنوعة الذين عاشوا في القرون الأولى للهجرة فهو لم يهتم بالجغرافيا والتاريخ اللذين ارتحل من اجلهما فحسب ، بل اهتم كذلك بعلم الكلام والأخلاق والسياسة وعلوم اللغة - احمد رمضان احمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع : جدة ، بدون تاريخ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٢ .

(١٩) ولد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في بغداد عام ٥٥٧ هـ/١١٦٢ م ، حيث بدأ دراسته الأولى بحفظ القرآن وسماع الحديث واللغة والنحو واجادة الخط وحفظ الشعر والمقامات ، فلما اكتملت ثقافته ارتحل الى اجزاء اخرى من العالم الاسلامي وفي مقدمتها مصر . وقد الف عبد اللطيف العديد من المصنفات العلمية ، اهمها كتاب « الافادة والاعتبار وبرغم الاختصار الملحوظ لرحلته الى وادي النيل في كتابه هذا الا انها تمتاز بدقة الوصف وشمولها لجميع مناحي الحياة العمرانية والاجتماعية ، احمد رمضان : الرحلة والرحالة ، ص ١٠٣ ، ص ١٠٤ .

(٢٠) انظر المدخل ص ٩ هامش (٥) .

(٢١) انظر الفصل الأول ص ٢٦ هامش (١) .

مدخــــل

الطبقات الشعبية فى العصرين الفاطمى والايوبى

المقصود بالطبقات الشعبية :

اغفل المؤرخ ابو المحاسن ابن تغرى بردى(١) فى تاريخه حياة الطبقات الشعبية من المصريين اغفالا تاما ، فنحن نجده يضن بمجرد الاشارة الى حياة الجماهير المصرية الا ما يرد عنها عفوا ، حين يعرض لمظاهراتهم عند استقبال السلاطين ، أو نهب الطبقات الشعبية لبيوت الأمراء المغضوب عليهم من السلطان ويعزى ذلك الى نظرته الاستعلائية المنبثقة من انتمائه الطبقى ، وحسبنا أن المصريين فى نظره كانوا مجرد « غوغاء »(٢) ، وحرافيش » أو عامة » على أحسن الأحوال(٣) .

وقد عرف البعض الطبقات الشعبية فى مصر سلاطين المماليك بأنهم جمهور كبير من العامة والسوقة والســـقائين والمكاريين والمعدمين او أشباه المعدمين(٤) . والبعض الآخر عرفهم بأنهم جميع الرعايا من سكان المدن باستثناء رجال القلم(٥) . وينكر احد الباحثين أن المقصود بالطبقات الشعبية هم اهل المهن والصنائع والتجار والخدم والجند واللصوص ، والعيارين والشطار(٦) .

وان كنت ارى ان المقصود بالطبقات الشعبية مختلف الشرائح من أهل الحرف والصنائع وصغار التجار والباعة والسوقة والسقائين والمكاريين والمشاعلية حتى نصل الى ادنى شريحة من شـرائح الطبقة الشعبية ممن لا عمل لهم من العاطلين نحو الشطار والعيارين والحرافيش والعياق والمناسر .

ولما كانت القاهرة قد اختطها الفواطم ، فقد رايت ان امهد بالحديث عن الطبقات الشعبية فى عصرهم ، وذلك من خلال رصد اماكن تجمعهم ثم ذكر ما قد طرا على احوالهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية من تطور ابان العصـــر الايوبى حتى يكون تناولى لموضوع الرسالة وهو « الطبقات الشـعبية فى القاهرة المملوكية » ٦٤٨ هـ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ واضحا جليا مع تجنب الاستطراد التاريخى الذى قد لا يمت بصلة وثيقة لما حددته من اطار منهجى للدراسة .

بعدما استتب الأمر للفاطميين فى شمال افريقيا ، اتجهوا بابصارهم الى مصر ، لما كانت تتمتع به من مكانة ممتازة وموقع جغرافى متميز الى جانب بعدها عن مركز الخلافة العباسية واتساعها وغناها ولأنها تصلح بمواردها الخاصة ان تكون مركزا لدولة مستقلة تستطيع فى اى وقت ان تناهض السلطة المركزية العباسية ، وان تقاومها من اجل الاحتفاظ باستقلالها(٧) ، ولهذا اسس جوهر الصقلى(٨) مدينة القاهرة(٩) ، عشية فتحه لمصر(١٠) .

وكان هدف جوهر من اختطاط القاهرة ان تكون حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر(١١) ، فلم يكن لقاطنى مصـر أن يدخلوا القاهرة الا باذن يسمح لصـاحبه بدخول احدى بوابات القاهرة ، وكانت اسوار القاهرة العالية وابوابها الضخمة تحجب .

الخليفة عن انظار شعبه(١٢) ، وبمرور الايام فاقت القاهرة الفاطمية بغداد العباسية ، وقرطبة الاندلسية وصارت قلب العالم الاسلامى(١٣) . وقد وصفها ابن سعيد حينما زارها فى هذه الفترة بأنها « مدينة رائعة تفنن الفاطميون فى بنائها وكانت مقرا لخلافتهم ومركزا للاشعاع العلمى والثقافى يشع على كل المناطق التابعة للخلافة الفاطمية فى مختلف انحاء العالم الاسلامى »(١٤) الى ان تدهورت مكانتها بفعل ما اصابها من الاوبئة والمجاعات(١٥) .

وقد كانت القاهرة مخصصة لسكنى الخليفة وحريمه وجنده وخواصه الى أن سكنها أمير الجيوش بدر الجمالى والى عكا ، اباح للناس على اختلاف طبقاتهم السكن بها ، وقد اهتم اهل القاهرة بعمرانها فاتسعت مساحتها وازدهرت مبانيها ، واستمرت القاهرة على هذه الحالة حتى نهاية الدولة الفاطمية وظهور نجم الدولة الأيوبية فى عام ٥٦٧ هـ/١١٧١ م(١٦) .

ويمكننا الوقوف على اماكن تجمع الطبقات الشعبية فى القاهرة الفاطمية بالتعرف على الأسواق(١٧) التى تواجدت فى تلك الفترة باعتبارها من الأماكن المهمة التى تلتقى بها مختلف فئات المجتمع على اختلاف تكويناتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وقد ارتبطت الطبقات الشعبية بهذه الأسواق ليس بهدف البيع والشراء فحسب ولكن للتنزه والترويح عن النفس ومشاهدة مايعرض فيها من مختلف انواع السلع والبضائع . والأسواق بما يعرض فيها من سلع ، وبمن يؤمها من تجار ، توضح الحالة التى وصلت اليها التجارة خاصة والحياة الاقتصادية عامة ، كما كانت الأسواق صورة للحياة العقلية والأدبية والاجتماعية للقاهرة فى تلك الفترة(١٨) .

وتعد الأسواق كذلك من الأماكن التي يحتفل بها أهل القاهرة من الطبقات الشعبية أعيادهم ، ففي عيد الخروج لسجن يوسف(١٩) كانوا يطوفون قبل موعد الاحتفال بهذا العيد بأسواق القاهرة بالطبول والأبواق لجمع الأموال التي ينفقونها في هذا لاحتفال من التجار(٢٠) .

ومن أسواق القاهرة في العصر الفاطمي سوق الشرايحيين(٢١) ، ويعتبر أول سوق أنشيء بالقاهرة في خلافة المعز لدين الله الفاطمي وذلك في عام ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م ، ويقع بين حارة الروم ويتصل بسوق الحلاويين ، وظل يعرف بسوق الشرايحيين حتى سكنه باعة الشواء(٢٢) ، فأصبح يعرف الشوايين ، وقد سكنه المتعيشين(٢٣) ، ثم انتقل سوق الشرايحيين الى خارج باب زويلة وعرف بالبطينين(٢٤) . ولما نقل أمير الجيوش بدر الجمالي باب زويلة اتسع المكان بين سوق الشراحيين وبين باب زويلة وصار يعرف بسوق المرابليين(٢٥) ، وقد وجدت في هذا السوق عدة حوانيت لعمل مناخل الدقيق والغرابيل ، ويقابلها في الناحية الأخرى عدة حوانيت لصنع الأغلاق المعروفة بالصبب(٢٦) . أما سويقة(٢٧) الصاحب(٢٨) فيمكن الدخول اليها من حي البندقانيين(٢٩) ومن باب الخوخة وهي من الأسواق القديمة ، وقد عرفت في الدولة الفاطمية بسويقة الوزير ثم عرفت فيما بعد بسويقة دار الديباج ، وقد ذكر المقريزي أن الديباج معنى دار الطراز والتي ينسج فيها الديباج والحقيقة تنافي ذلك(٣٠) .
وعرف هذا المكان كله بحي دار الديباج ، كما عرف في أواخر الدولة الفاطمية بالسوق الكبير ، ويعد هذا السوق من الأسواق الكبيرة التي يعرض بها مختلف أنواع الأطعمة والمأكولات ، ومعظم سكان هذا السوق من الوزراء والأعيان(٣١) ، وقد أشرنا اليه هنا لارتباط

الطبقات الشعبية به باعتباره احد الأماكن التى يمارســـون فيها بعض الاعمال ويتخذونها مكانا للتنزه فى بعض الأحيان .

ومن الاسواق الإخرى التى ارتبطت بها الطبقات الشعبية فى القاهرة الفاطمية سوق باب الزهومة(٣٢) وهو احد ابواب القصر الشرقى الكبير فى الدولة الفاطمية ويقع مكان سوق الصـــيارف ويقابله سوق السيوفيين وسوق الحريريين وسوق العنبر(٣٣) الذى عرف قديما بسجن المعونة(٣٤) اما سوق المحايريين(٣٥) فيقع بين الجامع الاقمر(٣٦) وجملون بن صيرم(٣٧) ويتصل من سوق حارة برجوان ومن الشماعين الى رحبة العيد(٣٨) ، ويعتبر من شوارع القاهرة الكبيرة آنذاك ، ويزدهر هذا السوق فى موسم الحج على الأخص(٣٩) . ويعد سوق الكمكيين من الاسواق الفاطمية التى كان الباعة يتفنون فيها بمختلف انواع الاطعمة ، وقد تواجد به بعض الطهاه الذين يصنعون الكعك والشريك والبيض(٤٠) . هذا من الأسواق التى تواجدت فى العصر الفاطمى ، وقد كانت وسـيلة المواصلات من المنازل الى هذه الاسواق الحمر المسرجة(٤١) . وقد وصف الرحالة الفارسى ناصـر خسرو(٤٢) حالة الأمن فى الأسواق فى اثناء زيارته للقاهرة بقوله : « بلغ أمن المصـريين واطمئنانهم الى حكومتهم الى أن البزازين(٤٣) وتجار الجـواهر والصيارفة(٤٤) لا يقفلون ابواب دكاكينهم ، بل يسـدلون عليها الستائر ، ولم يكن أحد بجرؤ على مد يده الى شىء منها(٤٥) .

ورغم أن المستفيد من استتباب حالة الامن فى الأسواق آنذاك هم طبقة الاثرياء من تجار الجواهر والصيارفة ، فان ذلك يعد دليلا على أن مرتادى تلك الأسواق - من الطبقات الشعبية كانوا يتمتعون بظروف اقتصادية مستقرة ، الامر الذى حال بينهم وبين ارتكاب ما يعكر صفو الامن ذلك لان الأسواق كانت ملتقى للأثرياء والطبقات الشعبية فى ذلك الوقت .

ولم تكن الاسواق المكان الوحيد الذى تتواجد به الطبقات الشعبية فى العصر الفاطمى بل تركزت الطبقات الشـــعبية فى الربع(٤٦) الجنوبى الغربى ، فقد كانت القاهرة مقسمة الى اربعة اجزاء ، الربع الشمالى الشرقى ويوجد به القصر الشـــرقى الكبير(٤٧) ، والشمال الغربى حيث القصر الغربى الصغير(٤٨) ، والجنوب الشـــرقى وبه الجامع الازهر ، اما الجنوب الغربى فقد كانت تقطنه طبقة العمال التى تزاول بعض الحرف والصناعات المتصلة بالخليفة ورجاله . وقد انشأ العمال فى هذا الجزء عمائر للعمل والصناعة اطلق عليها اسم (الربع) واستمرت هذه العمائر فى مصر بعد الدولة الفاطمية ، وعرفت باسم الربع بنصب الراء بدلا من ضمها .

ومما يدل على سكنى الطبقات الشعبية لمدينة الفسطاط فى العصر الفاطمى ما رواه ابن تغرى بردى عن حالة التذمر التى سادت مختلف طبقات الشعب فى عصر الخليفة الحاكم بامر الله (٣٨٦ ــ ٤١١ هـ/٩٩٦ ــ ١٠٢٠ م) والتى لم يستطيع ان يواجهها سوى بالعنف الى جانب ارسال قواده الى الفسطاط لضـربها بالنار ، الامر الذى دفع اهل الفسطاط من الطبقات الشـــعبية وسائر الطبقات الاخرى الى التوحد للدفاع عنها ، وقد استمر الامر على هذا النحو الى ان هدأت الاحوال فعادت الطبقـــات الشعبية الى اسواقها لمزاولة سائر نشاطاتها المعتادة(٤٩) .

ولقد كانت مدينة الفسطاط عامرة فى عصر الفاطميين(٥٠) ، كما كانت من اكبر المراكز الصناعية فى ذلك العصر ويشهد بذلك تنوع الانتاج وكثرة امباتها الصناعية واسواقها العظيمة(٥١) .

ورغبة فى عدم مزاحمة الطبقات الشعبية فى مســـاكنهم بالفســـطاط لم يســـمح جوهر الصقلى للمغاربة فى مزاحمتهم فى مجرد المبيت بهـــا ، وحينمـــا قام هؤلاء المغـــاربة بنهب

بعض أحياء مصر(٥٣) فى عام ٣٦١ هـ/٩٧١ م ، سارع سعادة ابن حيان فى الحال وعوض أهلها من الطبقات الشعبية ما نهب منهم(٥٤) . وهكذا نرى أن جوهر الصقلى حرص على التودد للطبقات الشعبية ومراعاة شعورهم وقد عوضهم عن نهب المغاربة لبعض أحيائهم ، ونقل المغاربة بعيدا عن أهل الفسطاط حتى لا يتكرر حدوث الاضطرابات منهم .

وأكد المقريزى وجود الطبقات الشعبية فى الفسطاط وكذا ابن سعيد(٥٥) حينما زار جامع عمرو بن العاص فقد شاهد بعض الطبقات الشعبية من الرجال والنساء يجتازونه اختصارا للمسافة بين أحياء الفسطاط ، كما ذكر أن الطبقات الشعبية اتخذته مكانا لبيع الأطعمة ، كما كانوا يتبادلون فيه طعامهم(٥٦) . ومن الدلائل التى تؤكد وجود الطبقات الشعبية فى مدينة الفسطاط ذلك التجمع الكبير الذى وجد فى سوق القناديل الكائن بها والذى يقع على الجانب الشمالى لجامع عمرو بن العاص حيث تعرض فيه مختلف الأدوات كالأوعية والأمشاط ومقابض السكاكين وغيرها ، وقد تواجد فيه أيضا العديد من الصناع المهرة الذين كانوا ينحتون البللور ، كما كانت تعرض به أيضا أنياب الفيل(٥٧) .

وقد عملت الطبقات الشعبية فى كثير من الصناعات منها صناعة الخزف ، فقد أنتج الخزفيون فى القاهرة ابان العصر الفاطمى خزفا ذاعت شهرته واعجب به المعاصرون — وعلى رأسهم الرحالة ناصر خسرو الذى قال ان المصريين فى تلك الآونة كانوا يصنعون أنواع الخزف المختلفة وان الخزف المصرى كان رقيقا وشفافا ، وكانت تصنع منه الفناجين والقدور والصحون والمواعين الأخرى ، وتزين بألوان زاهية تختلف باختلاف أوضاع الآنية(٥٨) . ومما يدل على ازدهار صناعة الفخار عامة فى العصر

الفاطمى ما كتبه ناصر خسرو عن اســـتخدام التجار والبقالين للأوانى الخزفية فيها يستخدم فيه التجار الورق فى العصــــر الحاضر ، فقد كانوا يضعون فيها ما يبيعونه ويأخذها المشترون بالمجان(٥٩) .

وقد اهتم الفاطميون بصناعة المنسوجات اهتماما كبيرا وكان بامكان مختلف الطبقات الاجتماعية لأهل القاهرة الحصــول على مختلف انواع المنسوجات(٦٠) . ويستنتج من هذا ان استخدام المنسوجات الراقية لم يكن محصورا فى طبقة السلاطين والأمراء بل كانت الطبقات الشـعبية لها نصـيب فى الحصــول عليها واستخدامها .

وكانت للصناعات الخشبية أسواق مهمة وعامرة فى مدينة الفسطاط منذ العصر الطولونى(٦١) وقد بينت وثائق الجينزاه وجود بعض الصناعات الخشبية فى القاهرة ابان العصر الفاطمى منها النشارة وعمل الصناديق والنجارة ، وكان لكل طائفة من طوائف هذه الصناعات سوق خاص سمى باسمهم فى الفسطاط(٦٢) . وقد تقدمت صناعة الزجاج والبللور الفاطمى تقدما كبيرا وكانت الفسطاط احدى مراكز صناعتها(٦٣) .

وقد انتظم الحرفيون الذين يعملون بهذه المهن سابقة الذكر فى مجموعة من الطوائف التى تحكم نظـامها عدد من القوانين والاعراف(٦٤) ، والتى كانت فيها بعد بمثابة البدايات الأولى لمفهوم النقابات فى العصر الحديث .

وكان نظام الحسبة أحد الأطر المنظمة للعلاقة بين الدولة الفاطمية وهذه الطوائف المهنية ، واختص المحتسـب واعوانه

بالصناعات والتجارة والتفتيش على البضائع فى الاسواق(٦٥) .
وكانت السلطة السياسية ممثلة فى شخص الخليفة ذات صلة مباشرة بهؤلاء الحرفيين خاصة فى اوقات الازمات والمجاعات ، وذلك للتنسيق فيما بينهم فى بعض الاجراءات الاقتصادية التى تعين اهل القاهرة وخاصة الطبقات الشعبية منهم فى مواجهة هذه الأزمات وذلك فى مسائل من مثل الالتزام بالأسعار المناسبة للسلع او توفير المواد الغذائية أو التيسير على الناس فى قضاء حوائجهم(٦٦) .

وبعد قيام الدولة الايوبية على يد صلاح الدين الأيوبى(٦٧) صاحب العقيدة السنية ، اعيدت الخطبة الى الخليفة العباسى وعد ذلك انتصارا للمذهب السنى على المذهب الشيعى الاسماعيلى(٦٨) ، وقد تم تثبيت هذا المذهب من خلال عدة اجراءات منها الغاء الاعياد والمناسبات المرتبطة بالمذهب الشيعى(٦٩) ، واتخاذ شعار السواد زيا رسميا للخطباء(٧٠) ، الى جانب انشاء بعض المدارس(٧١) ، وضمت مثل هذه المدارس بعض ابناء الطبقات الشعبية الى جانب ابناء طبقة الاثرياء فى القاهرة ، وقد كان ابناء الطبقات الشعبية عددا محدودا ممن يتلقى علومه فى مثل هذه المدارس نظرا لاضطرار ذويهم الى دفعهم لميدان العمل لمعاونتهم فى مواجهة اعباء الحياة ، أو لوراثة مهنة الآباء ولذلك كان المحتسب يرتب فى كثير من الاحيان من يعلم الحرفيين وأصحاب الدكاكين بالأسواق القرآن وفروض الصلاة(٧٢) .

واول مدرسة انشاها صلاح الدين فى مصر هى المدرسة الناصرية التى انشئت فى الفسطاط لتدريس مذهب الشافعية ، ثم انشأ مدرسة أخرى لتدريس المذهب المالكى(٧٣) ، ومن المدارس الاخرى التى انشاها صلاح الدين المدرسة المعروفة بالصلاحية

الناصرية بجوار قبة الامام الشافعي ، ومدرسة بجوار المشهد الحسيني(٧٤) ومدرسة للحنفية في السيوفية ، وقد حذا امراؤه حذوه في بناء مثل هذه المدارس(٧٥) واوقفوا عليها بعض الأوقاف لصيانتها والحفاظ عليها(٧٦) .

ومن المنشآت الاخرى التى ارتبطت بها الطبقات الشعبية في القاهرة ابان العصر الايوبي الخانقاوات(٧٧) التي انشأها صلاح الدين لتعضيد رغبته في تكريس مذهبه الديني وسلطته السياسية ، وقد اتجه صلاح الدين الى بناء هذه الخانقاوات باعتبارها من المنشآت الدينية التي تعضد الاتجاه الى التصوف في تلك الفترة وهو الامر الذي استغله في مجابهة الدعوة الاسماعيلية الشيعية المرتبطة بالدولة الفاطمية(٧٨) . وهكذا استخدم الأيوبيون سلاح التصوف في وجه الدعوة الاسماعيلية ليشغلوا المصريين بالتصوف حتى لا يجدوا فراغا بعد القضاء على المذهب الشيعي ، خاصة وأن الاتجاه الفكري والروحي الغالب بين الطبقات الشعبية في القاهرة في تلك الفترة كان الميل الى الزهد في متاع الدنيا والاستسلام القدرى تجاه تدهور الاحوال الإقتصادية والاجتماعية(٧٩) آنذاك اضافة الى ان حالة البطالة والفقر التي سادت البلاد في اثناء الحروب الصليبية والحروب الداخلية ، قد دفعت الكثيرين من الطبقات الشعبية في القاهرة الى الاقبال على هذه المنشآت الدينية حيث يجدون ما يعينهم على تحمل الفقر والعوز ويهيىء لهم الامان(٨٠) .

ويبدو ان البعض كان يخلط بين تسمية الخوانق والزوايا في فترة ابن بطوطة (٧٠٣ هـ/١٣٠٤ م) فقد ذكر في سياق وصفه لرحلته الى مصر ان الزوايا (ويعني بها الخوانق) كانت كثيرة العدد وقد سكنها الفقراء من اهل القاهرة والاعاجم وكان لكل زاوية شيخ وحرس ونظام محدد ومنظم(٨١) .

وأول(٨٢) خانقاه أقيمت في القاهرة في العصر الأيوبي خانقاه سعيد السعداء(٨٣) التي أقامها صلاح الدين في عام ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م(٨٤) ؛ أما عن موقع هذه الخانقاه متقع في رحبة باب العيد(٨٥) في القاهرة ، كانت في البداية دارا عرفت في الدولة الفاطمية بسعيد السعداء أحد خدام القصر ، فلما تولى صلاح الدين مقاليد الحكم في مصر أنشأ هذه الدار لفقراء الصوفية. الواردين من البلاد الأخرى ووقفها عليهم في عام ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م وولى عليهم شيخا ، كما وقف عليهم بستان الحبانية (بجوار بركة الفيل) وقيسارية الشرب بالقاهرة ، وناحية دهمرو من البهنساوية، واشترط أن من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطاني ، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيرة ، ورتب لهم في كل يوم طعاما ولحما وخبزا وبنى لهم حماما ، وعرفت بدويرة الصوفية وسمى شيخها بشيخ الشيوخ ، واستمرت حتى عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م(٨٦) .

واقتصرت وظيفة الخانقاه على تقديم ما يسد رمق الفقراء ويكفى حاجاتهم الضرورية ، ولم يدخل ضمن مسئوليتها توفير وظائف لهؤلاء الفقراء اذ لم يكن وقف الصوفية يكفى لتغطية نفقات ذلك الدور(٨٧) ، وخادم الخانقاه من واجباته توفير أوقات الصوفية للعبادة ، فانه في عبادة مادام يعينهم على العبادة ، وكان يحتفظ بباقى طعامهم ، ويقتسمه لمن يستحقه من الفقراء والمعوزين .

وعن أسواق العصر الأيوبي فبعضها استمر منذ العصر الفاطمى والبعض الآخر ظهر مع قيام الدولة الأيوبية . ويصف الرحالة عبد اللطيف البغدادي حالة الأسواق في القاهرة الأيوبية بقوله « حظنا مصر فرأينا منها دروبا وأسواقا عظيمة كانت مكتظة بالزحام »(٨٨) . ومن هذه الأسواق التي ظهرت مع قيام الدولة

الايوبية سوق باب الفتوح الذى انشىء عندما سكن قراقوش فى موضعه بحارة بهاء الدين ، وهو يقع فى داخل باب الفتوح وهو معمور الجانبين بحوانيت اللحامين(٨٩) والخضريين(٩٠) والفاميين(٩١) والشرابحية(٩٢) وغيرهم . ويعد هذا السوق من اسواق القاهرة العامرة بمختلف انواع الاطعمة والخضروات ، ويعتبر من الاسواق الجامعة التى يقصدها الناس من مختلف البلاد لشراء اللحوم الضأن والبقر والماعز(٩٣) .

وكانت سويقة امير الجيوش من الاسواق التجارية المهمة فى القاهرة الايوبية(٩٤) ، وتقع بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين ، وقد عرفت باسم سوق الحروقيين(٩٥) ، وتعد هذه السويقة من اكبر اسواق القاهرة وتضم عدة حوانيت للرفائين(٩٦) والحياكين(٩٧) والرسامين والقرابين(٩٨) والخياطين ، وقد سكنها البزازون(٩٩) والطعميون(١٠٠) الى جانب بائعى الاقباع(١٠١) ، وتباع فى هذه السويقة الثياب الجاهزة ايضا(١٠٢) .

وتقع سويقة البلشون خارج باب الفتوح وتنسب الى سابق الدين سنقر البلشون احد مماليك السلطان صلاح الدين بن أيوب وكان له ايضا بستان خارج القاهرة عرف ببستان البلشون(١٠٣) . أما سوق السلاح فيقع بين مدرسة الظاهر بيبرس(١٠٤) وقصر بشتاك(١٠٥) ، وعرف هذا السوق بعد زوال الدولة الفاطمية بحى بين القصرين ، تباع فيه لوازم الجنود من الاسلحة والنشاب وآلات السلاح والقسى والزرديات والسيوف والخناجر ، وتقع على جانبه عدة حوانيت تمارس فيها مهنة الصيرفة ، وقد كان ارباب المقاعد يجلسون بعد العصر تجاه حوانيت الصيارف لبيع مختلف انواع الاطعمة ، وتشعل على جانبيه المصابيح ليلا ، ويقصده مختلف الطبقات للتنزه ويختلط الرجال بالنساء فتحدث بعض مظاهر الفساد والمجون(١٠٦) .

ويقع سوق الجملون الصغير(١٠٧) بحى الجمالية (حاليا) عند راس سويقة أمير الجيوش الى باب الجوانية(١٠٨) وباب النصر ورحبة العيد ، وقد كان فى العصر الايوبى حافلا بالحوانيت التى تخصص بعضها فى بيع الثياب المصنوعة من الكتان والقطن الى جانب مختلف انواع الطرح ، كذلك وجد فيه الخـياطون والبابية(١٠٩) الذين يقومون بغسل الثياب وكيها ، وقد تواجدت فى نهاية هذا السوق عدة حوانيت اختصت بعمل الشبب(١١٠) وقد اندثرت معالم هذا السوق فى عام ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م(١١١) .

ومن أعمر أحياء القاهرة الأيوبية التى تواجدت بها طائفة كبيرة من الطبقات الشعبية حى بين القصرين ، وهو عبارة عن مكان متسع(١١٢) ، ويضم بعض الدكاكين التى تباع فيها اللحوم المطبوخة الى جانب بعض الدكاكين الاخرى التى تخصصت فى بيع بعض اصناف المياه المضاف اليها بعض انواع الزهور(١١٣) ، كما اشتمل على دكاكين أخرى تباع فيها بعض انواع الحلوى ، وقد تواجـد به بعض باعة الفواكه الذين يبيعون الثمار الواردة من بلاد الشام كالكمثرى والسفرجل(١١٤) والرمان ، ويوجد بين هذه الدكاكين عدد آخر من الدكاكين التى تباع فيها الزلابية والبيض المقلى(١١٥).

ولما كان هذا الحى يضم اصنافا متعددة من البضائع والسلع فقد قصدته مختلف الطبقات خاصة للتنزه فى اثناء الليل وذلك لمشاهدة ما يضمه من قناديل زاهية الالوان(١١٦) ، كما قصدته الطبقات الشعبية للاستماع والاستمتاع بما يروى من سير شعبية وما يقرأ من أشعار الى جانب ممارسة بعض انواع التسلية واللعب(١١٧) . تلك كانت مجالة سريعة تضمنت الملامح العامة للأسواق فى العصر الايوبى ، وقد كانت صلة الطبقات الشعبية بهذه الاسواق مرتبطة باغراض العمل فى بعض الحرف الى جانب البيع والشراء ، كما

كانوا يرتادونها للتنزه ومشاهدة ما يعرض فيها من شتى انواع البضائع والسلع .

وعن صناعات العصر الأيوبى فقد استمرت صناعة الخزف فى ذلك العصر على ان استخدام الخزف لم يعد عاما بين مختلف طبقات اهل القاهرة فى تلك الفترة ، كما كان الحال فى العصر الفاطمى ، فالاهتمام الزائد بالشكل ربما ركز صناعة الخزف بصورة او باخرى فى الأوانى الثمينة والتحف(١١٨) .

وقد ورث العصر الايوبى عن العصر الفاطمى اساليب صناعه المنسوجات وان اضمحل بعضها فيه مثل صناعة نسج الكتان التى قل الاهتمام بها بالمقارنة بنسج الحرير وتطريزه ، ولقد كانت اساليب صناعة المنسوجات بصفة عامة اقل شيوعا فى العصر الايوبى عنه فى العصر الفاطمى(١١٩) .

واحتفظت صناعة الحفر على الخشب فى العصر الأيوبى بالاساليب الفنية التى ترجع الى نهاية العصر الفاطمى ، وازدهرت فيه صناعة المحاريب والمنابر والتحف الخشبية والتوابيت ومنها تابوت الامام الشافعى والحسين الذى يعد من اعظم المنتجات الخشبية فى ذلك العصر(١٢٠) .

وترجع اصول صناعة التحف الزجاجية والبللورية فى العصر الأيوبى الى الفترة السابقة عليه ابان العصر الفاطمى ، ومن اهم المنتجات التى ظهرت فى تلك الفترة بعض الكئوس والأوانى الزجاجية ذات الاشكال الهندسية المتشابكة والزخارف المتنوعة(١٢١) . وقد ذكر المقريزى أن هذه الصناعات ظلت عامرة حتى عام ٧٠٠ هـ/١٣٠٠ م(١٢٢) .

وقد استمرت هذه الصلة(١٢٣) بين الدولة والطبقات الشعبية ابان العصر الأيوبى وزاد عليها التيسير على الطبقات الشعبية فى الانتقال الى القاهرة والسكنى بها(١٢٤) .

هوامش

(١) ظروف حياته كأصله ونشأته وثقافته ووضعه الاجتماعي قد لون منظوره التاريخي الى أبعد الحدود . فوالده تغري بردي مملوك رومي برز في سلطنة برقوق وتدرج في الوظائف العلية حتى تولى نيابة دمشق ، كان ابن تغري بردي من طبقة أولاد الناس فقد تقرب الى البلاط السلطاني ، وجالس سلاطين الجراكسة من أمثال جقمق وخشقدم وبرسباي ، وصادق أبناءهم ويمكن أن يقال أن ابن تغري بردي كان أقرب ما يكون الى المؤرخ الرسمي للسلاطين الجراكسة محمود اسماعيل عبد الرازق : قضايا في التاريخ الاسلامي منهج وتطبيق : المغرب ١٩٧٤ ، ص ١٥٦ .

(٢) الغوغاء الدبا وهي صغار الجراد وشبه بها سواد الناس وذكر الغوغاء عند عبد الله بن عباس فقال : ما اجتمعوا قط الا ضروا ولا افترقوا الا نفعوا قيل له قد علمنا ما ضرر اجتماعهم فما نفع افتراقهم قال يذهب الحجام الى دكانه والحداد إلى إكياره وكل صانع إلى صناعته ابن عبد ربه : العقد الفريد ، طبعة ١٣٢١ هـ ، جـ ١ ، ص ١٨١ .

(٣) محمود اسماعيل : قضايا في التاريخ الاسلامي ، ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ .

(٤) سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢ ، ص ٣٧ .

(٥) ابراهيم طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، طبعة ١٩٦٠ ، ص ٢٥٠ .

(٦) بدري محمد فهد : العامة ببغداد في القرن الرابع الهجري ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ١٢ .

(٧) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٤٩ .

(٨) القائد جوهر — أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الصقلي ، عهد اليه المعز لدين الله بفتح مصر على رأس جيش كبير ، فتم له فتحها بسهولة ، وأقام بها متوليا ادارة شئونها و جباية أموالها الى أن عزله المعز لدين الله فى عام ٣٦٤ هـ/٩٧٤ م . وفى خلافة ابنه العزيز بالله عهد الى جوهر بقيادة جيش وجهه الى دمشق وذلك فى عام ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م ثم استبقاه فى خدمته الى أن توفى فى عام ٣٨١ هـ/٩٩٢ م وكان حسن السيرة - حسن عبد الوهاب ، محمد جمال الدين سرور : الأزهر تاريخه وتطوره ١٩٦٤ م ، ص ٩١ -

(٩) تأسست فى مصر عدة مدن كعاصمـــــة لها قبل انشاء القاهرة وهى الفسطاط التى أسسها عمرو بن العاص وهى أول مدينة يقيم بها الحكام العرب -
J. Jomier : the Encyclopaedia of Islam, art al Fustat, volume 11 , London 1960 P. 957. 958.

ثم اختط عمرو جامعه فى وسط الأسواق وذلك فى عام ٢١ هـ/٦٤١ م ، اختطت قبائل العرب المنازل والأسواق والحمامات ، الاصطخرى : المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال مراجعة محمد شفيق غربال ، القاهرة ١٩٦١ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ١٦٠٦ م ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، عبد الرحمن زكى : سنة القاهرة فى ألف عام ، هيئة الكتاب ١٩٨٦ ، ص ٥ ، ص ٦ ، والفسطاط هى فسطاط عمرو بن العاص ، ابن خرداذبة المسالك والممالك ، طبعة بغداد ١٨٨٩ ، ص ٨٠ ، ص ٨١ ، وبعد ذلك قامت العسكر فى عام ١٣٣ هـ/٧٥٠ م . محمد عبد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ١٩٣١ ، ص ١٦ ، ثم مدينة القطائع التى أسسها أحمد بن طولون فى عام (٢٥٤ — ٢٧٠ هـ/٨٦٨ — ٨٨٤ م) . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٩٣٥ طبعة دار الكتب المصرية ، جـ ٣ ، ص ١ ، وقد كانت القطائع مخصصة للأمراء وحاشيتهم وخواصهم وجندهم محمود رزق محمود المجتمع المصرى فى العصر الطولونى ، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة عين شمس كلية الآداب ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢٣ .

(١٠) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، بغـــداد ١٦٠٦ م ، ص ٢٠٠ .

(١١) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٧٥

(١٢) عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ١٢ .

(١٣) شحاته عيسى : القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٥٤ .

(١٤) ابن سعيد المغربي - النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة القسم الخاص بالقاهرة ، تحقيق حسين نصار ، طبعة ١٩٧٠ ، ص ٢١ ، ص ٢٢ .

(١٥) من أهم هذه المجاعات ما حدث في عهد المستنصر الفاطمي فقد وقع في أيامه غلاء شديد استمر سبع سنين من عام (٤٥٧ — ٤٦٤) هـ — ١٠٦٥ — ١٠٧٢م) وقد عدد المقريزي أسباب هذه الشدة منها ضعف السلطة واختلال أحوال المملكة ، واستيلاء الأمراء على الدولة ، واتصال الفتن بين العربان ، وقصور النيل وعزوف الفلاحين عن أعمال الزراعة الأمر الذي أدى إلى ازدياد الغلاء وانتشار الوباء ، المقريزي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٢٤ ، حتى أكلت الناس الكلاب والقطط ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا ، المقريزي : الخطط ، طبعة لبنان ١٩٥٩ م جـ ٢ ص ١٢٦ إلى ص ١٣٠ ، وكان كيس القمح يباع بحوالي مائتين دينارا وانتشر مرض الجدري بين الأطفال والشباب فأهلك حوالي ٢١٫٠٠٠ في أقل من شهر واحد .

Abu ?Saleh : the Shurches and Manasteries of Egypt and scme neighbauring cauntrise, 1969, P. 232.

القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة ١٩٢٨ م ، جـ ٣ ، ص ٤٢٧ ، ص ٤٧٢ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٥ وما بعدها .

(١٦) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٨٠ .

(١٧) كلمة السوق مشتقة من سوق الناس بضائعهم ، وهي تذكر وتؤنث وجمعها أسواق . ونفقت السوق تنفق نفاقا ونفوقا كثرت ورغب فيها ، وكذلك السلعة وأنفقتها ونفقتها ، أنفق القوم نفقت سوقهم ، أبو الحسن علي بن سيده : المخصص ، القاهرة ١٣١٩ هـ ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ ، وفي لسان العرب السوق موضع البياعات ابن منظور : لسان العرب بيروت ١٩٢٦ م ، جـ ١٠ ، ص ١٦٧ .

(١٨) نقولا زيادة : الأسواق الإسلامية مجلة المقتطف ، القاهرة يونيو ١٩٤٢ م ، (م) ١٠٣ ، ص ١٣٧ .

(١٩) يعد من الأعياد الكبرى عند النصارى بمصر في تلك الآونة ، وكان المسلمون يشاركونهم الاحتفال به ، وقد عزا المقريزي سبب الاحتفال به رواية أوردها

عن أن جبريل — عليه السلام — قد زار يوسف الصديق فى سجنه وقد خرج يوسف من السجن فى ذات اليوم . المقريزى : الخطط جـ ١ ، ص ٣٦٤ ، ص ٣٦٥ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، نقله الى العربية محمد عبد الهادى ابو ريدة ، م (٢) ، بيروت ١٩٦٧ م ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ،
Abu-Saleh. b Op. Cit., P. 232.

(٢٠) محمد عوض الله : أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمى حتى نهاية عصر المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨١ م ص ٢٨٨ ، ص ٢٩٠ .

(٢١) كان الأثرياء وميسورو الحال يرسلون ما يراد طهيه الى بعض المطابخ التى تخصصت فى ذلك وعرف أهلها باسم « الشرائحية » أو « الشرائحيين » وقد كانوا يطهون الأطعمة ويرسلونها الى المنازل بواسطة بعض الصبية الذين يعملون لديهم ، قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ١١٩ .

(٢٢) يفهم من وصف ابن الأخوة بأنهم من يقومون بشى اللحوم بأنواعها المختلفة ، وقد وضعت عدة شروط لنضج الشواء ، ووجد فى ذلك العصر طائفة تبيع الشواء على قطعة من الخشب تسمى القرم مفردها قرمة ، انظر ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، القاهرة هيئة الكتاب ١٩٧٦ م ، ص ١٥٦ ، ص ١٥٧ .

(٢٣) يفهم مما ذكره المقريزى بشأنهم أن هذا اللفظ أطلق على الطائفة التى كانت تقوم ببيع مختلف الأطعمة المشوية والمطبوخة والجبن والألبان والخضر والفاكهة وغيرها والمتعيشون مفردها معاش وقد أطلق هذا اللفظ على الماكثين فى الأسواق . المقريزى الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ .

(٢٤) البطانيون : يتضح مما ذكره ابن الأخوة أنهم الأفراد الذين يقومون بصبغ الجلود وقد وضعت عدة شروط لهم انظر ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ٢٢٥ ، ابن بسام : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، طبعة بغداد ، ١٩٦٨ م ، ص ٢٠٤ .

(٢٥) يفهم من المقريزى بأنهم من يقومون بعمل المناخل التى تنقى الدقيق من الشوائب العالقة به . المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٩٢ ، انظر الشروط التى وضعها ابن الأخوة لهم ، معالم القربة ، ص ٢٢٤ ، ويطلق هذا اللفظ الآن على شارع المناخليين بالقاهرة . قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٣٥ .

(٢٦) المحتسب فى الإسلام - ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٢٧ ، والذى وضع ابن الاخوة شروطا لهم . أنظر ابن الاخوة معالم القربة ، ص ٢٤٥ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢٧) السويقة تصغير حجما من السوق ، وقد اختصت بتلبية الحاجات اليومية لقطاع صغير فى المدينة فصغر حجمها وتحددت وظيفتها فسميت « بالسويقات » نظرا لصغرها موقعا من تلك التى تخدم المدينة كلها . محمد عبد الستار عثمان : المدينة الاسلامية ، عالم المعرفة ، العدد ١٢٨ ، الكويت ١٩٨٨ ، ص ٢٥٢ .

(٢٨) عرفت هذه السويقة فى الدولة الفاطمية بسويقة الوزير نسبة الى ابن الفرج يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله الفاطمى الذى تنسب اليه حارة الوزيرية التى وجدت بالقرب من داره ثم تغير اسمها فى عصر الدولة الايوبية لما تولى الصاحب صفى الدين عبد الله وزارة العادل ابى بكر بن أيوب وسكن فى دار الديباج وانشأ به مدرسته والتى عرفت بالمدرسة الصاحبية ومنذ ذلك الحين اطلق على هذه السويقة سويقة الصاحب . المقريزى الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٩ .

والصاحب لقب من القاب الوزراء .

(٢٩) البندقيون هم صانعو البندق ، والبندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة او الرصاص يستخدمها الرماة فى تطيير الحمام . وكان البندق يرمى بالاقواس ثم صار يرمى بالزراريق والانابيب عن طريق ضغط الهواء من مؤخر الانبوب سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، ط (١) ١٩٦٥ م دار النهضة ، ص ٣٦٨ ، جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، طبعة دار الهلال ، ١٩٣١ م ، ص ١٥٨ .

(٣٠) اعتبر المقريزى الديباج والطراز شيئا واحدا وهذا ليس صحيحا ، فهناك فارق كبير بين كلمتى ديباج وطراز فكلمة الديباج تعنى نسيج حريرى جيد ، أما الطراز فيعتبر الشارة الثالثة من شارات الخلافة ، وكان لفظ الطراز يطلق فى أول الأمر على الكتابة الزخرفية التى وجدت على الاقمشة ، وهو لفظ فارسى من كلمة «طرازيدن» بمعنى التطريز ، ثم اتسع مدلول الكلمة فأصبحت تستعمل للكتابة على الورق والنسيج ، وقد ذكر القلقشندى الطراز بأنه نقش اسم الخليفة على ما ينسج من الكسوة والطراز من الحرير والذهب وظل نظام الطراز حتى العصر الفاطمى ، أما فى العصر الأيوبى فلم يوجد لها أثر ، ووجد فى الدولة الاسلامية نوعان من

دور الطراز ، طراز الخاصة وطراز العامة ، وكان شريط الطراز يتكون من البسملة ، ثم الدعاء للخليفة ، ثم يأتى اسم الخليفة والمشرف على مصنع الطراز ، ومكان الصناعة وتاريخها وكان الطراز شريطا من الكتابة العربية التى لا يمكن قراءتها الا اذا كانت فى وضع مستعرض . أحمد رمضان احمد : الحلاقة فى الحضارة الاسلامية القاهرة بدون تاريخ ، ص ٢٦٣ الى ص ٢٦٦ ، وقد ذكر ابن مماتى الطراز بقوله : « هذه المملكة لها ناظر ومشارف وعامل وشاهد » . ابن مماتى : كتاب قوانين الدواوين ، طبعة ١٩٤٣ ، ص ٣٣٠ .

(٣١) المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٦٩ ، وقد فرق الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه كنوز الفاطميين بين طراز الخاصة والعامة بقوله : « طراز الخاصة حيث كانت تصنع المنسوجات للخليفة والاقمشة التى كان يخلعها على كبار رجال الدولة وأفراد حاشيته ، وطراز العامة الذى كان يشتغل فضلا عن هذا بانتاج المنسوجات اللازمة للشعب . زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧ م ، ص ١١٠ ، اما ابن سيدة فذكر أن الديباج من الدبج وهو النقش والتزيين ، والثوب من الديباج وغيره اذا كان رقيقا حسن الصناعة . ابن سيده : المخصص ، ج ٤٠ ، ص ٧٦ .

(٣٢) عرف بهذا الاسم (أى باب الزهر) لانه لا يدخل اللحم وغيره الا منه فاختص بذلك ، وحل مكان باب الزهومة المدرسة الصالحية اى مدرسة السلطان الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الدولة الايوبية المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٦٥ ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ .

(٣٣) انظر الفصل الأول ص ٤١ .

(٣٤) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٨

(٣٥) المحاير : جمع محارة وهى حسبما ورد فى القاموس المحيط شبه الهودج وفى لغة الطبقات الشعبية صندوقان يشدان الى جانبى الرحل . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، طبعة ١٩١١ م ، ج ٢ ، ص ١٣١ ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة طبعة ١٩٤١ م ، ج ٢ ق (١) ، ص ٣٢٣ .

(٣٦) انظر الفصل الاول (ص ٣٢) هامش (ه) .

(٣٧) هو الامير جمال الدين سويدم بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل ، وقد وجدت فى الدولة الفاطمية قطعة أرض تقع خارج باب الفتوح عاقدة بها مختار الصقلى بستانا وبنى فيها عدة مناظر ، ولما زالت دولة الفواطم استولى على هذه

الأرض الأمير جمال بن صبيح ولهذا عرفت به وصارت من أجل الأحياء وسكنها الأمراء والأعيان ، وأطلق عليها حي بستان بن صبيح ، المقريزي : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٣٦ .

(٣٨) الرحبة المكان الواسع وجمعها رحاب ، وهذه الرحبة كان أولها من باب الريح أحد أبواب القصر الفاطمي ، وكانت عظيمة في الطول والعرض يقف فيها العساكر والفرسان في أيام الأعياد والمواكب ، ينتظرون الخليفة وخروجه من باب العيد ويذهبون في خدمته لصلاة العيد ولم تزل هذه الرحبة خالية من البناء الى ما بعد عام ٦٠٠ هـ/١٢٠٣ م ، فاختط فيها الناس وعمروا الدور والمساجد وصيرها ، فصارت حيا كبيرا من أجل الأحياء في القاهرة وبقي اسم رحبة باب العيد باقيا عليها - المقريزي : الخطط ، حـ ٣ ، ص ٧٥ .

(٣٩) المصدر نفسه السابق والجزء ، ص ١٦٥ .

(٤٠) محمد بن أبي السرور زين العابدين : قطف الأزهار من الخطط والآثار ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٥٧ جغرافيا ورقة ١١٩ .

(٤١) ناصر خسرو : سفرنامة ، نقله الى العربية يحيى الخشاب ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٤٥ م ص ٦١ ، ص ٦٤ .

(٤٢) هو ناصر خسرو الحكيم أبو معين ناصر بن الحارث القباديانى البلخى ولد فى قباديان ببلخ فى عام ٣٩٤ هـ/١٠٠٣ م ، وقد طاف فى مختلف مراحل حياته بمعظم أرجاء العالم الاسلامى واستفاد من معظمها فى تكوين حصيلته العلمية والثقافية ومن هذه الأماكن التى زارها القاهرة والتى قضى فيها ثلاث سنوات التحق خلالها بالبلاط الفاطمى واعتنق المذهب الشيعى الاسماعيلى ، وقد حاول العودة الى مسقط رأسه لكنه قوبل بالفتور فاضطر الى التوجه الى يمجان التى قضى فيها بقية عمره الى أن وافته المنية فى عام ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨ م ومن أهم مؤلفاته سفرنامة الى جانب ديوان شعرى ضخم وكتاب آخر باسم زاد المسافرين ، بديع محمد جمعة من روائع الأدب الفارسى ، الطبعة الأولى ١٩٧٨ القاهرة ، ص ٢٧ وما بعدها ، انظر أحمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ، من ص ٢٣٩ الى ص ٢٤٩ .

(٤٣) انظر ص ٢٠ من هذا المدخل .

(٤٤) أما تجار الجواهر والصيارفة فهم بعيد تمر بين أيديهم ثروات كبرى . ليو الافريقى : وصف افريقيا : ترجمة عبد الرحمن حميدة ، السعودية ، ص ٥٨١ .

(٤٥) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٦٤ .

(٤٦) الرباع جمع ربع وهو مجموعة من المساكن المؤجرة للغير تجمع حول صحن ، ويكون له في الغالب مدخل واحد وسلم واحد ، ويصل ارتفاع الربع الى اربعة او خمسة طوابق ، ويتم الوصول الى المساكن عن طريق طرقة تدور حول الصحن ، وتوجد مجموعة من الحوانيت بالجهة المطلة على الشارع من الطابق الارضى ، والربع مخصص لسكنى الطبقات الشعبية بأجور شهرية زهيدة . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١٠ ، ص ٣٠٢ ، هامش (٢) ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ ، حسين مصطفى رمضان ، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادى والاجتماعى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ١٩٨٧ ، جامعة القاهرة كلية الآثار ، ص ٣٠٢ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٤١٨ .

(٤٧) بناه جوهر واعده لاستقبال الخليفة المعز لدين الله ، الذى اتخذ حول القصر دور الجند والموظفين والاتباع . وموضع هذا القصر المكان الذى يقع فيه مسجد الحسين وخان الخليلى بالنسبة للقاهرة الحالية . حسن ابراهيم وآخرون ، الأزهر تاريخه وتطوره ، ص ٣٥ .

(٤٨) يقع تجاه القصر الشرقى ومكانه بالنسبة للقاهرة الحالية المارستان المنصورى وبعض المدارس وحى الخرنفش . المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ ، ص ٣٢٥ ، وقد أنشأه العزيز بالله غربى قصر ابيه لذلك أطلق عليه القصر الغربى الصغير تميزا له عن القصر الشرقى الكبير ، وقد تلاشى أثر هذا القصر وحل محله منشآت المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد والظاهر برقوق والمدرسة الكاملية حى الخرنفش ، وهذان القصران كانا يجمعان عدة قصور يجمعها سور واحد ، عرفت بالقصور الزاهرة ، منها قصر الاقبال ، والزمرد ، والنسيم : انظر القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد طبعة بيروت بدون تاريخ ، ص ٢٤٠ ، حسن عبد الوهاب ، الأزهر ، ص ٩٥ .

(٤٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ١٨١ ، ص ١٨٢ .

(٥٠) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ٣١٠ .

(٥١) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ م ، ص ٣٨٠ .

(٥٢) المغاربة وهم من البربر سموا باسم الاقليم الذين اتوا منه وهو المغرب لتمييزهم عن العنصر المشرقى (التركى والديلمى) الذى اطلق عليه اسم المشارقة وهم العنصر الذى قامت على اكتافه دولة الفاطميين فى بلاد المغرب (الكتامية)

ثم فى مصر ، واعتمد الفاطميون الأوائل عليهم فى جيوشهم وخاصة الكتاميين الذين كانوا عصب الدولة وقوتها فى مصر فى أول عهدها ، حسن يوسف دويدار : الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصر الفاطمى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٨٢ م ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، ص ١١٤ ، ص ١٩٢ .

(٥٣) يقصد بمصر الفسطاط ، قيل لمصر فسطاط والفسطاط اسم لمصر - المقريزى: الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٠ ، انظر عبد الله عنان ، مصر الاسلامية ، ص ١٥ ، ص ١٦ .

(٥٤) حسن دويدار : الحياة الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٩٢ .

(٥٥) هو أبو الحسن بن سعيد على بن موسى عبد الملك من سعيد الغرناطى الأديب الأخبارى الشهير صاحب التصانيف الأدبية ، ولد بغرناطة فى عام ٦١١ هـ/ ١٢١٤ م ا وطاف فى البلاد الاسلامية ، ودخل مصر والشام وبغداد ، من مؤلفاته « المغرب فى حلى المغرب » « والمشرق فى حلى المشرق » ، والطالع السعيد فى تاريخ بلاده ، أما عن تاريخ وفاته فقد اختلف فيه السيوطى وابن شاكر الكتبى ، فيذكر السيوطى أن ابن سعيد توفى فى تونس عام ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م ، فى حين يذكر ابن شاكر تاريخ الوفاة فى دمشق فى عام ٦٧٣ هـ/١٢٧٤ م ، السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، طبعة ١٢٩٩ هـ ، ص ٣٢٠ ، ابن شاكر الكتبى فوات الوفيات ، طبعة ١٩٥١ م ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، من ص ١٨٩ ، الى ص ١٩٥ .

(٥٦) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ .

(٥٧) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٥٦ ، ص ٦٠

(٥٨) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٢١٠ ، ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ٦٠ .

(٦٠) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٥١ .

(٦١) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، ص ١٣٥ ، عاصم محمد رزق عبد الرحمن : مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية من الفتح العربى حتى مجىء الحملة الفرنسية ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٣٧ ، زكى حسن : كنوز الفاطميين ، ص ١٩٧ .

(٦٢) عاصم رزق : مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، ص ٣٧ .

(٦٣) من المراكز الصناعية الأخرى مدينة الفيوم والأشمونين والشيخ عبادة والاسكندرية . زكي حسن : كنوز الفاطميين ، ص ٥٨٦ .

(٦٤) المقريزي : اغاثة الأمة ، ص ١٨ ، حسن يوسف : الحياة الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨١ ، راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٨٧ .

(٦٥) حسن يوسف : الحياة الاجتماعية ، ص ١٨٦ ، يبين ذلك اهتمام الخلفاء الفاطميين بنظام الحسبة وحرصهم على تعيين عرفاء في الأسواق لمراقبة الباعة ففي خطاب من سلومان بن يهودا الى ابراهيم بن شمريا المتسلط يتحدث عن عليون بن حلبي بصفته المشرف على التجار .

Mann (J) : Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid caliphs, volume (I) Oxford 1920, P 81.

(٦٦) حسن يوسف : الحياة الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٦ .

(٦٧) Muir-Sir william : The caliphate, tis rise , decline and foll Edinburbg, 1891, P. 559.

(٦٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ٢٠١ .

(٦٩) أحمد فؤاد سيد : نظم الحكم والادارة في العصر الأيوبي بمصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٢ ، ص ٢٦٠ .

(٧٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٥٦ .

(٧١) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٤٢ ، ركن الدين محمد بن محمد الوهراني : منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، القاهرة ١٩٦٨ م ، تحقيق ابراهيم شعلان ، ص ١٣ ، ص ١٤ ، عماد ماهر : مساجد مصر ، وأولياؤها الصالحون ، ط ١٩٧١ م ، جـ ٣ ، ص ١٢ .

(٧٢) محمد حسن محمد : الأسرة المصرية في عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الزقازيق ، كلية الآداب ، ١٩٨٩ م ، ص ٧٩ ، ص ٨٠ .

(٧٣) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي ، دار المعارف ١٩٦٧ ، جـ ١ ، ص ٢٦٥ .

(٧٤) انظر الفصل الثالث ، ص ١٦٦ .

(٧٥) السيد الباز العريني : مصر فى عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٢١ ، ص ٢٢٢ .

(٧٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٥٥ .

(٧٧) الخوانك جمع خانكاه وهى كلمة فارسية معناها بيت ، وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك ، والخانقاه مكونة من مقطعين خان وجاه بمعنى مكان الأكل . أما معناها المعمارى فهى المكان المخصص لايواء الصوفيين المنقطعين للعبادة ، وقد ظهرت الخانقاه منذ القرن الرابع الهجرى فى ايران ، ثم انتشرت بعد ذلك فى جميع انحاء العالم الاسلامى . المقريزى . الخطط : ج ٤ ، ص ٢٧١ .

على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، طبعة ١٣٠٦ هـ ، ج ٦ ، ص ٤٨ ، سعاد ماهر : مشهد الامام على فى النجف وما به من الهدايا والتحف ، طبعة دار المعارف ١٩٦٨ ، ٢٨١ .

(٧٨) محمد كامل حسين : بين التشيع وأدب الصوفية بمصر فى عصر الأيوبيين والمماليك ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، م (١٦) ج ٢ : ديسمبر ١٩٥٤ ، ص ٥٨ .

(٧٩) كامل حسين : بين التشيع وأدب الصوفية ، ص ٥٨ ، ص ٥٩ .

(٨٠) أحمد رمضان أحمد : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٥٥ .

(٨١) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، طبعة بيروت ١٩٦٠ ، ص ٣٧ .

(٨٢) هناك خلاف قائم بين بعض الباحثين حول البدايات الأولى لنشأة الخانقاه فى القاهرة فيذهب الدكتور محمد كامل حسين الى أن الخانقاه وجدت فى القاهرة فى عصر الفاطميين وليست فى عصر الأيوبيين ، ويبدو أنه كان يخلط بين الخانقاه ومصاطب الصوفية التى وجدت فى عصر الدولة الفاطمية . كامل حسين ، التشيع وأدب الصوفية ، ص ٥١ ، وهناك بعض الباحثين يرون أن البدايات الأولى للخانقاه كانت فى العصر الأيوبى على اعتبار أنها من المنشآت ذات الطابع الدينى يدعم تثبيت المذهب السنى بدلا من المذهب الشيعى سعاد ماهر ، مساجد مصر ج ٣ ، ص ١٢ وللمؤلفة نفسها مشهد الامام على فى النجف ، ص ٢٨١ .

(٨٣) هذه الخانقاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة (بالقرب من خانقاه بيبرس الجاشنكير بدرب الأصفر بالجمالية) كانت أولا دارا تعرف في الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر أو عنبر أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر العتيق في عهد الخليفة المستنصر ، قتل في شعبان عام ٥٥٤ هـ/١١٥٩ م ورمي برأسه من القصر ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية باب الخلق . وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة ، فلما سكنها الصالح طلائع بن رزيك فتح من دار الوزارة إليها سردابا تحت الأرض ليمر فيها ثم سكنها الوزير شاور ثم ابنه الكامل فلما استولى صلاح الدين على مصر جعل دار سعيد السعداء برسم الفقراء الصوفية ووقفها عليهم عام ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م المقريزي : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٣ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٢ ، ص ١٢ هامش (٤) .

(٨٤) سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ١٢ .

(٨٥) انظر ص ٩ من هذا البحث .

(٨٦) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٧٣ .

(٨٧) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار ، أبو زيد شلبي ط (١) ، القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ١٢٦ .

(٨٨) عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧هـ / ١١٦٢ م) : الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، طبعة القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٧٤ .

(٨٩) اللحاميون : هذا اللفظ أطلق على بائعي اللحوم بأنواعها المختلفة . المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٤ .

(٩٠) الخضريون : يفهم مما ذكره المقريزي من يقومون ببيع الخضروات . المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٩١) الفوم الزرع أو الحنطة ، والفوم الحمص ، والفوم الخبز أيضا ويقصد بالفوم هنا الثوم وبائعه فامي . ابن منظور : لسان العرب ، القاهرة ، طبعة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م ، جـ ٥ ، ص ٣٥٨ .

(٩٢) انظر ص ٦ من هذا البحث .

(٩٣) المقريزي : الخطط جـ ٣ ، ص ١٥٤ .

(٩٤) Moberg (A) : Zwei Agyptische Waqf-urkunden aus dem Jahr 691/1292. nebst bemerkungen zur mitteilal terlichen. topographie Kairos Mo 13 (1918). P. 24.

(٩٥) الخرق الشق في الحائط والثوب ، وخرقت الثوب اذا شققته ، ويقال للرجل المتمزق الثياب منخرق السربال . ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١١ ، ص ٢٥٩ ، وخرق الثوب شقه . الفيروز ابادى ، القاموس المحيط ط ١٣٤٤ هـ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ ، ويبدو أن هذه الطائفة كانت تعمل في بيع الملابس المستعملة أو ما يطلق عليه الخرق البالية .

(٩٦) الرفاءون من يقومون برفى الملابس ، وقد اشترط عليهم ابن الاخوة عدم خلط الملابس بعضها ببعض . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٢١ .

(٩٧) الحياكون : الحائك والنساج هم الحاكة والحوكة وقد حاك الثوب يحوكه وحياكة ونسج الحائك الثوب ينسجه نسجا وهو النساج وحرفته النساجة ، وأصل النسج ضم الشيء بعضه الى بعض . ابن سيدة : المخصص ، جـ ١٢ ، ص ٣٥٩ ، ص ٣٦٠ .

(٩٨) من يبيعون الفراء وقد وضع ابن الاخوة عدة شروط لهم منها عدم خلط الفراء القديم بالجديد . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٣٨ .

(٩٩) البزازون : مفردها بز والبز الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها وبائعه البزاز وحرفته البزازة . الفيروز ابادى : المحيط ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ وكان أبو بكر الصديق بزازا . حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٥ ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(١٠٠) مفرد خلعى ، والخلع هي التي ينعم بها السلطان على الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة في المواسم والأعياد . سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٥ طبعة ١٩٧٣ ، ص ٢٧ .

(١٠١) الاقباع مفردها قبعة وتطلق على من يبيعون الطواقي في الأسواق ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٤ .

(١٠٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٧٢ .

(١٠٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٧٢ .

(١٠٤) مدرسة الظاهر بيبرس هي من جملة خط بين القصرين كان موضعها من القصر الشرقي الكبير يعرف بقاعة الخيم كما يدخل في هذه المدرسة باب الذهب أحد أبواب القصر المهمة المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ٢٧ .

(١٠٥) هذا القصر هو الآن تجاه الدار البيسرية وهو من جملة القصر الشرقى الكبير ويسلك اليه من الباب الذى كان يعرف فى أيام عمارة القصر الكبير فى زمن الخلفاء الفاطميين بباب البحر ويعرف اليوم بباب قصر بشتاك تجاه المدرسة الكاملية . المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٧٠ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٧ .

(١٠٦) المقريزى ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٧ .

(١٠٧) انظر ص ٨ من هذا المدخل هامش (٦) .

(١٠٨) انظر الفصل الأول ص ٣٥ هامش (٣) .

(١٠٩) البابية مفردها بابا وهو لقب لمن يتعاطى غسل الثياب وكيها وغير ذلك ، وهو لفظ رومى ، ومعناه أبو الآباء وكأنه لقب بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه مخدومه من تنظيف قماشه وتحسين هيئة أشبه بالأب الشفيق فلقب بذلك ، القلقشندى : صبح الأعشى طبعة ١٩١٢ ، جـ ٥ ص ٤٧٠ .

(١١٠) انظر ص ٧ (المدخل) هامش (٢) .

(١١١) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٦٤ .

(١١٢) ابن أبى السرور : قطف الأزهار ، ورقة ١١١ .

(١١٣) ليو الافريقى : وصف افريقيا ، ص ٥٨٠ .

(١١٤) هو القراولة وهو شجر معروف ينبت بالشام وبلاد الروم وهو قدر شجر التفاح ، ويفيد بالنسبة لمرض السكر وحرقة البول ويبدو أن هذه الفاكهة كانت لا تزرع فى القاهرة فى تلك الفترة . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨٧ .

(١١٥) ليو الافريقى : وصف افريقيا ، ص ٥٨٠ .

(١١٦) ابن أبى السرور : قطف الأزهار ، ورقة ١١١ ، ١١٢ .

(١١٧) أبو حامد المقدسى : الفوائد النفيسة الباهرة فى بيان حكم شوارع القاهرة فى مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة ، تحقيق آمال العمرى القاهرة ١٩٨٨ ، ص ١٣ ، ابن أبى السرور : قطف الأزهار ، ورقة ١١٢ .

(١١٨) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٣٢٠ .

(١١٩) م . س ديماند : الفنون الاسلامية : ترجمة احمد عيسى تقديم ومراجعة احمد فكرى ، طبعة دار المعارف ١٩٨٢ ، زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٣٦٥ .

(١٢٠) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٤٩٢ .

(١٢١) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٩٩ .

(١٢٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٣٢٠ ، عاصم رزق : مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، ص ٣٩ .

(١٢٣) انظر ص ١٤ ، ص ١٥ من هذا المدخل .

(١٢٤) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٨٠ .

الفصـــل الأول

تجمعات الطبقات الشعبية بالقاهرة
فى العصــر الممــلوكى

- ملامح من الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى القاهرة المملوكية
- الأسواق والوكالات فى القاهرة فى العصر المملوكى
- المساجد والخانقاوات ومجالس الذكر وعلاقتها بالطبقات الشعبية
- أحياء الطبقات الشعبية

فاقت القاهرة فى عصر سلاطين المماليك مدن أوربا والعالم الاسلامى من حيث السعة وكثرة السكان(١) ، ورغم اتساع مساحة القاهرة فى بداية عصر دولة المماليك فقد تقلصت هذه المساحة فى عصر دولة المماليك الثانية وقد ذكر آشتور Ashtor ان مساحتها قد تقلصت(٢) عما كانت عليه فى اوائل عصر المماليك(٣) ، ولاشك ان ذلك يرجع الى ما اصاب دولة المماليك البرجية من تدهور لاحوالها الاقتصادية .

وقدر احد المؤرخين عدد سكان القاهرة فى منتصف القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى بحوالى ثلاثة ملايين نسمة ، والبعض الآخر تحدث عن تطور سكان القاهرة فى ايام السلطان بيبرس وقدر عدد سكانها فى الفترة نفسها بحوالى ستمائة ألف نسمة(٤) . وادت كثرة عدد السكان وازدحام الشوارع الى ان امر المحتسب اصحاب الدواب بان يضعوا فى اعناق دوابهم الاجراس وصلاصل الحديد والنحاس لاحداث جلبة فى اثناء السير لتنبيه المارة ، وكان المكارية وحمالو الحطب من الطبقات الشعبية يفعلون ذلك أيضا(٥) .

وقد ذكر بيلوتى الكريتى ان القاهرة فى العصر المملوكى تعد من اكبر مدن العالم(٦) ، كما وصفها ابن بطوطة(٧) بقوله «هى أم البلاد المتناهية فى كثرة العمارة ، المتناهية بالحسن والنضارة ، مجمع الوارد والصادر ، وبها ما شئت من عالم وجاهل وجاد وهازل

وحليم وسفيه ووضيــع ونبيه ومنكر ومعروف تموج موج البحر بسكانها ، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها »(٨) . والقاهرة تشبه روما بالنســبه للعالم الغربى ففيها يقيم الخليفة والوزراء والحاشية وطبقة المماليك والسكان(٩) . وقد وصفها أحد الرحالة بأنها ثلاثة أمثال باريس(١٠) . وجاء الى القاهرة فى عام ٨٧٠ هـ/ ١٤٦٥ م التاجر الروسى باسيــل فذكر ان القاهرة مدينة كبيرة تحتوي على اربعة عشر شارعا لكل شارع بوابتان من جهتين ، وحارسان لاشعال القناديل بالزيت ، وسوق كبير لبيع احتياجات الناس(١١) .

وقد امتازت القاهرة في ذلك العصــر بكثرة منازلها وضيق دروبها وطرقاتها ، وعدم استقامتها واكتظاظها بالطبقات الشعبية ، وقد لحظ بعض الرحالة الاجانب الذين زاروا مصر فى عصر سلاطين المماليك ان بالقاهرة عددا كبيرا من الطبقات الشعبية بلا مأوى فى النهار والليل سوى الطرقات ، يهيمون فيها واجسادهم شــبه عارية ، وتفاوتوا فى تقدير ذلك العدد بين خمســين الف ومائة الف(١٢) . هذا بالاضافة الى انتشار الباعة الجائلين فى كل مكان وأصحاب الطبليات والدكك المستديمة وجلوس بعضهم بالطبليات على ابواب الجوامع مما يضــيق الطريق على الناس (١٥) ، وقد كان لكل سلعة تجارها فى الشوارع ، وكان الطباخون يغدون جيئة وذهابا حاملين المواقد والنيران واطباق الطعام المعدة للبيع فى حين يحمل سواهم صحاف الفاكهة المعدة للبيع(١٦) .

وتكون شوارع القاهرة فى عصر دولة المماليك شبكة شديدة التعقيد وقد غطيت سقوف طرقها بالواح خشبية او بحصــر او سقائف من قش لحماية المارة من حرارة الشمس(١٧) ، ولذلك كان مناخ تلك الطرق رطبا فى الصيف ، وشغلت المصاطب الموجودة أمام الحوانيت جزءا من الشوارع والطرقات(١٨) .

وكان بالقاهرة آنذاك ما يقرب من ملتقى الف جمل لحمل المياه التى يأتى بها السقاءون من النيل ويطوفون بها في الأسواق والمنازل لامدادها بما تحتاج اليه من المياه(١٩) . وقدر ابن بطوطة عدد الذين يمتهنون السقاية على الجمال باثنى عشر الف سقاء(٢٠)، أما البعض الآخر فقد قدرهم بحوالى خمسة آلاف سقاء(٢١) .

وعن وسيلة التنقل فى القاهرة فى عصر سلاطين المماليك فكانت الحمير التى وصفها الرحالة طافور بانها اكثر المطايا لطفا واحسنها منظرا واسرعها فى المشى(٢٢) . وقد شهدت شوارع القاهرة انواعا اخرى من الدواب كالخيول التى ارتبطت بطبقة المماليك ولم يكن ينال منها الطبقات الشعبية سوى السقوط تحت حوافرها فى اثناء ركض المماليك بها وسط دروب القاهرة واسواقها المزدحمة(٢٣) .

وذكر طافور ان احسن وابهى واروع شىء يراه الانسان فى القاهرة هو سوقها التى تعرض فيها كميات ضخمة من مختلف البضائع(٢٤) ، وانتشر الشحاذون فى القاهرة فى ذلك العصر ، فكانوا يجلسون على ابواب المساجد ومنهم من يكشف عورته ويمشى عاريا ، ومنهم من يقسم على الناس فى سؤاله بما تقشعر الجلود عند ذكره الى غير ذلك من حيلهم ومكرهم(٢٥) .

وعن علاقة الدولة بالأسواق والشوارع والحوانيت فى ذلك الوقت فكانت تفرض على أصحاب الحوانيت أن يقوموا عند كل حانوت من حوانيت الطبقات الشعبية بتعليق قنديل يضىء طوال الليل الى الصباح(٢٦) . وقد كلف الباعة فى ذلك العصر بكنس الشوارع ورشها يوميا ، وجعلت الدولة عددا من الخفراء طوال الليل يطوفون لحراسة الحوانيت(٢٧) . وفى حالة وقوع مشاجرات

أو خصومات أو القبض على بعض اللصوص أو السكارى ، كان والى الطواف يقوم بالفصل فى مثل هذه الأمور وذلك بعد صلاة العشاء فى سوق الجملون(٢٨) التى تقع وسط سوقه الشرابشيين(٢٩) وأمامه مشعل يوقد بالنار طوال الليل(٣٠) . ومن اختصاصاته ايضا مراقبة أبواب القاهرة والطواف بأحياء التجارة والمال ، ونظرا لاهمية دوره كان لا يمكنه النوم خارج القاهرة الا بمرسوم خوفا من وقوع حريق أو حدوث سرقات أو مظاهر اخرى من مظاهر الاخلال بالأمن(٣١) . وكان يطلق عليه أحيانا « صاحب العسس »(٣٢) أو والى الطواف وهو الاسم الذى عرف به عند الطبقات الشعبية(٣٣) . وكان عليه تقديم تقرير يومى للسلطان يطلعه فيه على مجريات الأمور اليومية من قتل أو حرائق او سرقة(٣٤) . ونظرا لتعدد اختصاصات والى الطواف فقد عاونه بعض الاعوان من السقائين ، والنجارين والهدادين فى دوريات محددة خوفا من حدوث حرائق فيقومون باطفائها(٣٥) .

وللمحافظة على نظافة القاهرة أمر بعض الحكام بالتخلص من الكلاب لكثرتها فى الازقة والشوارع(٣٦) ، فتتبع الناس الكلاب ، وجمعوا نحو ثلاثين الف كلب ، فقتل منهم جانبا ، ونقل جانبا الى الجيزة(٣٧) ، وكان الكلب يباع بدرهم(٣٨) . كذلك أمر بعض السلاطين باخراج المصابين بالبرص والجذام من القاهرة ، وانذر من ظل منهم داخل اسوارها بالقتل(٣٩) ، ويبدو ان القطط تمتعت فى ذلك العصر بقسط من الرعاية والعطف يعادل ما عانته الكلاب من كره واضطهاد ، فقد حكى بعض الرحالة انه سمع من اهل القاهرة أن السلطان الظاهر بيبرس انشأ بجوار مسجده حديقة اطلق عليها « غيطة القطة » لاطعام القطط الشاردة ، ولما اندثرت معالم هذه الحديقة ، اصبح القاضى زمن الرحالة — اى

اوائل القرن التاسع عشر الميلادى — هو الذى يقوم باطعام النطط كل يوم امام دار القضاء بالقاهرة(٤٠) .

ومما سبق بعض ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى القاهرة ابان عصر دولة سلاطين المماليك .

ازدهرت الأسواق فى القاهرة وتعددت فى عصر المماليك ، وقد اختص بعضها بتسويق المواد الغذائية والبعض الآخر بالملابس او غيرها من البضائع الأخرى . ومن هذه الأسواق سوق المرحلين(٤١) التى تقع عند بداية حارة بهاء الدين(٤٢) الى المدرسة الصيرمية(٤٣) وهى معمورة بحوانيت لبيع ادوات تجهيز الجمال التى كانت من وسائل المواصلات فى هذه الفترة وتزدهر هذه السوق فى موسم الحج ، وتعد من الاسواق الكبيرة اذ كان من الممكن ان يجهز فيها مائة جمل فى يوم واحد نظرا لتوفر ما يخص ذلك من أدوات فى المخازن المتوافرة فيها . وتقابل هذه السوق سوق المحايريين(٤٤) ، التى اندثرت وخربت معظم حوانيتها ولم يبق منها سوى القليل . وسوق خان الرواسين(٤٥) تقع عند سويقة أمير الجيوش وسميت بذلك لوجود خان تعمل فيه الرءوس المغمومة(٤٦) ، ويعتبر من اشهر أسواق القاهرة ، وبها كثير من البائعين وتضم ما يقرب من عشرين دكانا عامرا بمختلف الاطعمة(٤٧) . ويقع سوق حارة برجوان(٤٨) الى الجامع الحاكمى(٤٦) وتعتبر من اكبر أسواق القاهرة ، وكانت تحتوى بعض الحمامات مثل حمام الرومى(٥٠) وحمام سويد(٥١) هذا بالاضافة الى الأفران التى تكفى لاحتياجات سكان هذه السوق ، وكانت معمورة الجانبين ببائعى اللحم بانواعه ، كما كان بها عدد كبير من الزياتين والجبانين والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين(٥٢) والبواردية(٥٣) والعطارين والخضريين وكثير من بائعى الامتعة ،

وكان بهذه السوق حانوت يختص ببيع حوائج المائدة من النقل والكرات والشمار(٥٤) ، والنعناع ، وقد خرب اكثر دكاكين هذه السوق فى عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م(٥٥) ، وبعد أن كانت من اعمر الاسواق التى لا يمكن المرور فيها الا بمشقة من كثرة الازدحام ليلا ونهارا(٥٦) . وسوق الشماعين(٥٧) تقع قريبا من الجامع الاقمر(٥٨) وتمتد حتى سوق الدجاجين(٥٩) وكانت حوانيتها معمورة بالشموع الموكبية(٦٠) والفانوسية ، وتظل هذه الحوانيت مفتوحة حتى منتصف الليل ، وكان يجلس بها ليلا بعض البغايا(٦١) يطلق عليهن زعيرات الشماعين وكن يتميزن ببعض العلامات ويرتدين زيا خاصا عبارة من الملاءات والطرح وكن يرتدين فى أرجلهن سراويل من اديم(٦٢) احمر ويتقن فى كل ليلة مع الرجال المشالقين(٦٣) . وكانت تباع فيه كل ليلة كميات كبيرة من الشمع ويزدهر نشاطه فى موسم الغطاس(٦٤) حيث تعلق فيه الفوانيس التى تدخل السرور فى نفوس الناس ، كذلك كان لهذه السوق موسم عظيم فى شهر رمضان لكثرة ما يباع فيه من الشموع الموكبية . وقد خربت اكثر دكاكينها وكسدت تجارتها نظرا لتدهور أحوال الناس وتركهم استعمال الشمع(٦٥) . وذلك يرجع الى التدهور الاقتصادى الذى لحق بالطبقات الشعبية فى عصر دولة المماليك الثانية منذ عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م . وقد وجدت الطبقات الشعبية فى هذه السوق(٦٦) مجالا للبيع والشراء ومشاهدة الشموع والفوانيس الجميلة المتنوعة وبخاصة فى موسم رمضان وعيد الغطاس حيث يتجمع المسلمون وأهل الذمة للاحتفال بهاتين المناسبتين وشراء كميات كبيرة من الشموع والفوانيس الموكبية . وسوق الدجاجين تلى سوق الشماعين الى سوق الخرشتف(٦٧) وكانت تباع فيها الطيور والدواجن بالاضافة الى طيور الزينة(٦٨) . ويرجع رواج

هذه السوق الى حالة الترف التى كان عليها أهل القاهرة فى عصر دولة المماليك الاولى قبل التدهور الاقتصادى الذى أصاب البلاد .

وتعرف سوق القفيصات(٦٩) الآن بحى « الصاغة » ، وقد خصص للباعة الجالسين الذين كانوا يجلسون فيه تجاه شبابيك القبة المنصورية(٧٠) على تخوت عليها اقفاص صغيرة من الحديد ، وقد شك عليها الخواتم والفصوص واساور النساء وخلاخيلهن وغير ذلك . وكان هؤلاء الباعة يستاجرون الارض(٧١) التى يجلسون عليها من المشرف على البيمارستان المنصورى(٧٢) ، وفى عام ٧٢٦ هـ/١٣٢٥ م اقام المشرف من ماله الخاص خيمة كبيرة لكى يستظل بها اصحاب القفصيات ، وفى عام ٨٣٣ هـ/١٤٢٩ م نقلت هذه الاقفاص الى الصاغة(٧٣) . وكانت المنافسة تشتعل بين ارباب المقاعد واصحاب الحوانيت لحد يتطلب تدخل الدولة من وقت لآخر لمنعهم من دخول الاسواق لأن جلوسهم فى الاسواق يؤدى من ناحية الى تضييق الشوارع والطرق ومن ناحية اخرى الى كساد تجارة اصحاب الدكاكين وقلة الاقبال عليهم(٧٤) . وتعتبر سوق القفيصات من اكبر الاسواق تجمعا للطبقات الشعبية ، اذ تتواجد فيها أعداد كبيرة منهم تنتشر فى أرجائها ، وكانت سوقهم رائجة فى البيع ودليل ذلك تدخل الدولة بينهم وبين اصحاب الدكاكين بسبب ما يحدث بينهم من تنافس وما يسببونه لهم من خسائر مادية .

وقد تحدث ابن الحاج(٧٥) فى كتابه « المدخل » عن الاسواق وما يحدث فيها من المفاسد وبين ضرورة الامتناع من الشراء من اصحاب الطبليات والدكك المستديمة فى الطريق لأن فى ذلك تعديا على الطرق وخاصة الملاصقة لأبواب الجوامع والمدارس(٧٦) .

وتقع سوق المهامزين(٧٧) بالقرب من البيمارستان المنصورى ،

وتباع فيها المهاميز التي تستخدم في ركوب الخيل ، وكان المهاميز من الذهب أو الفضة الخالصة ، ولذا تخلي اهل القاهرة عن استخدامه لارتفاع ثمنه وتدهور احوالهم المالية بعدما اصاب القاهرة من محن منذ عام ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م(٧٨) . وقد اتصلت سوق اللجمين سوق المهامزين ، وكانت تباع بها آلات اللجم وغيرها من المعدات الجلدية التي تستخدم في ركوب الخيل ، وكان بها عدد من صناع الطلاء والكفت(٧٩) ، وصناع السروج وادواتها(٨٠) . وكانت الطبقات الشعبية تقصد هذه السوق بهدف العمل لا للشراء نظرا لارتفاع ثمن الخيول ، ولاقتصار استخدامها على طبقة المماليك .

وتقع سوق الجوخيين في الجزء الجنوبي الغربي من القاهرة ويباع فيها الجوخ لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج ، وكان لبس الجوخ مقصورا على الطبقات الشعبية في القاهرة ومن يأتي من بلاد المغرب واهل الاسكندرية ، اما طبقة المماليك والامراء فيرتدونه احتماء من المطر فلما ساءت الأحوال الاقتصادية وشمل ذلك معظم اهل القاهرة ، ساد استخدام الجوخ في صنع الملابس بين مختلف الطبقات(٨١) .

وسوق الشرابشيين(٨٢) اقيمت بعد عصر الدولة الفاطمية ويقع في المنطقة التي بنى فيها السلطان الغوري المسجد والمدرسة والوكالة التي تعرف حاليا باسم « الغورية » وقد تخصصت هذه السوق في بيع الخلع والتشاريف التي كان السلطان يمنحها للأمراء والوزراء والقضاه وغيرهم(٨٣) . وقد استمر استخدام الشربوش في عهد دولة المماليك البحرية وابطل استخدامه في عصر دولة المماليك الجراكسة . وقد انحصرت علاقة الطبقات الشعبية بهذه السوق على الاشتغال ببعض الحرف المرتبطة

بصناعة الشربوش والتى انتشرت مع انتشار استخدام الشربوش ذاته . وتتصل سوق الحوائصيين(٨٤) بسوق الشرابشيين وكانت حوانيتها مخصصة لبيع المناطق التى يتمنطق بها الجنود ، وقد اعتاد السلطان الناصر أن يوزع سنويا على المماليك حوائص من الذهب والفضة ، وقد قل الاهتمام تدريجيا بهذه التجارة ، واقتصر البيع فى حوانيتها على طواقى الاطفال(٨٥) .

وتعد سوق الحلاويين من ابهى الأسواق فى القاهرة فى العصر المملوكى ، وذلك لما تضمنه من حوانيت آلات النحاس بديعه الصنع الى جانب ما يعرض فيها من شتى انواع الحلوى الملونة والتى تسمى بـ « المجمعة » وكان لهده السوق مواسمها التى تزدهر فيها مثل شهر رجب ونصف شعبان ورمضان حيث تمتلىء بأنواع مختلفة من التماثيل السكرية على هيئة خيول وسباع وقطط ، وعرفت هذه التماثيل باسم « العلاليق »(٨٦) لأنها كانت تعلق بخيوط على الحوانيت(٨٧) . وكان الناس من مختلف الطبقات يبتاعون من سوق الحلاويين التماثيل السكرية لأطفالهم . وفى موسم عيد الفطر يبتاعون منها ايضا حب الخشكنانج(٨٨) ، وقطع البسندود(٨٤)) ، والمشاش(٩٠) ومع تدهور الأحوال الاقتصادية لأهل القاهرة الى جانب ارتفاع سعر السكر تضاءل الاهتمام بصنع الحلوى وقل عدد صناعها(٩١) .

ومن الاحياء الشهيرة فى القاهرة فى عصر الدولة المملوكية حى الصاغة الذى يقع فى شارع بين القصرين (المعز لدين الله حاليا)(٩٢)؛ وهو يضم احد الأسواق الخاصة ببيع مختلف انواع الحلى المصنوعة من الذهب الخالص أو الفضة ، ومازالت هذه السوق قائمة فى القاهرة فى وقتنا الحاضر . والصاغة كانت مطبخا للقصر فى أيام الفواطم ، ويمكن الوصول اليه من باب

الزهومة(٩٣) وبطبيعة الحال لم تكن الطبقات الشعبية تقصد هذه السوق بغرض الشراء وانما من اجل التنزه والمشاهدة او العمل (كحمالين) هذا بالاضافة الى الاعمال الشعبية لما يحتويه هذا الحى من وكالات مختلفة سياتى الحديث عنها فى موضعها .

اما سوق الكتبيين فتقع بين الصاغة والمدرسة الصالحية(٩٤)، وقد انشئت بعد عام ٧٠٠ هـ/١٤٠٠ م وهى من ضمن أوقاف البيمارستان المنصورى، وكانت قبل ذلك بالقرب من جامع عمرو ابن العاص ، يقصدها اهل العلم من كل حدب وصوب(٩٥) . والطبقات الشعبية ترداد هذه السوق للعمل كحمالين أو خدم يعاونون فى مختلف شئون الكتبيين . ومن الأسواق الأخرى فى
أبن العاص ، يقصدها اهل العلم من كل حدب وصوب(٩٥) .
السيوفية وتباع فيها الصناديق والخزائن والاسرة وغيرها من المصنوعات الخشبية(٩٦) وسوق الحريريين(٩٧) متقع بين قيسارية العنبر وحي البندقانيين(٩٨) ، ومكانها الحالى بين البيمارستان وجامع المطهر(٩٩) ، وهى سوق الخاصة ، اما الطبقات الشعبية فكانوا يرتادونها للعمل فى الوظائف الهامشية . وتقع سوق العنبريين(١٠١) بين سوق الحريريين وبين قيسارية العصفر(١٠٢)، وقد انشأها المنصور قلاوون (٦٧٨ هـ/١٢٧٩م(١٠٣) مكان سجن المعونة(١٠٤) ، لأن المنصور قلاوون كان حينما يمر من داره الى قلعة الجبل يسمع صراخ المسجونين وشكواهم من الجوع ، فلما تولى السلطنة أنشا هذه السوق وكان المصريون على اختلاف طبقاتهم يستعملون العنبر ولكن بعد عام ٧٧٠ هـ/١٣٦٨ م كثر الغش فيه حتى اصبح اسما لا معنى له وقلت رغبة الناس فى استعماله ، فاصاب هذه السوق ما اصاب غيرها(١٠٥) . وقد تواجدت الطبقات الشعبية فى هذه السوق بهدف العمل والمشاهدة.

. وسوق الحراطين (النجارين) فتقع بين دار الضرب(١٠٦) والوكالة(١٠٧) وبين البيمارستان ، وكانت سوقا كبيرة معمورة بالحوانيت التى يباع فيها المهد الذى يربى فيه الأطفال ، وحوانيت اخرى للخراطين وصـــناع الســـكاكين ، وقد اندثر كثيره من الأسواق(١٠٨) ، منذ عام ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م ابان عصر دولة المماليك الثانية بعدما أصابتها مظاهر الوهن والتدهور الاقتصادى . وقد تواجدت الطبقات الشعبية بهدف البيع والشراء والمشاهدة . ذلك لأن السكاكين من الأدوات الضرورية لمختلف الفئات بغض النظر عن الوضع الطبقى لها .

وتقع سوق الجملون الكبيرة بوسط سوق الشرابشيين وتصل حتى البندقانيين(١٠٩) وحارة الجودرية(١١٠) ، وقد أنشئت فيها حوانيت شغلها البزازون ، وكانت تباع فيها الأقمشة والملابس ، وقد وقف الملك الناصر محمد بن قلاوون(١١١) على تربة مملوكه يلبغا التركمانى فى عام ٧٠٧ هـ/١٣٠٧ م ، ثم عمل عليه بابين يغلقان ليلا(١١٢) .

ومن أسواق القاهرة المملوكية التى اشتهرت ببيع الفراء سوق الفراءين(١١٣) التى تقع بجوار الجامع الأزهر ، وقد راجت تجارة هذه السوق نظرا لشغف رجال الدولة من الأمراء والمماليك بلبس الســـمور(١١٤) ، والوشـــــق(١١٥) ، والقماقم (١١٦) ، والسنجاب(١١٧) ، وقد حذا بعض الطبقات الشعبية حذو الأمراء والمماليك فى ارتداء بعض أنواع هذا الفراء فى بعض الفترات التى تحسنت فيها أحوالهم الاقتصـــادية فى عصـــر دولة المماليك الأولى(١١٨) . أما السوق التى اشتهرت فى القاهرة المملوكية ببيع الكوافى وطواقى الأولاد فهى سوق البخانقيين(١١٩) التى تقع بين الجملون الكبير(١٢٠) وقيسارية الشرب(١٢١) ، وقد اعتاد صفوة

الثوم فى دولة المماليك الجركسية ارتداء الطواقى بغير عمامة دون تحرج ، وقد تشبهت بعض النسوة بالرجال فى ارتداء بعض أنواع الطواقى سميت بالطواقى الجركسية وذلك لسببين اولهما : انتشار ظاهرة تعلق بعض المماليك بالفتيان الأمر الذى دفع بعض النسوة الى ارتداء ما يرتدونه لينلن حظوة فى قلوبهم وثانيهما تدهور الأحوال الاقتصادية لأهل القاهرة بصفة عامة وللنساء من الطبقات الشعبية بصفة خاصة منهم الى التخلى من ارتداء المشغولات الذهبية والفضية والاكتفاء بلبس الطواقى(١٢٢) .

ومن هنا لم تقتصر علاقة الطبقات الشعبية بسوق الخلاقيين على مجرد العمل فى احدى حرفها أو مشاهدة ما يعرض فيها ، بل قصدته نساء العامة بهدف الشراء .

ومن أسواق القاهرة المملوكية التى عرفت على زمن المقريزى باسم الزقيق (تصغير زقاق) والتى كانت تسمى قديما بسوق الخشابين ، وعرفت كذلك باسم سوق الظعميين(١٢٣) وتقع هذه السوق بين قيسارية الفاضل (١٢٤) وباب رويلة(١٢٥) ، وتباع فيها الملابس المستعملة ، وهى من اعمر أسواق القاهرة ، اشتهرت بكثرة حوانيتها المعدة لبيع هذه الثياب(١٢٦) . وقد قصدها الطبقات الشعبية لشراء ما يلزم من ثياب مستعملة اذ كانت الطبقات الشعبية عاجزة عن شراء الملابس الجديدة التى تفوق أسعارها امكاناتهم المـــادية .

وتقع سوق البندقانيين(١٢٧) خلف بيمارستان قلاوون ، وكان يتجه اليها من سويقة الزجاجين ، وتسمى قديما باسم بئر رويلة(١٢٨) . ثم عرفت بعد ذلك بحى البندقانيين ، وكانت سوقا كبيرة معمورة الجانبين بالحوانيت التى تهدم أعلاها بسبب حريق البندقانيين الذى وقع عام ٧٥١ هـ/١٣٥٠ م وقد احترق هذا الحى

فى أحد أيام الجمعة فى أثناء الصلاة ولم يعرف سبب هذا الحريق آنذاك ، وكانت النيران من الارتفاع فى ذلك اليوم بحيث يمكن رؤيتها من القلعة ، وقد استدعى السقاءون فى الحال لاطفاء هذا الحريق لكنهم باءوا بالفشل ، وعم الحريق دكاكين البندقانين والرسامين وغيرها من الحوانيت(١٢٩) . وقد ضمت هذه السوق كثيرا من أرباب المعاش من بائعى المأكولات الى جانب كثير من بائعى الفقاع(١٣٠) .
ومع تدهور الأحوال الاقتصادية فى دولة المماليك الجراكسة اندثرت هذه السوق كغيرها من أسواق القاهرة الأخرى(١٣١) . وقد أنشئت سوق الاخفافيين(١٣٢) فى عام ٧٨٠ هـ/١٣٧٨ م فوق الاطلال التى نجمت من حريق سوق البندقانيين ، تباع فيها أخفاف النساء ونعالهن ، ويطلق على النعل فى العصر المملوكى سر موزة(١٣٣) .
وقد أعيد تجديد هذه السوق مرة أخرى فى أثناء العصر المملوكى وبنى فوق حوانيتها عدة مساكن كان يسكنها بائعو أخفاف النساء(١٣٤) أما سوق الكفتين فكان الطريق اليها يبدأ من البندقانيين ومن حارة الجودرية ومن الجملون الكبير(١٣٥) ، وقد ضم عدة حوانيت لصناعة الكفت(١٣٦) وهو تطعيم النحاس بالذهب والفضة ، حيث كان الناس يعشقون النحاس المكفت فلا تكاد تخلو منه دار ولابد أن يكون فى شوار العروس دكة نحاس مكفت ، والدكة عبارة من شىء يشبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس ، أو من خشب مدهون ، وفوق الدكة دست طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة وعدد الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض وتست أطباق عدتها سبعة بعضها فى جوف بعض وغير ذلك من المنابر والسرج وأحقاق الاشنان ، والطشت والأبريق والمبخرة ، وتبلغ قيمة الدكة من النحاس مائتى دينار ذهبا . وقد كانت الطبقات الشعبية تكتفى بدكة واحدة عند تجهيز بناتهم ومن

هنا تعددت أوجه ارتباط الطبقات الشعبية بسـوق الكتبين ، فبعضهم كان يقصده للشراء والبعض الآخر من الصناع للعمل كما كان بعضهم يزوره لمشاهدة ما به من مصنوعات بديعة الصنع . ومن الأسواق التي تخصصت في بيع صنف واحد من السلع أو البضائع سوق الاتباعيين(١٣٧) التي تقع بحي تحت الربع خارج باب زويلة(١٣٨) ، وتختص ببيع الطواقي وسوق السقطيين(١٣٩) التي تقع خارج باب زويلة بجوار دار التفاح(١٤٠) ويبـاع فيها الكروش والاسقاط ، وسوق الأبارين التي تقع في حي السبع خوخ العتيق(١٤١) والتي تعرض فيها مختلف لوازم الحياكة(١٤٢) . وقد كانت صلة الطبقات الشعبية بهذه الأسواق المتخصصة وثيقة نظرا لحاجتهم لما يعرض فيها من بضائع الى جانب مزاولتهم لبعض الحرف بها . وقد ساعد على هذا الارتباط قرب مساكنهم من مناطق العمل في هذه الأسواق .

وفي فترة المعز ايبك التركماني٦٥٢ هـ/١٢٥٥ م استجدت سوق سميت بسوق السراجين(١٤٣) التي شغلها صناع السرج وبائعوه، كما كانت هناك سوق القرافة التي كانت مخصصة لخدمة سكان المقابر ، كما ضمت بعض الصناع الذين عملوا بجدل الخوص(١٤٤)، ويعتبر السلطان فرج بن برقوق(٨٠١ هـ/١٣٩٨ م) أول من فكر في تشييد ابنية تجارية في القرافة تكون بالقرب من ضريح ابيه واشتملت هذه الأبنية ضمن ما اشتملت على الأسواق ، وقد فكر السلطان في تغيير سوق الجمال والحمير هناك واقامة مخبز وطاحون وحمام قبل قتله ولكن بقتله اعيدت الى حالتها الأولى في المقابر(١٤٥) .

وقد تواجدت الطبقات الشعبية في أسواق القاهرة المملوكية إما بغرض العمل كحمالين ، أو بهدف الشراء ، كما امتلكوا بعض الحوانيت الصغيرة المتواضعة التي تعرض البضـائع البسـيطة

زهيدة الثمن ، وذلك فى بعض الاسواق نحو سوق باب الفتوح ، وسوق خان الرواسين ، وسوق حارة برجوان ، وسوق الشماعين، وسوق بين القصرين وغيرها . كما كان بعض الطبقات الشعبية يجلسون تجاه شبابيك القبة المنصورية على تخوت فوقها اقفاص صغيرة عليها الخواتم واساور النساء ، والبعض الآخر يتجول فى هذه الاسواق بهدف المشاهدة ، وهناك من كان يقصدها للتسول ، فضلا عن وجود أصحاب العاهات والعميان الذين كانوا يعيشون على فتات الآخرين وخير شاهد على ذلك قول الرحالة طافور فى اثناء زيارته للقاهرة «وجدت بعض الفقراء وبايديهم الغرابيل(١٤٦) وهم ينخلون الرمال ، فسالت عن معنى ما ارى ، فعلمت أنهم من الزعر(١٤٧) الذين جاءوا يلتمسون شيئا من الفتات المتساقط على الارض منذ ذلك الجمع الكبير من الرجال»(١٤٨) . فهذا القول يعكس مدى تدهور الحياة الاقتصادية فى القاهرة وبخاصـــة فى دولة المماليك الثانية (٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م) والذى انعكس على كافة مجالات الحياة فى القاهرة المملوكية ، وكانت الطبقات الشعبية فى مقدمة الطبقات التى تاثرت بهذا التدهور ، فقد اشتدت معاناتها من الفقر والفاقة والجوع والعوز .

بعد هذا الوصف الذى عرضناه ــ فيما سبق ــ للأسواق فى القاهرة المملوكية ، من حيث ذكر مواضعها على خريطة القاهرة آنذاك وتوضيح ما كانت تضمه من سلع وبضائع ثم ذكر مستويات العلاقة بينها وبين الطبقات الشعبية سواء اكانت علاقة بيع وشراء ام علاقة عمل او تنزه ، ينبغى التاكيد على ان الاسواق فى تلك العصر لم تكن مجرد اماكن للبيع والشراء فحسب بل كانت بمثابة كيان جامع لمختلف مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية آنذاك . ويتمثل دور الاسواق السياسى فى القاهرة المملوكية فى الدولة كمركز لنشر الاخبار والمراسيم الحكومية واذاعتها بين

مختلف الطبقات الشعبية(١٤٩) . وقد استخدمت الأسواق كوسيلة لنشر المعلومات نظرا لازدحامها الدائم وتواجد أعداد غفيرة من الطبقات الشعبية فيها سواء من المتسوقين او الباعة الجائلين الذين كانوا يفرشون الأرض عارضين بضاعتهم ، وقد عدت الأسواق مؤشرا مهما لطبيعة العلاقة السياسية بين الدولة والطبقات الشعبية فى العصر المملوكى نظرا لاستخدامها كوسيلة لاعلام الطبقات الشعبية فى القاهرة بما تقرره الدولة من أوامر ونواه ، وكلما كثر ما تفرضه الدولة على الطبقات الشعبية من أوامر ونواه كان ذلك دليلا على التدهور العام فى احوال الدولة(١٥٠) .

وقد اسهمت الأسواق كذلك فى بلورة وتغذية الوجدان الشعبى للطبقات الشعبية من اهل القاهرة ، وذلك من خلال ما يتلقونه خلال تواجدهم فيها من قصص وحكايات ونوادر تتعلق بسلاطين وامراء المماليك (١٥١) . الى جانب ما يكتسبونه من عادات باختلاطهم بغيرهم من اهل الذمة فى اثناء تواجدهم معا فى هذه الأسواق(١٥٢) .

وقد كانت الأسواق فى القاهرة المملوكية مؤشرا مهما لاحكام قبضة الدولة على مختلف مظاهر النشاط الاقتصادى آنذاك ، وكلما حظيت الطبقات الشعبية باهتمام الدولة انعكس ذلك فى صورة رقابة صارمة على الأسعار فى هذه الأسواق او اقامة بعض الانشاءات او التوسعات او الحرص على استكمال وسائل الاضاءة والنظافة فيها(١٥٣) . كما كانت العلاقة السياسية بين المماليك انفسهم تؤثر سلبا او ايجابا فى نشاط اسواق القاهرة ، فكلما زاد الصراع بينهم تأثرت جميع النشاطات التجارية التى يتحكم فيها السلطان والأمراء ، وتبدو مظاهر ذلك فى ارتفاع أسعار السلع المعروضة فى الأسواق الأمر الذى يؤثر بصورة سلبية على السواد

الاعظم من الطبقات الشعبية بالرغم مما كانت تقوم به الدولة أحيانا من تقديم يد العون للفقراء من أهل القاهرة في مثل هذه الاحوال(١٥٤) .

ومن علاقة نساء الطبقات الشعبية بالأسواق ابان العصر المملوكي فقد كان خروجهن اليها يعد نوعا من الترفيه والتسلية ، بل ان النساء كن يمثلن غالبية رواد الأسواق في بعض المواسم والاعياد والتي كان المصريون جميعا يحتفلون بها سواء كانوا مسلمين او من اهل الذمة مثل « عيد الغطاس » « وخميس العهد » و « النصف من شعبان » و « رمضان »(١٥٥) لشراء ما يلزمهن من السلع الغذائية والكمالية ، وقد اثارت ظاهرة خروج النساء من الطبقات الشعبية الى الأسواق حفيظة بعض الفقهاء المعاصرين لتلك الفترة خاصة لانهن كن يخرجن متبرجات(١٥٦) ، ومن هنا صدرت بعض المراسيم التي تحظر خروج النساء ، والا عوقبن باشد انواع العقاب(٥٧) .

وقد ضمت الأسواق في القاهرة المملوكية عدة منشآت تجارية عملت بها بعض الطبقات الشعبية وبخاصة في بعض المهن الثانوية كحمل البضائع وخلافه . ومن هذه المنشآت الوكالة(١٥٨) وهي اشبه ما تكون بالأسواق التجارية التي تعرف بالبورصة(١٥٩) . وقد ارتبط صغار التجار او ما يطلق عليهم تجار التجزئة بمثل هذه الوكالات بهدف شراء البضائع والسلع لبيعها مرة ثانية للحصول على هامش الربح المتبقي من سعر البضائع بالجملة وسعرها بالتجزئة .

ومن امثلة الوكالات وكالة توصون(١٦٠) التي انشاها الأمير توصون وهي احدى الوكالات المملوكية المهمة في عصر السلطان

الناصر محمد بن قلاوون(١٦١) ، وتقع بين الجامع الحاكمى ودار سعيد السعداء(١٦٢) . وقد كان ينزل بها التجار ببضائعهم التى يجلبونها من بلاد الشام كالزيت والصابون والفستق والجوز واللوز وغير ذلك . وكانت تدهش من يشاهدها لكثرة ما فيها من أصناف البضائع وازدحام الناس وعلو أصوات العتالين عند حمل البضائع، ويعلوها عدة رباع تشتمل على ثلثمائة وستين بيتا يقطن بها حوالى اربعة آلاف نفس(١٦٣) . وقد اندثرت معالم هذه الوكالة ولم يبق منها سوى المدخل الذى يقع فى شارع الجمالية(١٦٤) . وقد ذكر المقريزى فى وصفه للرباع التى ضمتها هذه الوكالة أنه قد سكنها أعداد كبيرة من الطبقات الشعبية الى جانب ما كان يتواجد فيها من حمالين وعتالين للبضائع .

وكالة باب الجوانية(١٦٥) تقع تجاه باب الجوانية من القاهرة بين درب الرشيدى(١٦٦) ووكالة قوصون ، وكانت هناك مدة مساكن فى موضعها(١٦٧) ، فشرع الأمير جمال محمود بن على الاستادار(١٦٨) بهدمها وبناء الوكالة(١٦٩) ، واصبحت هذه الوكالة من الوكالات الكبيرة التى يرد اليها من الشام مختلف أصناف البضائع ، وقد وقفها الأمير محمود على المدرسه الخانقاه التى انشأها بحى بين القصرين(١٧٠) .

وكالة الغورى انشأها السلطان الأشرف قنصوه الغورى فى عام ٩٠٩ هـ — ٩١٠ هـ/١٥٠٣ — ١٥٠٤ م ، وتقع هذه الوكالة بشارع التبليطة (محمد عبده حاليا) بين الجامع الأزهر ومدرسة السلطان الغورى(١٧١) ، وتعتبر من المنشآت التجارية(١٧٢) المهمة فى العصر المملوكى الجركسى (٧٨٤ هـ — ٩٢٢ هـ/١٣٨٢ — ١٥١٧ م(١٧٣) . وقد ارتبطت بعض فئات الطبقات الشعبية بها سواء لأغراض العمل أو لمشاهدة ما يعرض من بضائع وسلع .

وقد انشأ السلطان قايتباى ثلاث وكالات الاولى بباب النصر وقد اسسها فى عام ٨٨٢ هـ — ١٤٧٧ م(١٧٤) ، وتقع بشارع باب النصر بالقرب من باب النصر خلف جامع الحاكم بأمر الله ، وقد اشتهرت باسم وكالة الحشيشة (أى القرة التى تنفش)(١٧٥) .
والثانية بالأزهر واسست فى عام ٨٨٥ هـ — ٨٨٦ هـ — ١٤٨٠ — ١٤٨١ م ، وكان الغرض من انشائها خدمة الحجاج ، أما الوكالة الثالثة التى اسسها فتقع فى حى السروجية بالقاهرة ولها واجهة طويلة وفى وسطها مدخل محاط به عدة دكاكين ، لم يتبق من هذه الوكالة سوى اجزاء من الواجهة ومن المدخل(١٧٦) .

ومن منشآت ذلك العصر ايضا الفنادق والخانات وتعد الفنادق(١٧٧) من المنشآت التجارية المهمة التى كانت تستخدم لايواء الأجانب فى القاهرة ، وكانت اشبه بالأسواق الكبيرة ، توضع البضائع فى اسفلها ، ويتحول اعلاها ليلا الى مكان للنوم(١٧٨) ، ويعد فندق دار التفاح(١٧٩) من الفنادق التى كانت تباع فيها بعض انواع الفاكهة الواردة من الشام(١٨٠) ، وقد عمل به عدد كبير من الطبقات الشعبية وذلك فى اعمال العتالة لنقل الفواكه الى مختلف اسواق القاهرة . وهناك عدد من الحمالين يلبون اى طلب للمشترين ، فهؤلاء الأفراد على استعداد للقيام باية خدمة لقاء اجر زهيد(١٨١) . ومن الفنادق التى انشئت فى الدولة الايوبية واستمرت تؤدى وظيفتها فى العصر المملوكى فندق بلال(١٨٢) ويقع بين حمام خشيبة(١٨٣) وحارة المحمودية(١٨٤) ، وكان التجار يودعون صناديق اموالهم . ودليل ذلك ما ذكره المقريزى(١٨٥) من انه كان يشاهد داخل هذا الفندق صناديق للأموال مختلفة الاحجام مصنوعة من الذهب او الفضة بديعة الصنع(١٨٦) . ومن ذلك يتضح انه كان هناك بعض الفنادق خلال العصر المملوكى تخصصت فى انواع التجارة نحو تجارة اللوز

والجوز والتوابل وغيرها . أما فندق الصالح فيقع بجوار باب زويلة ، وقد انشأه الملك الصالح علاء الدين على بن السلطان الملك المنصور قلاوون ، وكان يعلوه ربع يضم عدة مساكن(١٨٧) ، واتخذ مسكنا لتجار البطيخ ، كما ضم بعض الحوانيت المخصصة لصغار التجار في طابقه الأول(١٨٨) .

ومن منشآت العصر الايوبي والتي استمرت حتى العصر المملوكي فندق ابن قريش ، الذي انشأه القاضي شرف الدين ابراهيم بن قريش كاتب الانشاء ثم انتقل بعد ذلك الى حوزة ورثته(١٨٩) ومن فنادق القاهرة المملوكية التي كان ينزل فيها تجار الزيت الذين يأتون من الشام فندق طرنطاي(١٩٠) الذي كان يضم ربعا كبيرا ويحتوي على ستة عشر عمودا من الرخام ، وقد احترق هذا الفندق في نهاية العصر المملوكي في عام ٧٢١ هـ/١٣٢١ م ولم يتبق منه شيء يذكر(١٩١) .

ومن الفنادق التي تميزت بعرض أنواع محددة من السلع فندق الحصر الذي كانت تباع فيه الحصر الى جانب الرطب الأمهات والزيتون الاخضر ، وفندق القصب وكان مخصصا لبيع القصب والسكر ، وفندق دار الخضر الذي خصص لبيع الخضار ، وفندق العسل الذي كان يباع فيه العسل الى جانب بعض الفنادق الأخرى نحو فندق الدقيق وفندق الصابونيين(١٩٢) .

ويستخلص من العرض السابق أن معظم هذه الفنادق التي وجدت في القاهرة ابان العصر المملوكي أنشئت في العصر الايوبي ، واستمرت الى ما بعد ذلك حتى اندثر بعضها في أواخر دولة المماليك الثانية ، ولم تكن الفنادق في العصر المملوكي وقفا على اغراض السكنى بل عرضت بها بعض أنواع السلع والبضائع،

وتخصص بعضها فى عرض أنواع محددة منها ، وقد أقبلت بعض الطبقات الشعبية فى ذلك العصر فى الرباع التى تعلو بعض هذه الحوانيت ، كما عملت بها فى بعض الأنشطة الثانوية كحمالين أو موزعين للبضائع على ما يسمونه حاليا (بتجار التجزئة) .

وتعد الخانات من المنشآت التجارية المهمة فى عصر دولة المماليك ، فقد تخصص كل منها فى نوع محدد من التجارة ، وقد سميت بالخانات ومفردها خان تأثرا بالفرس الذين كانوا يطلقون على الحانوت أو المكان الذى ينزل به التجار كلمة خان(١٩٣) . ومن هذه الخانات التى تواجدت فى القاهرة المملوكية « خان مسرور»(١٩٤) الذى يتكون من مبنيين أحدهما كبير يقع بالقرب من باب الزهومة الى سوق الحريريين ، والآخر أصغر حجما ويقع بالقرب أيضا من باب الزهومة الى الجامع الازهر ، وقد كان مسرور هذا من خدام القصر فى الدولة الفاطمية ، وبعد زوال دولة الفواطم التحق بخدم صلاح الدين الأيوبى ، وفى ايام الكامل انقطع للعبادة واستقر بداره ثم بنى هذا الخان ، وكان قبل بنائه مسلحة يباع فيها الرقيق ، ويرد اعيان التجار من الشام ببضائعهم الى هذا الخان ، كما كانت تودع به أموال اليتامى والمعوزين من الطبقات الشعبية ، وقد تهدمت أماكن متعددة منه مع تدهور الاحوال الاقتصادية لدولة المماليك الثانية ، وضعف الاهتمام بأبنية ومنشآت القاهرة فى ذلك الوقت(١٩٥) . ويقع خان السبيل(١٩٦) خارج باب الفتوح ، وقد بناه الخادم بهاء الدين قراقوش الذى بنى السور المحيط بالقاهرة وجعله لابناء السبيل(١٩٧) ، وكان ذلك فى الدولة الأيوبية واستمر هذا الخان فى العهد المملوكى ، وفى عام ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥ م أمر السلطان بيبرس بجمع أصحاب العاهات ، فجمعوا بهذا الخان ، ونقلوا الى مدينة الفيوم(١٩٨) ، وقد اشتمل هذا الخان على بعض البساتين والمبانى ويعد من أحياء الحسينية(١٩٩) .

وبالقرب من الجامع الأزهر يقــع احــد الخانات المهمة فى القاهره المملوكية وهو خان مكورش الذى يقع بحى سوق الحسين، وقد بناه الامير منكورش الذى كان احد مماليك السلطان صلاح الدين وتدرج فى الوظائف حتى صار احد الأمراء ، وقد توفى فى عام ٥٧٧ هـ/١١٨١م(٢٠٠) . واســتمر هذا الخان فى العهد المملوكى وعرف بخان النشارين ، وقد وقف على جهات البر(٢٠١) .

ويقع خان الخليلى بحى الزراكشــــة العتيق(٢٠٢) ، وكان موضعه تربة القصر الموجود فيها قبور الخلفاء الفاطميين والتى عرفت بتربة الزعفران ، انشاه الامير جهاركس الخليلى أمــــير آخور(٢٠٣) ، الملك الظاهر برقوق ، وكان كثير البر ، وقف هذا الخان على الفقراء(٢٠٤) . يتبين مما سبق ان كل خان من خانات القاهرة المملوكية كان مخصصــا لنوع واحد من التجارة ، كما يتضح لنا ان الوكالات والفنادق والخانات مسميات لنوع واحد من المنشآت التجارية ، وقد اكد المقريزى هذه الحقيقة عند حديثه على وكالة قوصون اذ ذكر « ان هذه الوكالة فى معنى الفنادق والخانات(٢٠٥)» . هذا عن اهم الوكالات والفنادق والخانات التى تواجدت فى العصر المملوكى والتى ترددت عليها الطبقات الشعبية بغرض العمل او المشاهدة .

وفيما يتعلق بتواجد الطبقات الشعبية بالمساجد ابان العصر المملوكى فقد تناولت هذا الموضوع بالتفصيل فى المدخل والفصل الاول والفصل الثانى(٢٠٦) .

وتعتبر خانقاوات العصر المملوكى من العمائر الدينية المهمة التى انتشرت فى مصر خلال تلك العصر وكانت مخصصة لايواء الصــوفية المنقطعين للعبادة(٢٠٧) . وقد ارتبطت وظيفة بعض

الخانقاوات في عصر المماليك ببعض المظاهر الدينية نحو اقامة خطبة الجمعة ، ولذا اطلق عليها الجامع الخانقاه تميزاً لها عن المسجد الجامع الذى اقتصرت وظيفته على اقامة الصلاة(٢٠٨) .

وفى عهد دولة المماليك البحرية كان لبعض الخانقاوات غرض مزدوج يجمع ما بين الطابع الدينى والتعليمى ، وقد اطلق على هذا الضرب من الخانقاوات اسم المدرسه الخانقاه تميزا لها عن الخانقاه الموقوفة على الغرض التعليمى فحسب(٢٠٩) . ومن الخانقاوات التي زخرت بها القاهرة فى العصر المملوكى خانقاه ركن الدين بيبرس(٢١٠)، والتى تقع بحى الجمالية تجاه الدرب الأصفر(٢١١) وهى من احسن الخانقاوات بناء واتساعا وصنعة ، انشاها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى(٢١٢) قبل ان يعتلى السلطنة فى عام ٧٠٦ هـ/١٣٠٦ م وبنى بجانبها رباطا(٢١٣) كبيرا يمكن الوصول اليه من داخلها وشيد بجانب الخانقاه قبه تضم قبرا ليدفن فيه ، وقد اكتمل بناؤها فى عام ٧٠٩ هـ/١٣٠٩(٢١٤) . ووقفها بيبرس على المتصوفة الكهول والشيوخ والبالغين من العرب والعجم على اختلاف طبقاتهم(٢١٥). والحق بالخانقاه ربعمائة صوفى(٢١٦) ، وقد اقام بالرباط مائة من المسلمين المتصوفة الفقراء الذين لا مأوى لهم ، هذا بخلاف الشيخ، والامام(٢١٧) ، والمؤذن ، والخادم والبواب(٢١٨) . ويوجد بالخانقاه « خازن الكتب » او شاهد خزانة الكتب وهو من الثقاة الأمناء القادرين على القيام بخدمة الكتب وهو مثل امين المكتبة فى عصرنا الحالى وفى العصر المملوكى كان يتسلم الكتب ويضعها بالخزانة وكانت مدة استعارة الكتب فى بعض الخوانق تصل الى شهر على الاكثر(٢١٩) ، وتكون للفقراء الذين يصعب عليهم الحصول عليها(٢٢٠) ، وعلى الخازن ترتيب الكتب وتنظيمها

وتجليدها اذا تمزقت(٢٢١) ، وقارىء القرآن أو الواعظ لابد أن يجيد القراءة وان يكون حسن الصوت(٢٢٢) ، والا يستخدم صوته فى الغناء المحرم ، وفى مجالس الخمور والمنكرات(٢٢٣) ، وكذلك يوجد كاتب الغيبة الذى يشترط ان يكون امينا عادلا ذا ثقة وعليه حصر من يتغيب عن الخانقاه من الصوفية حتى لا يصرف لهم رواتبهم عن مدة الغياب(٢٢٤) .

وتوجد بالخانقاوات خزانة بها السكر والأشربة والأدوية وكذلك وجد الكحال (طبيب العيون) لعلاج الصوفية(٢٢٥) . ومن الوظائف الرئيسية ايضا وظيفة الوقاد الذى كان يعهد اليه تعمير القناديل واضاءتها وطفيها وغسلها وتغيير المياه(٢٢٦) ، وهناك أيضا المبخر وكانت مهمته التبخير فى كل يوم جمعة قبل الصلاة(٢٢٧) ، وبالاضافة الى الوظائف السابقة فى الخانقاه كان يوجد ايضا الفراش وسواق الساقية والرشاش والساقى(٢٢٨) . وقد شغلت بعض فئات الطبقات الشعبية مثل هذه الوظائف الثانوية فى الخانقاه ، هذا الى جانب اتخاذهم الخوانق مأوى لهم ، لما كانت تضمه من كفالة العيش وسد حاجاتهم الاقتصادية الضرورية .

اما عن الحياة الدينية داخل الخانقاه فكان الشيخ يجلس على كرسيه وامامه المصحف والصوفية حوله بعد عصر كل يوم يقرءون القرآن على مايراه شيخهم(٢٢٩) . ويفرق عليهم أجزاء من القرآن العظيم يطلق عليها الربعات الشريفة ، فيقرأ الشيخ ما تيسر له قراءته من القرآن ثم يتبعه الصوفية فى القراءة ، ثم تختم التلاوة بالدعاء والاستغفار(٢٣٠) ، وقد رتب بالقبة درس للحديث النبوى له مدرس وعدد من المحدثين ، وكان هناك ايضا بعض قراء القرآن الذين يتناوبون القراءة ليلاونهارا(٢٣١) .

ويعتبر المطبخ ضروريا في الخوانق ، ولهذا زودت الخانقاه بكل ما يحتاجه المقيمون فيها ، حتى يتحقق للخانقاه استقلالها ، فكان الطباخ يعد الطعام للصوفية ، ويقوم الوزان بوزنه هو والخبز(٢٣٢) وكانت الحلوى توزع يوميا على الصوفية(٢٣٣) ، وكذلك في ايام المواسم كعيدي الفطر والأضحى والحبوب في يوم عاشوراء من كل عام ، وذلك على حسب ما يراه شيخ الخانقاه(٢٣٤) . ومن عادات الصوفية في الطعام يأتى الخادم اليهم في الصباح ، فيعين له كل واحد ما يشتهيه من الطعام ، فاذا اجتمعوا للأكل ، جعلوا لكل صوفي خبزه وطعامه في اناء لا يشاركه فيه أحد وطعامهم مرتان في اليوم ولهم كسوة في الشتاء والصيف ، ومرتب شهري من عشرين الى ثلاثين درهما للواحد في الشهر ، ولهم حلاوة من السكر في كل يوم جمعة ، وصابون لغسل ملابسهم(٢٣٥) . هذا فيما يخص غير المتزوجين ، أما المتزوجون فلهم خوانق خاصة بهم ، وكان عليهم حضور الصلوات الخمس والمبيت بالخانقاه ، ومن عاداتهم أيضا جلوس الصوفى على سجادة خاصة به ، واذا صلى الصبح قرا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم ، ثم يحضرون نسخا مجزاة من القرآن ، فيأخذ كل فقير جزءا ويختمون القرآن ويذكرون .ويفعلون ذلك بعد صلاة العصر(٢٣٦) . وكانت الناس تأتى الى القاهرة يوم الجمعة لمشاهدة صوفية خانقاه سعيد السعداء عندما يتوجهون الى الصلاة بالجامع الحاكمي للتبرك برؤياهم(٢٣٧) .

ومن مساكن الصوفية فقد كان عدد خلاوى الخانقاه لا يقل من مائة مسكن معظمها يقع خلف الخانقاه(٢٣٨) . ولما خلع بيبرس من السلطنة وقتل ، أمر الناصر محمد بن قلاوون بغلق الخانقاه واستمرت على ذلك لمدة عشرين سنة ثم فتحت في عام ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م واستمرت الى أن انخفض منسوب مياه النيل في عام ٧٧٦ هـ/١٣٧٤ م فتدهورت احوالها واقتصر ما يقدم فيها على

الخبز ومبلغ لا يتجاوز سبعة دراهم لكل صوفي(٢٣٩) . وفي عام ٧٦٦ هـ/١٣٦٣ م اغلق مخبز الخانقاه ولم يعد يصـــرف لساكنيها حتى مجرد الخبز ، وصار الصوفية يأخذون كل شهر مبلغا من المال ، وكان بهذه الخانقاه جماعة من أهل العلم والخير ، ومع تدهور احوالها اصبح كل شاغليها من الاســـــاكنة وغيرهم من الطبقات الشعبية ، واستمرت اوقافهاعامرة بهم(٢٤٠) .

وتقع الخانقاه الجمالية بجوار درب راشد(٢٤١) من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب سيف الدولة نادر(٢٤٢) ، بناها الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي(٢٤٣) وجعلها مدرســــة للحنفية وخانقاه للصوفية في عام ٧٣٠ هـ/١٣٢٩ م ودفن فيها في عام ٧٣٢ هـ/١٣٣١م(٢٤٤) . وقد كانت هذه الخانقاه من اشهر خانقاوات القاهرة المملوكية في تلك الفترة ثم تدهورت احوالها لقلة عناية ولاة امرها بها ، الأمر الذي ادى الى توقف دورها الديني والعلمي(٢٤٥) . وكانت تضم فيما سبق عدة مساكن للصوفية من طلبة الحنفية(٢٤٦) .

وتقع الخانقاه الظاهرية(٢٤٧) بشارع المعز لدين الله ، وقد اقيمت على جزء من ارض القصر الغربي الفاطمي الصغير بجوار مدرسة الناصر محمد بن قلاوون(٢٤٨) ، وانشاها الملك الظاهر برقوق في عام ٧٨٦ هـ/١٣٨٤ م(٢٤٩) ، وهي تسمى المدرسة الخانقاه لانها قامت بوظيفتـــــين ، التدريس الى جـــانب اداء الصلاة(٢٥٠) ، وقد وضع السلطان برقوق لها شروطا هي : حضور شيخ الخانقاه وطلاب المذاهب الاربعة وشـــيخ الحديث وطلابه ، وكذلك الصوفية ، خاصة في صلاة العصر على أن يقرأ كل واحد منهم حزبين كاملين من القرآن الكريم ، ويصــرف لكل صوفي مبلغا من المال في كل شهر لشراء قطعة من القماش الصوف

والطعام والصابون والحلوى وكذلك لشراء الكســـوة فى كل عام(٢٥١) .

ومن خانقاوات القاهرة المملوكية أيضـا خانقاه الشرابيشية التى تقع بين الجامع الأقمر وحارة برجوان ، وقد أنشأها نور الدين على بن محمد بو محاسن الشـرابيشى وكان ثريا له مدة أوقافه على جهات البر(٢٥٢) .

وتقع الخانقاه الجاولية على جبل يشكر(٢٥٣) بجوار مناظر الكبش(٢٥٤) (شـــارع مراسينا)(٢٥٥) وقد اختلفت الآراء حول مؤسســها فقد نسب البعض نشأتها الى الأمير علم الدين ســنجر الجاولى(٢٥٦) فى عام ٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م ، ونسبها آخرون الى الأمير سلار(٢٥٧) . أما خانقاه اقبغا فقد كانت جزءا من المدرسة الاقبغاوية بجوار الجامع الأزهر انشأها الأمير اقبغا(٢٥٨) ، وجعل فيها جماعة يحضرون التصوف وأقام لهم شيخا وجعل لهم وقفا خاصـا بها(٢٥٩) . هذا عن الخانقاوات التى وجدت بالقاهرة فى العصر المملوكى .

وقد تشابهت الخانقاه مع الرباط فى بعض الأغراض حيث استخدما لايواء الفقراء والصوفية لكن الخانقاه انفردت بوجود نظم وقوانين لها تتطلب شروطا فيمن يلحق بها ، فهى أشبه بالمعاهد الثقافية بالمفهوم المعاصر والتى تمنح اجازة لمن يلتحق بها ، كما يشـــــترط أن يكون شـــــيوخها من العلماء والفقهاء(٢٦٠) . أما الرباط(٢٦١) فلا يشترط فيمن ينزل فيه أن يكون منتميا لاحدى طرق التصوف ، ولذلك فقد أوقف بيبرس الرباط المجاور للخانقاه على المسلمين الفقراء بصفة عامة(٢٦٢) ، وقد جمعت حياة المرابطين ما بين الطابع الحربى والدينى ، الى جانب ارتباطهم بحيـــاة

التصوف ، واصبحت تسمية « الربط » تطلق على المكان الخاص بالصوفية(٢٦٣) .

ومن أمثلة الربط التى وجدت فى القاهرة فى ذلك العصر رباط البغدادية الذى كان داخل الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس، وقد أنشأه ابنه الملك الظاهر بيبرس فى عام ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م للشيخة الصالحة زينب المعروفة ببنت البغدادية نانزلها به ومعها النســـاء التى طلقن او هجــرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى أزواجهن(٢٦٤) . أما رباط الصاحب فيطل على بركة الحبش(٢٦٥)، وقد أنشأه الصاحب فخر الدين ابو عبد الله بن الوزير بهاء الدين فى عام ٦٨٨ هـ/١٢٨٩ م ، وكان من شروط الالتحاق به أن يسكنه عشرة من الفقراء(٢٦٦) . ورباط الفخــرى الذى يقع بين باب الفتوح وباب النصر(٢٦٧) . وقد بناه الأمير عز الدين ايبك الفخرى احد امراء الملك الظاهر بيبرس(٢٦٨) .

ورباط الآثار فيقع بالقرب من بركة الحبش ويطل على النيل أنشأه تاج الدين محمد ابن الصاحب فخر الدين ، وقد اســتكمل بعــد وفـــاته ، ومـــــبب تســـميته برباط الآثار فيرجع لاحتوائه على قطعة من الخشب والحديد يقال انها من آثار الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد اشتراها الصاحب تاج الدين وحملها الى هذا الرباط ، وظلت به يتبرك الناس بها ويعتقدون فيها وقد كثر تردد الناس على هذا الرباط ، وفى عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م قل تردد الناس عليه بسبب التدهور الاقتصادى الذى أصاب البلاد من جراء الأوبئة والمجاعات(٢٦٩) . وفى أيام الملك الأشــــرف شعبان(٢٧٠) ، أقيمت فيه دروس للفقهاء الشافعية ، كما أقام فيه عدد من الطلبة يصرف لهم معلوم كل شهر وفى أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة من الأرض لعمل الجسر المتصل بهذا

الرباط . وقد وجد به خزانة كتب تحتوى على كل ما يحتاج اليه الدارس(٢٧١) . هذا عن اهم الربط التى وجدت فى العصر المملوكى والتى كانت ماوى لفقراء المسلمين والأرامل والمطلقات

وتطلق تسمية الزاوية على (المبنى) بصفة عامة ثم خصصت الدلالة على المسجد محدود المساحة(٢٧٢) ، والزاوية تنشأ برسم شخص معين ينزوى فيها للعبادة متصبح مقرا له ينقطع فيها وملجأ لبعض مريديه(٢٧٣) . وهكذا يتضح لنا الفرق جليا بين الخانقاه والرابط والزاوية الا انهم اشتركوا جميعا فى كونهم مأوى وملجأ للفقراء والمحتاجين واصحاب العاهات والمطلقات وكبار السن والعميان(٢٧٤) .

ومن التدين الشكلى والعاطفى لدى الطبقات الشعبية فى القاهرة فمن خلال مراجعة بعض مصادر(٢٧٥) العصر المملوكى امكن الوقوف على بعض الملامح التى يمكن من خلالها رصد مظاهر التدين الشكلى والعاطفى لدى هذه الفئة من سكان القاهرة ، ففي هذا العصر وجدت مجالس اطلق عليها مجالس العلم شارك فيها مختلف الطبقات واخذوا بما كان يدور فيها من مناظرات ومناقشات دينية وادبية(٢٧٦) .

وقد حرصت الطبقات الشعبية بمختلف فئاتها على الحضور فى هذه المجالس ، وكان لهم دورهم سواء بالتحمس لأحد المتناظرين او باستحسانهم طريقة عرض موضوع المناظرة والجدل حول مسألة ، فقد وصف الادفوى فى الطالع السعيد مجلسا للعلم حضره الوالى والقاضى والفقهاء ، كما حضره كثير من الطبقات الشعبية الذين كانوا ينصتون لما يدور فى هذ المجلس ، ولما انتهت المناظرة رفعت الطبقات الشعبية المناظر وعظموه(٢٧٧) . وربما

كان هدف الطبقات الشعبية من حضور مثل هذه المناظرات الترويح عن النفس والالمام ببعض جوانب الفقه الدينى المتصل بحياتهم اليومية الى جانب تذوق بعض الاشكال الادبية التى تجد طريقها فى التعبير من خلال هذه المجالس .

وقد شاركت الطبقات الشعبية فى مجالس الوعظ أيضا ، وأقبلت عليها فى أوقات فراغها ، وكانت هذه المجالس اشبه بمدارس شعبية تحملت عبء تثقيف الطبقات الشعبية الى جانب المساجد ، وكانت هذه المجالس تمتلىء بالناس على اختلاف مستوياتهم حتى بلغ الحاضرون فى بعضها مئات من الناس(٢٧٨) .

وكان الواعظ يعرف الناس بمبادىء الدين ويقوم بتذكير الناس باحكام الشريعة ، اذا ما اعجب الطبقات الشعبية باحد الوعاظ تحمسوا له واقبلوا على مجلسه لاعتقادهم وثقتهم فى علمه وتفقهه(٢٧٩) .

وكانت هناك استجابة واضحة لدى الطبقات الشعبية من مثل هذه المجالس حتى أن الكثيرين منهم تابوا وسلكوا مسلكا دينيا ملتزما على أيدى من كان يحضر هذه المجالس من الوعاظ ورجال الدين(٢٨٠) ، وفى كثير من الأحيان كانت مجالس الوعظ تشد انتباه الطبقات الشعبية وتستولى على عقولهم لدرجة انهم كانوا يتركون اعمالهم ويتفرغون لها ، وقد تمتع رجال الدين بحب وولاء الطبقات الشعبية منهم الأمر الذى بلور الوعى الدينى لدى هذه الطبقات فى تلك الفترة(٢٨١) .

والى جانب دور هؤلاء الوعاظ فى تنمية التدين لدى مختلف الطبقات فقد حرصوا على ارضائهم والظهور والتواضع فى التعامل معهم(٢٨٢) ، فكان البعض منهم لا يحضر سوى مجالس الفقراء (٢٨٣) ، وينتقد مسالك بعض السلاطين فى بعض الأحيان(٢٨٤) .

وكان التجار واصحاب الحرف يتعلمون قراءة القرآن الكريم واصول الفقه عن طريق جماعة من الفقهاء رتبها محتسب القاهرة في كل سوق من أسواق القاهرة(٢٨٥) .

كانت في القـــاهرة المملوكية بعض الأحياء التي ارتبطت بالطبقات الشعبية وهي ما يسمى باحياء الطبقات الشعبية ومنها حي البندقانيين الذي كان في الدولة الفاطمية لحد اصطبلات الخلفاء الفاطميين ، فلما زالت الدولة انشيء هذا الحي واصبحت فيه مســاكن وسوق وعدة حوانيت لعمل البندق ولذلك عرف الحي بالبندقانيين ، واحتوى ايضا على كثير من الحوانيت المخصصة لبيع مشروبه الفقاع بالاضافة الى وجود عدة رباع(٢٨٦) . وقد اقامت بعض الطبقات الشعبية في مساكن ورباع هذا الحي خاصة لانها كانت قريبة من أماكن عملها .

ومن الاحياء الأخرى التي اقامت فيها الطبقات الشــــعبية وزاولت اعمالها حي السبع خوخ العتيق(٢٨٧) الذي كان في أيام الدولة الفاطمية عبارة عن سبع فتحات تؤدي الى الجامع الأزهر وبعد زوال الدولة بنيت مكان هذه الفتحات مساكن وسوق تباع فيها الابر ولذلك عرف بالابارين(٢٨٨) .

ويعتبر حي الحسينية(٢٨٩) من الأحياء الشعبية المهمة في القاهرة المملوكية(٢٩٠) ، وقد كان مكتظا بالســكان ، حتى أن الفرن الذي وجد به وظل الى ما بعد عام ٧٩٠ هـ/١٣٨٨ م، كان يخبز حوالي سبعة آلاف رغيف يوميا(٢٩١) . وقد شكلت الطبقات الشعبية أغلب سكان هذا الحي . ومن ومن اهم العادات الاجتماعية التي اشتهر بها هذا الحي الفتوة(٢٩٢) .

ويليه من حيث نسبة تواجد الطبقات الشـــعبية حي باب اللوق(٢٩٣) ، الذي يعتبر من الاحياء الكبيرة ، ويقع على مسافة

ميل تقريبا من سور القاهرة ويضـــم حوالى ثلاثة آلاف أســـرة ، وبعض الصناع والباعة الذين يعرضون عددا من السلع للبيع(٢٩٤).

وعن حي بولاق « ببلاق » ، فمن خلال بحثي في بعض كتب التراجم وجدت اسماء لبعض من سكنه من الطبقات الشعبية(٢٩٦). ومن اكثر الأماكن ازدحاما بساكنيها من الطبقات الشعبية القرافة التي وجدت مع وجود اول عاصمة اسلامية في مصر وهي الفسطاط، ومع تطور الفســـطاط والعسكر ، والقطائع ، والقاهرة تطورت القرافة واصبحت اكثر عمرانا عن نشأتها الأولى ، وهناك عوامل ساعدت على سكنى الطبقات الشعبية لهذا المكان منها وجود عدد كبير من مزارات الأولياء(٢٩٧) والصوفيه(٢٩٨) الصالحين(٢٩٩) . هذا فضلا عن وجود الربط(٣٠٠) والتي آوت كثيرا من العجائز والارامل العابدات(٣٠١) . وقد بنى السلاطين والأمراء كثيراً من المساجد والمدارس والخانقاوات واجزلوا العطاء على ســـــكان القرافة(٣٠٢) . هذا بالاضافة الى وجود جامع القرافة(٣٠٣) الذى يطلق عليه جامع الأولياء ، فقد كانت الطبقات الشعبية تستخدمه كمأوى لها وبخاصـة في أيام الجمعة حيث يوزع السلاطين والأمراء صدقاتهم على الفقراء من الحلوى واللحوم ومختلف الأطعمة(٣٠٤). وعند حدوث الأوبئة والمجاعات كان يتم حصر حالات الوفاة لسكان القرافتين الكبرى والصغرى(٣٠٥) .

وقد بين ليو الافريقي اثر الأوبئة والمجاعات في ارتفاع نسبة الوفيات بين سـكان القرافة ، فذكر انها تكون شبه خالية من الناس إبان هذه الأزمات ، بعد ان كانت تموج بهم فيما مضى(٣٠٦) .

ومن الاشـارات التي وردت في المصادر وتوضح ســــكنى الطبقات الشعبية بالقرافة ما ذكره المقريزى من أن الامير يلبغا التركماني(٣٠٧) ، والأمير طقتمر الدمشقي(٣٠٨) ، والأمير قوصون

بنوا منشآت بالقرافة وتبعهم جنودهم وسائر الطبقات الشعبية ، مبنوا الترب والخوانق والأســـواق والطواحين والحمـــامات وانقسمت الطرق فى القرافة ، وتعددت بها الشوارع ورغب كثير من الناس فى السكنى فيها(٣٠٩) ، ومن الدلائل على سكنى القرافة أن الرحالة ابن جبير(٣١٠) بات ليلة بالقرافة ، ووصفها بأنها احدى عجائب الدنيا وبها مساجد كثيرة ومشاهد معمورة بالمكان يلجأ اليها الغرباء والعلماء والصـــلحاء والفقراء من كل ناحية ، ويقطن بالقرافة أناس يعملون بها ويحافظون عليها(٣١١) .

وقد وصفت القرافة الكبرى بأنها تضم عمائر كثيره ، وان عمائرها تدر ثغر الاسكندرية ، أما القرافة الصغرى فانها أعمر من الكبرى وأحسن هيئة وانها تضـــاهى مدينة حمص(٣١٢) . ويصف ابن سعيد الأندلسى القرافة بقوله « بت ليالى كثيرة بقرافة الفسطاط ولا تكاد تخلو من طرب ولاسيما فى الليالى القمرية ، وهى معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر متنزهاتهم(٣١٣) . وقد تحدث بيلونى الكريتى عن القرافة ونظامها وطريقة المعيشة فيها(٣١٤) . كما ذكر البلوى المغربى فى رحلته « أن القرافة بلدة كبيرة قائمة بنفسها مستقلة بأسـواقها ومساجدها »(٣١٥) . وقد وردت فى بعض المصادر كالنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى اسم لحد الأشخاص من الطبقات الشعبية وهو مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبى الفتح المصرى الذى كان خياطا وشاعرا مشهورا وأديبا فاضلا وقد عاش فى القرافة ودفن بها(٣١٦) .

وقد لاحظ بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى عصر سلاطين المماليك أن بالقاهرة كثيرا من الطبقات الشعبية يتواجدون فى الطرقات نهارا وليلا وأجسادهم شـــبه عارية ، وتفاوتوا فى تقدير ذلك العدد بين خمسين الفا ومائة الف(٣١٧) . وبالاضافة الى سكنى القرافة فقد اتخذت الطبقات الشعبية من أســـوار

القاهرة وحدودها مأوى لها واقامت اكواخا خشبية للاقامة فيها كما اقامت بعض الطبقات الشعبية فيما يسمى بعرب الصفيح التى شيدت مبانيها من الصفيح أو الالواح المعدنية .

ومن الاماكن التى تواجدت فيها الطبقات الشعبية قيسارية ابن قريش(٣١٨)وتقع فى وسط سـوق الجملون الكبير ويمكن الوصول اليها اما من الجملون او من سوق الاخفافين ، وقد سكنها البزازون(٣١٩) . وتقع قيسارية الفاضل على يمين الداخل لباب زويلة ، وكان يباع بهذه القيسارية جهاز النساء ، ويعلوها ربع فيه عدة مساكن(٣٢٠) . اقام فيه بعض الطبقات الشعبية من اهل القاهرة . اما قيسارية بيبرس الجاشنكير(٣٢١) فتقع على راس باب الجودرية وكان موضعها دارا اشتراها بيبرس قبل ان يتولى السلطنة ثم هدمها وانشأ هذه القيسارية ، وكان يعلوها عدة رباع وحوانيت سكنها صناع الاخفاف وبلغت أجرة كل حانوت عشرة دراهم(٣٢٢) . وقد كانت تضم سكنى الطبقات الشعبية بالاضافة الى عدة اماكن لمزاولة اعمالهم .

وقد ضمت بعض أسواق القاهرة عدة رباع ومساكن اقام فيها بعض الطبقات الشعبية فى تلك الاونة وذلك نحو سـوق الحجاجين ، وسوق باب الزهومة ، وسوق الشوايين ، وسويقة أمير الجيوش او سوق الحريريين ، وسـوق الجملون الكبير ، وسوق الاخفافين ، وربما كان السبب الرئيسى فى اقامة هذه الفئات من الطبقات الشعبية فى تلك الاسواق التواجد بالقرب من اماكن عملها ، ومتابعة عمليات البيع والشراء التى كانت تتم فى فى هذه الاسواق(٣٢٣) .

هوامش الفصل الأول

(١) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر دولة المماليك ، ص ٨٢

(٢) Ashtor (E) : A social and Economic History of the Near East in the middle ages. London. 1976 PP. 3. 4.

(٣) يلسة ؛ : ٢٤ .

(٤) Ibid P. 291.

(٥) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٣٤٩ ، ص ٣٥٠ .

(٦) Dopp (PH) : Legypte au commencement de quinzieme siecle D'apreais tratie D'emmanue piloti de crete, le Caire, 1950.

(٧) هو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى (٧٠٣ هـ/١٣٠٤ م) نسبة الى لواته احدى قبائل البربر ، المعروف بابن بطوطة ولقبه شمس الدين ولد فى طنجة ، ولما بلغ العشرين من عمره ذهب للحج ، وكان محبا للتجول فى بلدان العالم، واستغرقت رحلته تسع وعشرين سنة زار خلالها مصر وسوريا وافريقيا وآسيا الصغرى وروسيا والهند والصين والأندلس والسودان وقد سمى مجموعة اخباره « تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار » المعروفة برحلة ابن بطوطة ، وقصة رحلاته من لطرف القصص ولجزلها نفعا لما فيها من وصف العادات والأخلاق ، ولواث تاريخية وجغرافية وأسماء المدن وقد اهتم بها المستشرقون فترجموها . انظر رحلة ابن بطوطة ، ص ٥ ، ص ٦ ، ص ٧ انظر أحمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ص ٤٦٩ .

(٨) ابن بطوطة : تحفة النظار ، جـ ١ ، ص ١٨ .

(٩) Dopp (P.H) : Le Caire vu par les voyageurs occidentaux du Moyen age, Bulletin de la Societe royale de geographie D'Egypte, tome 23, 1950, tome 24, 1951, tome 26 1953.

(١٠) Carre (Jean-Marie) : voyageurs et ecrivains fracais en Egypte, le Carie 1956. P. 4. 6.

سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٨٢ .

(١١) Dopp : Op. Cit., PP. 106 — 107.

(١٢) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٨٢ .

(١٣) لم نجد لها تعريف .

(١٤) الدكة : المكان المرتفع يجلس عليه وهو (المسطبة) معرب والجمع دكك ومازال هذا اللفظ مستعملا بالقرى ، وتصنع الدكة من الخشب . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٢٥ حاشى (١) .

(١٥) ابن الحاج : المدخل الى الشرع الشريف ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ط (١) ١٩٢٦ ، جـ ٢ ، ص ٧٩ .

(١٦) طافور : رحلة طافور ، ص ٩٨ ، ولد طافور فى قرطبة فى مطلع القرن الخامس عشر فى عام ٨١٣ هـ/١٤١٠ م (ت ٨٨٩ هـ/١٤٨٤ م) انخرط طافور فى سلك الخدمة العسكرية حتى عقدت الهدنة بين غرناطة وقشتالة وقام برحلته هذه والتى امتدت من عام ٨٣٩ هـ/١٤٣٥ م حتى عام ٨٤٣ هـ/١٤٣٩ م وكانت رحلته الى الأقطار الأوربية والقاهرة ، ونستدل من كتاباته على حبه للرحلة ، فقد توسل بشتى الوسائل حتى استطاع أن يحصل على اذن بزيارة دير سانت كاترين ، فاستجاب له السلطان برسباى وقد ساعدته بصيرته اللماحة على وصف القاهرة وشوارعها الحافلة اذ ذاك وأسواقها وما بها من مختلف التجارات . طافور ، رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ، ترجمة وتقديم حسن حبشى ، دار المعارف ١٩٦٨ ، المقدمة ص ك ، ل ، م ن .

(١٧) أولج فولكف : القاهرة مدينة الف ليلة وليلة ، ترجمة أحمد صليحة ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١٠٠ .

(١٨) المرجع نفسه والصفحة .

(١٩) البلوى المغربى : رحلة البلوى (التاج المفرق فى تحلية علماء اهل المشرق) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٠٠ جغرافيا ورقة ٥٥ ، ٥٦ .

(٢٠) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٣٦ .

(٢١) Dopp : Op. Cit., P. 144.

انى اجد فى ١٢٠٠٠ سقاء مبالغة واميل الى الرأى الذى يقول ان عددهم ٥٠٠٠ سقاء خاصة وان السقاء الذى يأتى بالمياه من النيل او الآبار يروح ويغدو اكثر من مرة .

(٢٢) طافور : الرحلة ، ص ٩٨ ؛ جاستون فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٩٠ .

(٢٣) سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ٨٣ .

(٢٤) طافور : رحلة طافور ، ص ٩٧ .

(٢٥) السبكي : معيد النعم ، ص ١٤٧ ، ص ١٤٨ .

(٢٦) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٣ ، جـ ٣ ، ص ٢٤١ .

(٢٧) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٧٤ .

(٢٨) المقريزي : السلوك ، جـ ٢ ق (١) طبعة ١٩٧٠ ، تحقيق سعيد عاشور ، ص ٣٥٥ ، وكان هذا السوق مازال باقيا فى حارة الجملون تجاه قبة الغورى بشارع المعز لدين الله فى القسم الذى يسمى شارع الغورية بالقاهرة . ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٢٨٧ ، هامش (١١) ، سعيد عاشور ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ١٤١ ، ص ١٤٢ .

(٢٩) انظر ص ٣٨ من هذا الفصل هامش (١) .

(٣٠) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ ، أحمد عبد الرازق : شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك ، ط ١٩٨٢ ، ص ٣٠ .

(٣١) على ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٢٤ ، ص ٢٦١ .

(٣٢) العسس هو الطواف بالليل وتتبع اهل الريب . المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٣٣) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

(٣٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٦٠ .

(٣٥) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ وما بعدها .

(٣٦) المقريزي : السلوك جـ ٣ طبعة ١٩٧٠ ، تحقيق سعيد عاشور ، ص ٣٥٥ .

(٣٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، جـ ٢ ق (٢) طبعة ١٩٨٥ ، ص ٢٤١ .

(٣٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١١ ، ص ١٧٤ .

(٣٩) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٨٥ .

(٤٠) المرجع السابق نفسه والصفحة .

(٤١) مسمى مكانها فى عهد على مبارك بشارع مرجوش . على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ٣٢ على مبارك بن سليمان (١٢٣٩ — ١٣١١ هـ/ ١٨٢٤ — ١٨٩٣ م) وزير مصرى من المؤرخين العلماء النوابغ . ولد فى قرية برنبال [من محافظة الدقهلية بمصر] تلقى العربية ، وسافر فى عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤ م ، مع بعثة مصرية الى باريس ، فتعلم فن المرتفعات والحركات الحربية وعاد الى مصر ، فتدرج فى الوظائف العسكرية ، ثم نصب ناظرا للاوقاف المصرية ، واضيفت اليه المعارف ، فانشأ مدارس كثيرة ، وله آثار منها دار الكتب المصرية فى القاهرة ، وله العديد من المؤلفات منها « الخطط التوفيقية » وتعة سماها « علم الدين » وحقائق الاخبار فى اوصاف البحار وغير ذلك . الزركلى : الاعلام ط (٢) بطبعة كوستا بدون تاريخ ، طبعة (٥) بيروت ١٩٨٠ ، جـ ٥ ص ١٢٨ ، ص ١٣٩ .

(٤٢) حارة بهاء الدين . تقع داخل باب الفتوح ، عرفت بالطواشى بهاء الدين قراقوش ، اختطها قوم فى الدولة الفاطمية عرفوا بالريحانية والعزيزية فعرفت بهم فلما سكنها بهاء الدين قراقوش اشتهرت به . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٣٥٢ .

(٤٣) المدرسة الصيرمية مكانها على عهد مبارك زاوية سوق القبيبة ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ٤٤ .

(٤٤) انظر المدخل ص ٨ هامش (٤) .

(٤٥) الرواسين من يقومون ببيع رءوس الماعز والضأن والاكارع وغيرها ، الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، ص ٣٢ .

(٤٦) يفهم من كلام المقريزى أن الرءوس المقصودة هى رءوس الماعز والضأن ويبدو أن هذا المكان عرفه بذلك لوجود بعض الطبقات الشعبية والتى كانت تقوم بنظافة هذه الرءوس والاكارع ، المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٩٥ ، والرءوس

المغمومة اى رؤوس البقلع التى تغم أى تكبر كبرا محكما فى اثناء طبخهـــا وانضاجها . حلمى سالم : اقتصاد مصر الداخلى فى العصر المملوكى ، بدون تاريخ ، ص ٢١٦ هامش (٢) ، والمسومة المطبوخة ، والقمة فى اللغة الوعاء الذى يحفظ فيه السمن والمقصود به هنا الوعاء الذى تطبخ فيه الرؤوس ، الشيزرى نهاية الرتبة ، ص ٣١ هامش (ه) ، ص ٣٢ هامش (٩) .

(٤٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ .

(٤٨) تعرف برجوان الخادم وهو خادم القصور فى ايام العزيز بالله قتله الحاكم بعد ذلك . ويقال انه خلف فى تركته الف سروال بالف تكة حرير وبهذه الحارة كانت تقع دار المظفر بن امير الجيوش بدر الجمالى ، وحارة برجوان تقع فى المنطقة التى يتوسطها اليوم شارع برجوان وحارة برجوان وما يتفرع منهما من العطف والأزقة بقسم الجمالية . القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة : جـ ٤ ، ص ٤٨ ، هامش (٣) .

(٤٩) الجامع الحاكمى : بناه الحاكم بأمر الله الفاطمى بالقرب من باب الفتوح وقد فرغ من بنائه فى عام ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م ، وكان حين بنائه خارج القاهرة اذ كان يقاوم على بناء باب الفتوح وباب النصر ، وفى سيرة العزيز انه اختط اساسه فى عام ٣٧٩ هـ/٩٨٦ م ، وفى سيرة الحاكم ابتدأه بعض الوزراء واتمه الحاكم . القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٤٠ .

(٥٠) يقع هذا الحمام بجوار حارة برجوان وينسب الى الامير سنقر الرومى الصالحى احد الأمراء فى ايام الملك الظاهر بيبرس ، انشاه بجوار اسطبله تجاه رحبة داره ووقف هذه الدار والاسطبل والحمام فى عام ٦٦٢ هـ/١٢٦٣ م ، وسنقر الرومى الصالحى أحد مماليك الصالح نجم الدين أيوب ترقى عنده فى الخدم ، ولما صار ملك مصر لبيبرس قدم سنقر واعطاه الاقطاعات الجليلة ولكن بيبرس اعتقله بعد فترة لقتله مملوكين من مماليك بيبرس . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٣٢ .

(٥١) ويقع حمام سويد بآخر سويقة أمير الجيوش عرف بهذا الاسم نسبة الى الأمير عز الدين معالى بن سويد ، وقد كان المقريزى يفتخر بهذين الحمامين يعنى الرومى وسويد لكونهما فى حارة برجوان التى ولد بها ، المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٥٢) انظر المدخل ص ٦ هامش(٣) .

(٥٣) البواردي هو تاجر الطيور المحفوظة بالتبريد أو التمليح ، المقريزي : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٦١٢ ، هامش (١) ، وقد تم القبض على رجل بواردي يحي السيوفين بالقاهرة وتم تأديبه والتشهير به لما ارتكبه حيث كان يحتفظ في مخزنه بأعداد هائلة من انواع الطيور المملحة الفاسدة ، وقد تم اعدامها بواسطة المحتسب ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ ١٠ ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ ، المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ ، وفي كتب الحسبة البواردية بائعو المشويات (الطرشي) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٥٦ ، والطرشي كلمة فارسية (ترشي) بمعنى حامض، وتعني كل المواد الغذائية التي لها طعم حامض وتوجد كمية من الأحماض المختلفة في تركيبها ، وتستخدم الاحماض كمذاق للغذاء . دكتور محمد معين : فرهنك فارسي ، مؤسسة انتشارات امير كبير تهران ، ١٣٦٤ ، شمارة (٢) (آ-ح) ص ١٠٦٨ .

(٥٤) المشمش : نبتة من الفصيلة الخيمية ، ومنه نوع حلو يزرع ويؤكل ورقه وسوقه نيئا ونوع آخر سكري يؤكل مطبوخا . أحمد حسين الزيات : المعجم الوسيط ، طبعة ١٩٦٤ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ .

(٥٥) خربت هذه السوق لاسباب تتعلق بالناحية الاقتصادية انظر الفصل الثاني .

(٥٦) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٥ ، واستمرت هذه السوق منذ عهد المماليك الى عصر علي مبارك (١٢٣٩ — ١٣١١ هـ/١٨٢٤ — ١٨٩٣ م) واغلب ما يباع فيها الاقمشة المعروفة بالمنيفاتورة . علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١١ ، ولفظ مانيفاتورة كلمة ايطالية الاصل (Manifatura) تعني قطع الملابس ومكان بيع الملابس بائع المنيفاتورة المصطفى أحمد المرسي : معجم مصطلحي تركي عربي طبعة ١٩٧٩ م ، ص ٢٠٤ .

(٥٧) عرفت في الدولة الفاطمية بسوق القماحين . المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٦ .

(٥٨) بناه الامر الفاطمي بواسطة وزيره المأمون بن البطائحي واكمل بناءه في عام ٥١٠ هـ/١١٢٥ م وقد كتب اسم الآمر والمأمون عليه . ولم يكن به خطبة الى أن جدده الامير طيبغا الطويل احد أمراء الظاهر برقوق في عام ٧٧٩ هـ/١٣٦٨ م ورتب فيه خطبه . القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٦١ ، انظر سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٧١ م ، ص ٣١٤ ، ٣٢٠ .

(٥٩) انظر ص ٣٦ من هذا الفصل .

(٦٠) الشموع الموكبية اى التي تستخدم في المواكب وكانت الواحدة منها يصل وزنها الى عشرة ارطال . اما الشموع الضخمة التي كان وزنها يصل الى ما يزيد على قنطار فكانت تؤجر لكي تستخدم في موكب صلاة التراويح . قاسم عبده : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، ص ٩٦ .

(٦١) انظر الفصل الثاني (ص ١٠٨) هامش (٢) .

(٦٢) ادم ادما اصلح والف والصق الجلد ، اصلحه بنزع الزائد من ادمته الاديم : الجلد واديم كل شيء : ظاهر . ابراهيم انيس : المعجم الوسيط ، حـ ١ طبعة ١٩٧٢ ، ص ١٠ .

(٦٣) شلاق الزعر : سيئو الخلق . والشلاق جمع شلق وهو مرادف للزعر والمراد بهم من يدخلون الخوف في قلوب الناس ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ، ص ١٢٣ هامش (٢) ، وربما قالوا زعر الخلق والزعرور السيء الخلق والطبقات الشعبية تقول رجل زعرور . ابن منظور : لسان العرب ، حـ ٥ ص ٤١٢ .

(٦٤) من اعياد النصارى يحتفلون به في اليوم الحادي عشر من شهر طوبة ويرجعون ذلك الى أن يحيى بن زكريا (المعروف عندهم بيوحنا المعمدان) عمد المسيح (اى غسله) في نهر الاردن وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس كما يزعمون ، ولذلك يعمدون اولادهم باستغطاسهم في الماء في مثل هذا اليوم الذي يطلق عليه يوم الغطاس بالقاهرة . المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ٥٥ ، انظر الفصل الثالث .

(٦٥) المصدر نفسه : حـ ٢ ، ص ١٥٦ .

(٦٦) ومكان هذه السوق على عهد على مبارك شارع الاشرفية بالقاهرة على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٢ ، ص ١٣ .

(٦٧) حي الخرنفش كان ميدانا للخلفاء الفاطميين وكان لهم سرداب تحت الأرض مدخله من باب القصر يمرون فيه الى الميدان المذكور راكبين ، ثم جعل مصرفا للماء لما بنيت المدرسة الصالحية ، ولما تولى المعز أيبك التركماني السلطنة بنوا به اسطبلات . وكلمة الخرنفش تعني ما يتحجر مما يوقد به على مياه الحمامات من القمامات والمخلفات وغيرها ، ويمكن تحديده الآن بحي الجمالية . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٣٥٤ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ، حـ ٤ ، ص ٤٧ هامش (٥) ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٥ ، ص ٢٠ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٢ ، ص ١٢ .

(٦٨) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ .

(٦٩) القيصات بصيغة الجمع والتصغير من لقيص . سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٥ ، ص ٣٠ ؛ قفص من القفص الذى يحبس فيه الطير والقفص المتقبض بعضه الى بعض ، والقفص الشىء المشتبك ، والقفص شىء يتخذ من قصب أو خشب للطير . ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٣٤٧ ، والقفلصة : حركة القفص والتقفص : صانع الاقفاص : أحمد حسن الزيات : المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، ص ٧٥٢ .

(٧٠) بناها السلطان قلاوون وتعتبر من أبدع وأجمل القباب المزخرفة بالفسيفساء والخشب المذهب تحملها أربعة أعمدة اسطوانية سميكة والجدران مكسوة بالرخام وتحت هذه القبة القبر المدفون فيه الملك المنصور قلاوون وابنه الملك الناصر محمد ، وتقع فى شارع المعز لدين الله الفاطمى . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ٣٢٥ هامش (٢) .

(٧١) هذه الارض كانت موقوفة على جامع المقس (ميدان المحطة الآن) . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٥ ، ص ٣٠ .

(٧٢) يقع بجانب القبة المنصورية وموضعه اليوم مستشفى قلاوون للعيون بشارع بين القصرين . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٤٧ هامش (٤) ، وكلمة بيمارستان كلمة فارسية مركبة من بيمار أى مريض وستان أى محل ويقال له بالتركية خسته خانة وأول من اتخذ البيمارستان عبد الملك بن مروان . حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية طبعة ١٩٤٦ ، ص ١١٢ ، وقد انشاه المنصور قلاوون الصالحى بحى بين القصرين وكان دارا لست الملك أخت الحاكم الفاطمى متير المنصور معالمه وزاد فيه ،/وقد درس الطب بالبيمارستان المنصورى . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٨ ، جـ ١١ ، ص ٣٥٢ ، وقد خصص بالبيمارستان قاعات مختلفة فكان هناك قاعة للرمد ، وللجرحى ، وللنساء ومكان للمبرودين ومكان آخر لطبخ الطعام والادوية والاشربة ، ومكان آخر لرئيس الأطباء انظر ابن حبيب : تذكرة النبية فى أيام المنصور وبنيه ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٦ ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٠٣-٣٠٤ المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٢١ ، وقد وصفه ابن بطوطة فى رحلته بقوله « وأما المارستان المنصورى فيعجز الواصف عن محاسنه » ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة وقف على تهذيبه أحمد العوامرى وآخرون ١٩٣٣ ، جـ ١ ، ص ٣٢ .

(٧٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٧٤) المصدر نفسه ، والجزء ، ص ١٥٤ .

(٧٥) محمد بن محمد بن على بن احمد ابو عبد الله الحاجى العبدرى (نسبة الى بنى عبد الدار) بعد عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م ، صاحب الرحلة المعروفة بحسبه اصله من بلنسيه سكن بلدة (الحامة) وهى قرية فيها مياه معدنية حارة ، فى الطريق بين بسكره وتوزر فى المغرب ، وتوجه حاجا فى عام ٦٨٨ هـ / ١٢٧٩ م فدخل بلجه وتونس والقيروان ومر بالاسكندرية فى ذهابه وايابه ثم عاد الى بلده . الزركلى : الأعلام ، جـ ٧ طبعة ثانية بدون تاريخ ، ص ٢٦٠ .

(٧٦) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٧٩ .

(٧٧) المهاميز مفردها مهماز ، والمهماز آلة من حديد تكون فى رجل الفارس فوق كعبه ، فوق الخف ، وهو من الذهب او الفضة واحيانا من حديد محلى بالذهب والفضة . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ .

(٧٨) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ .

(٧٩) الكفت : التطبيق او التكفيت طريق فى الزخرفة قوامها حفر رسوم على سطح معدن ثم ملء الشقوق التى تؤلف هذه الرسوم بقطع اخرى من مادة اغلى قيمة . زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٣٠ .

(٨٠) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٩ .

(٨١) المصدر نفسه السابق والجزء ، ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ .

(٨٢) الشراشيين : لفظ فارسى من كلمة سربوش ومعناه غطاء الرأس محمد التونجى : المعجم الذهبى ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٣٤١ ، والشرابيش مفردها شربوش وهو شىء يشبه التاج كأنه شكل مثلث يحمل على الرأس بغير عمامة المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٠ ، وفى دوزى قلنسوة يرتديها الأمراء بغير عمامة وقد ظل استخدامها فى الدولة الجراكسية (اى البرجية) .
Dosy (R.B.A.) - dictionnaire detaille des noms des vetements chez les Arabes. Amsterdam, 1845, PP. 220. 221 222, 228.

(٨٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٠ ، ص ١٦١ .

(٨٤) الحياصة : المنطقة بكسر الميم . وهى ما يشد فى الوسط وهى من الآلات القديمة ، فقد روى أن أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه كان له منطقة ، ولم يستخدم الحياصة الملوك ، وانما يلبسها الملك للأمراء عند البلسم

الخلع والتشاريف ، وتختلف بحسب درجة الأمير ، فمنها ما يكون من ذهب مرصع بالفصوص ومنها ما ليس كذلك . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ١٢٤ ، وكان السلطان اذا ركب للعب الكرة وزع حوائص من ذهب على بعض الأمراء . المصدر نفسه ، حـ ٤ ، ص ٥٥ ، والحياصة سير فى الحزام والحياصة سير طويل يشد به حزام الدابة . ابن منظور : لسان العرب ، حـ ٧ ، ص ٢٨٥ ، والحوائص مفردها حياصة ويقصد بها الحزام الذى يوضع حول الوسط ويكون مرصعا بالأحجار الكريمة .

Dozy : Op. Cit., PP 145 , 146 , 147.

(٨٥) المقريزى: الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٠ .

(٨٦) العلاليق : مفردها علاقة . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٢ .

(٨٧) نفس المصدر والجزء ، ص ١٦١ ، ص ١٦٢ .

(٨٨) خشكنانك لفظ فارسى يطلق على الحلوى المصنوعة من الدقيق الذى يعجن ويبسط ويضاف اليه السكر واللوز المقشر وقليل من ماء الورد . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨٣ ، وقد عرفه فى مصر بالخشكنانك وكان يصنع على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها بالفستق . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٥١٠ .

(٨٩) البسندود : أصله بالفارسية (مشتنة) طعام فارسى مصنوع من دقيق ويلح وفى الأصل المسعود " القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٣ ، ص ٥١٠ ، وتصنع من العسل ويعرفونها على أنها مصنوعة من السكر . ابن الأخوة " معالم القربة ، ص ١٨٣ .

(٩٠) الفانيذ : عسل يطبخ ثم يوضع فى اناء ليجمد فيصبح حلوى . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨٣ .

(٩١) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦١ .

(٩٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٥ .

(٩٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٤ ، ص ٥٣ .

(٩٤) تقع فى حى بين القصرين ، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ويعتبر اول من رتب دروسا فى المذاهب الاربعة فى عام ٦٤١ هـ/١٢٤٣ م . المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٠٩ ، وهذه المدرسة كانت تشغل مساحة كبيرة من الأرض ، وكانت من اجل مدارس القاهرة ، وحال هذه المدرسة اليوم يؤسف له اذ لم يبق من مبانيها الفخمة الا واجهتها الغربية التى بها الباب العمومى المطل على شارع بين القصرين ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٦ ، ص ٣٤١ هامش (١) .

(٩٥) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ .

(٩٦) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٦ .

(٩٧) نسبة الى الحريريين ، وهو صانع الحرير وتاجره ، وقد ورد الاسم فى كتابة أثرية حفرية على شاهد رخام بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة على هيئة عمود بالمتحف نفسه بتاريخ ١٥ صفر ٦٦٩ هـ/١٢٧٠ م باسم وحيد ربيب القاضى نور الدين بن الحريرى ، وقد أطلق لفظ الحريريين على أماكن فى بعض الكتابات الاثرية ، وربما جاء ذلك من اتخاذ هذه المواضع أسواقا لتجارة الحرير أو صناعته اى لوجود حوانيت الحريريين ومصانعهم فيها . حسن الباشا : الفنون الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٤٢٤ .

(٩٨) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٦ .

(٩٩) يقع هذا الجامع بشارع المعز لدين الله (الصاغة) عند تقاطعه بشارع السكة الجديدة ، وكان الجامع فى الأصل مدرسة دينية كانت تعرف بمدرسة السيوفية ، وقد أقام بهذا المسجد عدد من أولياء الله الصالحين . سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٤ ، ص ٨٢ ، وقد جدد هذا الجامع الأمير عبد الرحمن كتخدا وجعل امامه الشيخ عطية الاجهورى وأنشأ بجواره سبيلا ومكتبا ووقف عليه أوقافا كثيرة شعائرها بتمامه من ريعها وعرف بالشيخ مطهر لأن به ضريحا يعرف بالشيخ مطهر . على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ٢٢ .

(١٠٠) المقصود بالعنبريين تجار العنبر المستعمل فى الطيب . المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٩١ ويعتبر العنبر من الأحجار النفيسة ، وينبع من صخور وعيون فى الأرض ، ويجتمع فى قرار البحر ، فاذا تكاثف قطعته الأمواج فترمى به الرياح الى السواحل ، ولا يستطيع أحد أن يقترب منه لشدة حرارته وفورانه فاذا أقام أياما وتعرض للهواء تجمد ، فيجمعه أهل السواحل . وللعنبر ألوان مختلفة منها الأبيض ، والأزرق ، والرمادى ، والأحمر ، وأفضل أنواع العنبر وأجوده ما جمع فيه قوة الرائحة وذكاء يسير ، وللعنبر أنواع كثيرة وفى العصر المملوكى استعملت النساء نوعا من العنبر يقال له الند . القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ، ص ٩٧ الى ص ١٢٥ .

(١٠١) قيسارية العصفر تقع بشارع القاهرة لها باب من سوق المهامزيين ، عرفت بذلك لأن العصفر كان يدق بها ، أنشأها الأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط والى القاهرة ووقفها فى عام ٦٩٢هـ/١٢٩٢م وفى أيام المؤيد شيخ علم

٨١٦ هـ/١٤١٣ م نقل اليها العنبريين فصارت قيسارية عنبر ثم انتقل منها تجار العنبر الى سوقهم في عام ٨١٨ هـ/١٤١٥ م ، المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢٥ .

(١٠٣) Lane-Poole . The Mohammadan Dynasties, 1866 P. 81.

(١٠٤) وكان يسجن فيه أرباب الجرائم من قطاع الطرق في الدولة الفاطمية ، وله رائحة كريهة فلما تولى الناصر محمد بن قلاوون السلطنة هدمه وأنشأ مكانه سوقا للعنبريين . المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٠٥ .

(١٠٥) المصدر نفسه السابق والجزء ، ص ١٦٦ .

(١٠٦) توجد داران للضرب ، دار بالقاهرة والأخرى بالاسكندرية والعمل فيهما واحد ، وهو أن يسبك ما يحمل اليهما من الذهب المختلف حتى يصير ماء واحدا جاريا ويطب تضبانا وتقطع من أطرافهما بمباشرة النائب في الحكم ويصير سبيكة واحده ثم يؤخذ من جملتها أربعة مثاقيل . انظر ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٣١ ، وهي دار الضرب على بقايا القصر الفاطمي ، وكان في بدايته خزانة بجوار الايوان الكبير وفي هذا المكان سجن الخليفة الحافظ لدين الله عام ٥٢٤ هـ/١١٢٩ م . المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ .

(١٠٧) دار الوكالة الآمرية كانت بجانب دار الضرب وموضعها على زمن المقريزي ٧٦٩ هـ/١٣٦٧ م على يمين السالك من سوق المرحلين الى سوق الشيخين والجامع الأزهر . أنشأها المأمون بن البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله للتجار العراقيين والشاميين المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(١٠٩) يفهم من سياق كلام المقريزي من يقومون بعمل وصناعة قسي البندق- المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ ، ويعتبر هذا الحي من أكبر أحياء القاهرة حيث يشمل المنطقة التي نعرفها اليوم سوق السمك القديم وسوق الصيارف الكبيرة وحارتا السبع قاعات البحرية والقبلية وما بين ذلك من شارع السكة الجديدة ، ابن تغري بردي : النجوم ، جـ ٤ ، ص ٥٢ هامش (١) .

(١١٠) عرفت بهذا الاسم نسبة الى الطائفة الجودرية احدى طوائف العسكر في الدولة الفاطمية وهو جوذر غلام عبيد الله المهدي ، اختطوها حين بنى جوهر القاهرة ، ثم سكنها اليهود بعد ذلك الى أن بلغ الحكم الفاطمي أنهم يعبثون بالمسلمين ، فسد عليهم أبوابها وأحرقهم ليلا . المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٥٣ .

(١١١) تولى السلطنة عدة مرات الأولى فى عام ٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م ، والثانية فى عام ٦٩٨ هـ/١٢٩٨ م ، والثالثة فى عام ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م .

(١١٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

(١١٣) أنظر المدخل ، ص ٢٠ هامش (م) .

(١١٤) السمور : بفتح السين والميم المشددة المضمومة حيوان برى يشبه السنور وزعم بعض الناس أنه النمس ، وهو حيوان جرىء ليس فى الحيوانات أجرأ منه على الانسان ، لا يؤخذ الا بالحيل ولحمه حار والترك يأكلونه وجلده لا يدبغ كسائر الجلود . كمال الدين الدميرى : حياة الحيوان الكبرى ، ط (٢) طبعة ١٣١٣ هـ ، ص ٢٨ ، ويتخذ منه نفيس الفراء التى يلبسها الملوك وأكابر الأعيان لحسنها ونفاستها ، وأحسنه ما كان منه شديد النعومة مائلا الى السواد ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .

(١١٥) الوشق نوع من فراء الثعالب . الدميرى : حياة الحيوان ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ .

(١١٦) القماقم : حيوان يشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وأرطب ولهذا هو أبيض ويشبه جلده جلد الفنك وهو أعز قيمة من السنجاب ، تؤخذ منه الفراء التى تستعمل فى الزينة عند الأغنياء كسلاطين المماليك وأمرائهم وأشباههم من الأثرياء فى القاهرة فى العصور الوسطى الدميرى : حياة الحيوان ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ ، المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ص ٩٨ .

(١١٧) السنجاب : حيوان أكبر من الفأرة وشعره فى غاية النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسه المتنعمون ، وهو شديد الحيل ، اذا أبصر الانسان صعد الشجرة العالية وفيها يأوى ومنها يأكل ويوجد كثير فى بلاد الصقالبة والترك وهو سريع الحركة من الانسان ، وأحسن جلوده الأزرق الأملس ، الدميرى : حياة الحيوان ، ص ٢٨ ، ص ٢٩ ، ومن فرائه فروة نفيسة كانت تستعمل لتزين الملابس كالقماقم . المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٩٨ .

(١١٨) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ .

(١١٩) جاء فى دوزى أن المحنك خرقة تضعها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقى الخمار من الدهن والدهن من الغبار .

Dozy : Op. Cit., P. 86.

(١٢٠) سوق الجملون هي التي تعرف اليوم بحارة الحلوين المتفرعة ايضا من شارع المعز مجرى جامع الغوري . ابن تغري بردي : النجوم ، جـ ٨ ، ص ٢٠٩ .

(١٢١) قيسارية الشرب وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين على صوفية خانقاه سعيد السعداء التي أنشأها ، وكانت اصطبلا وظلت وقفا على الصوفية وإكراما لهم حتى عصر الناصر فرج ولما حدثت الفتن وكثرت مصادرات التجارة عطل كل ذلك وعومل سكانها بمنتهى الظلم اما عن موقعها تقع بشارع الغورية . المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٤٠ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٦٥ .

(١٢٢) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ ، ص ١٦٩ .

(١٢٣) انظر المدخل ص ٣٠ هامش (٧) ، وموضع هذه السوق حاليا حي الغـــورية .

(١٢٤) موضعها على يمين من يدخل من باب زويلة ، نسبته الى القاضي الفاضل عبد الرحيم على بن البيساني وهي من أوقاف البيمارستان المنصوري ، ويباع فيها جهاز النساء وفوقها ربع به عدة مساكن ويحتمل أن يكون هذا الربع سكن فيه العاملون الذين يعملون في هذه الحوانيت ، المقريزي : الخطط جـ ٣ ، ص ١٤٤ ، انظر كلمة ربع ص ١٠ من المدخل ، والقيسارية هي احدى المنشآت التجارية بالسوق في عهد المماليك ، وكانت تتكون من طابقين ، الطابق السفلي به حوانيت وصنائع يحوية يعرض فيها الصناع انتاجهم ، وبالطابق العلوي مساكن لمبيت هؤلاء الصناع - حلمى سالم : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة في العصـــر المملوكي ، رسالة دكتوراه جامعة الاسكندرية كلية الآداب برقم ١٢٦٤ ، ١٢٦٦ ، ١٩٧٠ م ص ٩ هامش (٢) والقيسارية في معنى الأسواق من حيث انها كانت تضم عددا من الحوانيت للتجارة ، كما أنها كانت تختص ببيع نوع معين من البضائع كما هو الحال في قيسارية شبل الدولة ، وقيسارية بيبرس ، وطشتمر . آمال العمري : المنشآت التجارية في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ م .

(١٢٥) باب زويلة : وضع القائد جوهر الصقلي بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف باسم سام ابن نوح ، ولما قدم المعز للقاهرة دخل من احدهما وهو الملاصق للمسجد وبعد ذلك ، صارت الناس تدخل وتخرج منه وتركوا الباب الآخر ، وقد زعم الناس في تلك الفترة ان من يدخل من هذا الباب لا تقضى له حاجة ، وذلك يرجع الى أن هذا المكان كانت توجد به وسائل اللهو واهل الغناء وكانت

هذه الأقاويل يرجحونها من قبل أن يكون هذا الموضع سوقا لجلوس أهل المعاصى وفى عام ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م بنى أمير الجيوش بدر الجمالى باب زويلة الكبير الباقى حتى الآن فى القاهرة . المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٧ .

(١٢٦) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٦٩ .

(١٢٧) يفهم من كلام المقريزى من متوسوب بحمل قسى البندق ، هى كلمة فارسية بلفظها واستعمالها ، واقتبس العرب هذه اللعبة أيام الخليفة عثمان بن عفان ، وفى العصر العباسى كان رماة البندق طائفة كبيرة ، يخرجون الى ضواحى المدن ، يتسابقون فى رمى البندق ويعتبرون ذلك من قبيل الفتوة المقريزى . السلوك جـ ١ ق (١) ص ٢٧٢ هامش (١) انظر المدخل ص ٧ هامش (٤) .

(١٢٨) نسبة الى قبيلة زويلة التى قدمت مع جوهر الصقلى ، وكانت هناك بئر اقيمت عند هذه السوق مرسم اسطبل الجميزة والذى كانت فيه خيول الخلفاء الفاطميين . المصدر نفسه والجزء ، ص ٥ .

(١٢٩) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٩ .

(١٣٠) الفقاع شراب يتخذ من الشعير سمى بذلك لما يعلوه من الزبد والفقاعات . بدر العينى : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى . القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤٥٦ هامش (٣) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ص ٣٧٦ هامش (١) ، وشراب الفقاع نوعان خاصى وخرجى ، وهو الطيب عامة . الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٥٤ ، والطيب ويسمى الأقسمة والخرجى يصنع من العطارة المال ، ولا يستعمل عمل الفقاع بسبب حدته ، ويؤخذ الشعير المنقى ويدق ثم يغلى على النار ، وبعد أن يبرد يصفيه ويضاف اليه العسل ، وينبغى لبائع الفقاع ان يحمل المقبة لأجل الذباب ، وعليه غسل الأوانى فى كل يوم . ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٦٧ .

(١٣١) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٩ ، ص ١٧٠ .

(١٣٢) المصدر نفسه السابق والجزء ، ص ١٧٠ .

(١٣٣) لفظ فارسى معناه رأس الخف ، فان سر بمعنى رأس وموزة بمعنى خف . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٧٠ .

(١٣٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١٣٥) موضعه حاليا شارع النحاسين بحى النورية . على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ٣ ، ص ٣٧ .

(١٣٦) انظر ص ٣٧ من هذا الفصل هامش (٤) .

(١٣٧) مفردها قبع وهى طاقية توضع على الرأس انظر ابن الحاج : المدخل : جـ ٢ ، ص ٢٤ .

(١٣٨) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٧١ .

(١٣٩) هذه السوق مازالت موجودة الى عهد على مبارك ، فقد وجدت حوانيت لبيع الكروش بالنسبة للقاهرة الحالية شارع القربية . على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٦٣ .

(١٤٠) هى فندق تجاه باب زويلة ترد اليه الفواكه المختلفة من بساتين القاهرة والشام ، وتعتبر من الأسواق المركزية التى خلالها يتم توزيع الفاكهة على أسواق القاهرة وضواحيها ، وقد بنيت هذه الدار بعد عام ٧٤٠ هـ/١٣٣٩ م وتحيط بها حوانيت لبيع الفاكهة . المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ .

(١٤١) الخوخة الكوة او الفتحة الصغيرة فى باب كبير ، والكوة فى البيت ينفذ منها الضوء ، والخوخة باب صغير فى بوابة كبيرة لسور أو حصن او فندق ، وكانت العادة فى العصور الوسطى فى مصر وغيرها أن يجعل هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى ، فلا تكون هناك حاجة الى فتح البوابة الكبيرة الا عند الضرورة ، وهذا اللفظ أطلق على باب فى سور القاهرة نفسه دون وجود بوابة كبرى . المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (١) ص ٢١٥ هامش (٢) ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٤ ، ص ١٤٩ ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٤٩٠ ، الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ ، المعجم الوسيط ، جـ ١ ، ص ٢٦١ ، وقد عرف بهذا الاسم لانه كان فى أيام الدولة الفاطمية سبع فتحات تؤدى الى الجامع الأزهر وبعد زوال الدولة بنيت مكانها عدة مساكن . المقريزى . الخطط : جـ ٣ ، ص ٥٦ .

(١٤٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١٤٣) السراج هو متخذ السرج أو صانعه والحرفة السراجة . حسن الباشا : الفنون الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٥٨٦ ، ويفهم من سياق كلام ابن تغرى بردى أن هذه السوق كانت مخصصة لبيع أدوات الاقامة . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ، ص ١٥ .

(١٤٤) شمس الدين محمد بن الزيات : الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى ، القاهرة ١٩٠٧ م ، ص ٧٦ .

(١٤٥) Doris. Behrens-Abou Seif - A circassian Mamluk suburb n.rth of Cairo. aarp, art and archaeology research papers December 1978. London., P. 17.

(١٤٦) يفهم من كلام ابن الاخوة أن الغرابيل هي المناخل التي استعملت في تصفية الدقيق من الشوائب العالقة به . ابن الاخوة : معالم القربة ص ٢٣١ .

(١٤٧) انظر الفصل الثاني ص ١٢٠ هامش (٢) .

(١٤٨) طافور : الرحلة ، ص ٦٩ .

(١٤٩) محمد عوض : أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه ص ٢٨٨ ، ص ٢٩٠ ، علاء طه رزق : عامة القاهرة في عصر دولة المماليك ، رسالة ماجستير ، ص ٤١ .

(١٥٠) ابن الصيرفي : انباء الهصر بأنباء العصر ، تحقيق حسن حبشي دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ص ١٣٢ حوادث ٨٧٦ هـ .

(١٥١) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصري ص ٨٧ .

(١٥٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ص ٣٦٣ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٦٦ ، ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٣٢ ، ص ٥٢ ، قاسم عبده : دراسات في تاريخ مصر ، ص ١١٠ .

(١٥٣) ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ حوادث ٨٢٥ هـ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١٠٢ .

(١٥٤) السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، طبعة بولاق ١٨٩٦ م ص ٢٦٠ ، ص ٢٦١ .

(١٥٥) انظر الفصل الثالث .

(١٥٦) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، من ص ٩٦ الى ص ١٠٠ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٩٨ .

(١٥٧) ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ ، ابن تغري بردي : النجوم جـ ١٥ ، ص ٩٣ ، ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٧٢ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٩٨ .

(١٥٨) تسمية الوكالة جاءت من الكلمة العربية التوكيل واستخدم المصريون هذه الكلمة للدلالة على المحل الذي يبيت فيه التجار بأمتعتهم . حلمى سالم : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٣ ، هامش (٣) ؛ والوكالة تخصص لإيواء التجار ، وخزن بضائعهم ، وهى بناء يحيط بساحة مربعة أو مستطيلة . ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ، تعريب عدلى نور ١٩٧٥ ، ص ٢٧٥ ، ص ٢٧٦ ، فى وسطها حوض ماء وحوله مخازن فسيحة معقودة بالحجر تتحمل الحرائق . كلوت بك : لمحة عامة الى مصر ، جـ ١ ، تعريب محمد مسعود ، ص ٤٠٢ ، تعلوها مساكن ، لين ، المصريون المحدثون ، ص ٢٧٦ ، لإيواء التجار الغرباء ، كلوت بك . لمحة عامة ، ص ٤٠٢ ، وأحيانا تستعمل هذه المخازن كحوانيت ، وللوكالة باب على واحد يقفل ليلا ، ويحرسه بوابه ، لين : المصريون المحدثون ، ص ٢٠٦ .

(١٥٩) آمال العمرى :المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٩٦ .

(١٦٠) قوصون الساقى الناصرى من مماليك الناصر محمد بن قلاوون عظمت منزلته عند الناصر ، وأحبه حبا كبيرا ، وزوجه ابنته ولما توفى الملك الناصر تعصب قوصون لابنه أبو بكر حتى مكنه من الحصول على السلطنة ، ثم أخذ قوصون يستبد بأمور الدولة عن طريق النيابة للمنصور أبو بكر ، ثم خلع أبا بكر من السلطنة وأخرجه الى مدينة قوص ببلاد الصعيد وقتله ، وأقام كجك ابن السلطان ولقبه بالملك الأشرف ولكن أمور الدولة كلها صارت فى يده فتغير منه الأمراء وثارت عليه الطبقات الشعبية ونهبوا اسطبله وخانقاته ، وقبضوا عليه فى عام ٧٤٢ هـ/١٣٤١ م وقيدوه واعتقل بالاسكندرية وقتل ، كان كريما خيرا يفرق فى كل سنة للأضحية ألف رأس غنما وغير ذلك ، ومن آثاره الجامع والخانقاه بباب القرافة وداره بالرميلة تحت القلعة ، وحكره المعروف باسمه . ابن حجر : الدرر الكامنة طبعة حيدر اباد ١٩٢٩ م جـ ٣ ، ص ٣٤٢ ، ص ٣٤٣ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ ، ص ١٠٥ .

(١٦١) Scharabi, Moh. : drei traditionelle handelsanlagen in Kairo : wakalat Al-Bazara, wakalat dul-Fiqar und wakalat al?Qutn. (mitteilungen des deutschen archaologischen institute abteilung Kairo) band 34 1978, P 159.

(١٦٢) انظر المدخل ص ١٧ هامش (ه) .

(١٦٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٩٥ ،
Scharabi : Op. Cit., P. 159.

(١٦٤) Scharabi : Op. Cit., P. 159.

(١٦٥) الجوانية نسبة للأشراف الجوانيين . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤١ ، والجوانية تقع بالقرب من باب النصر على يسار الداخل الى القاهرة ، ثم استغل الناس قول حارة الروم الجوانية فحذفوا صدر الكلمة وقالوا الجوانية ، ولم يزل الاسم يطلق على الجوانية بشارع الجمالية ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٤ ، ص ٤٢ هامش (٤) .

(١٦٦) هذا الدرب مقابل باب الجوانية عرف بالأمير عز الدين ايدمر الرشيدى من مماليك الأمير الرشيدى الذى هو أيضا من مماليك بيبرس البندقدارى ، وقد سكن عز الدين هذا الدرب وكان معروفا بالعقل وصاحب ثروة وجاه . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٧٠ .

(١٦٧) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٥٢ .

(١٦٨) الاستدار والاستدارية : لفظ فارسى معناه وكيل الخرج أو المؤنة ومعناه الاصطلاحى فى دولة المماليك وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، وهى الاشراف على الجاشنكيرية ، وله مطلق التصرف فى تلبية احتياجات بيت السلطان من النفقات وغيرها . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٢٠ ، جـ ٥ ، ص ٥٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٨ ، ص ٣٢٢ ، هامش (١) .

(١٦٩) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، بيروت ١٩٣٨ م (٩) جـ ٢ ، ص ٢٥١ .

(١٧٠) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٢ .

(١٧١) Scharabi : Op. Cit., P. 160.

(١٧٢) وتتكون من ثلاثة أدوار أرضى وأول وطباق علوية تتكون من ثلاثة أدوار ، والمدخل من الكتل الحجرية ، أما الأرضى فيوجد به طبورة من الرخام الملون وهى حديثة . آمال العمرى : المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٨ ، ص ١٦٩ .

(١٧٣) Lane-Poole : Op. Cit., P 83.

(١٧٤) Scharabi : Op. Cit., P. 160.

(١٧٥) آمال العمرى : المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨١ ، ص ١٨٥ .

(١٧٦) المرجع نفسه السابق ، ص ١٨٧ .

(١٧٧) جاءت تسمية فندق من الكلمة اليونانية (Pandokeion) التي كانت تطلق على مثل هذا النوع من المنشآت التجارية ظهرت هذه الكلمة لأول مرة على كتابة أثرية في مدينة الرملة في القرن ٤ هـ/١٠ م ، وبعد ذلك بدأت تنتشر في دمشق، وقد ظهرت في بلاد الشام قبل ظهورها في مصر : حلمي سالم : حرف صناعات الأطعمة والأشربة ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٣ ، هامش (٣) ، آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(١٧٨) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(١٧٩) انظر ص ٤٧ من هذا الفصل هامش (٨) .

(١٨٠) المقريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٢

(١٨١) فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ٩٠ .

(١٨٢) أنشأه حسام الدين بلال أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك ، وكان بلال هذا حبشي الجنس ، تدرج في الخدمة واستقر عند الصالح علي بن الملك المنصور قلاوون ، وكان كثير البر والصدقات وله أموال عديدة ، ولما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون لقتال التتار عام ٦٩٩ هـ/١٢٩٩ م سافر معه بلال وقتل . المقريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(١٨٣) يتوصل إلى هذا الحكر من سوق باب الزهومة ويسلك فيه إلى حارة العدوية وسمي بهذا الاسم من أجل أن الخليفة الظافر لما قتله نصر بن عباس بنى على المكان الذي دفن فيه مسجد الظافريين وعرف أيضا بمسجد الخلفاء نصبت هناك خشبة حتى لا يمر أحد من هذا المكان راكبا فعرف بخشيبة تصغير خشبة ، ولم تزل هناك حتى زالت الدولة الفاطمية وتولى صلاح الدين السلطنة فأزال الخشيبة وعرف هذا الحي بحكر خشيبة . المقريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ٤٦ .

(١٨٤) حارة العدوية نسبة إلى جماعة عدويين نزلوا بتلك الحارة ، وكانت تمتد مسالكها بين حارة الخرنشف والبندقانيين . ويتوسطها اليوم شارع خان أبو طاقية وشارع سوق الصيارف الصغير ، والعدوية هي من أول باب الخشيبة إلى أول حارة زويلة . ابن تغري بردي : النجوم ، ج ٤ ، ص ٥٢ هامش (٣) .

(١٨٥) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي مؤرخ ولد في عام ٧٦٦ هـ/١٣٦٧ م . اشتغل في الفنون ، واختلط بأكابر الناس وتولى منصب حسبة القاهرة ، ونظم ونثر وألف العديد من الكتب ، ومن مؤلفاته : درر العقود

الفريدة فى تراجم الأعيان الفريدة والمواعظ والاعتبار ، وعقد جواهر الاسفاط من اخبار مدينة الفسطاط ، واتعاظ الحنفاء ، والسلوك ، واغاثة الأمة ، توفى عام ٨٤٥ هـ/١٤٤٢م ، السيوطى . حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٢١ ، أحمد عبد الرازق : دراسات فى المصادر المملوكية ، ص ١١٦ وما بعدها .

(١٨٦) المقريزى : الخطط ، ص ٣ ، ص ١٥٠ .

(١٨٧) كان يقع بشارع قنطرة الدكة فى مقابلة الغربية عند تلاقيه بشارع عرابى حيث كان النيل يجرى قديما فى تلك الجهة قبل أن تظهر الأرض التى عليها بولاق الآن . ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٩ ، ص ٧٠ هامش (٣) .

(١٨٨) Scharabi : Op. Cit., P. 34.

(١٨٩) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٣ .

(١٩٠) يقع هذا الفندق ظاهر المقس ، والمقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين ، وسميت المقس لأن العشار وهو المكاس كان فيها يستخرج الأموال ، فقيل له المكس ، ثم قيل المقس ، وأم دنين كلها مترادفة لقرية كانت واقعة على شاطئ النيل وقت أن كان النيل يجرى فى عهد الدولة الفاطمية فى المكان الذى يمر فيه اليوم شارع عماد الدين وميدان المحطة وما بعده الى الشمال بشارع الملكة نازلى . ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٤ ، ص ٥٣ هامش (٧) .

(١٩١) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٢ .

(١٩٢) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ط (١) القاهرة ١٨٩٣م جـ ٤ ، ص ٤٠ ، ص ٤١ . طبعة

(١٩٣) حلمى سالم : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨٣ ، هامش (٣) ، وكلمة خان فارسية الأصل من كلمة خانة بمعنى دار أو منزل أو بيت أو حوش . وكتور محمد زعفرانى ، دكتور مرتضى آيات الله زاده شيرازى : فرهنك اصطلاحات روز مؤسسة انتشارات امير كبير تهران ١٩٦٤ م ، ص ١٢٢ ، وقد استخدمت كلمة خان منذ أقدم العصور الاسلامية للدلالة على ذلك البناء المخصص الذى يتكون من العديد من الحجرات التى تحيط بفناء مكشوف ، يضم غالبا طابقين ، الأرضى يحتوى على اسطبلات للدواب ، ومن المخارج حوانيت صغيرة ، أما الأدوار العلوية فكانت مخصصة الى مساكن . آمال العمرى : المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٢٦ ، وقد تأتى كلمة الخانات ومفردها خانة بمعنى أماكن الحبس والاستعمار . المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٥٥٣ ، هامش (٥)

(١٩٤) موضعه اليوم مجموعة المباني التي تعد من الدرب بشارع المعز لدين الله ومن الشمال والشرق شارع خان الخليلي ومن الجنوب شارع جوهر القائد (السكة الجديدة سابقا) . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٣٢ ، حاشية (٣) ، جـ ١١ ، ص ٣٦٤ حاشية (١) ، واشتمل هذا الخان على مائة بيت ومسجد كانت تقام فيه شعائر الجمعة ، ومكان هذا الخان على عهد علي مبارك وكالة رضا بالخرنفشية - علي مبارك : الخطط التوفيقية جـ ٢ ، ص ٢٤ .

(١٩٥) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٩٤ .

(١٩٦) موضعه اليوم جامع البيومي وحوض الشرب المجاور له بشارع البيومي قريبا من درب الجميزة وجامع شرف الدين الكردي . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٤٦ حاشية (١) .

(١٩٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١٩٨) المقريزي : السلوك ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ ، العيني : عقد الجمان ، ص ٢٢٨ ، بيبرس المنصوري : التحفة الملوكية ، ص ٥٩ .

(١٩٩) علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٤ ، ص ٤ .

(٢٠٠) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥١ .

(٢٠١) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٢٠٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١١ ، ص ٢٨٤ ، المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٣ وهذا الحي يقع بين باب الزهومة وحي السبع خوخ . المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٥٩ .

(٢٠٣) وظيفة يتحدث متوليها على اصطبل السلطان أو الأمير ، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل في حكم الاصطبلات . وهذا اللفظ مركب ، أحدهما عربي وهو أمير ، والثاني فارسي وهو اخور ومعناه العلف ، فيكون معنى أمير اخور أمير العلف لأنه المتولي لأمر الدواب . المقريزي : السلوك ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ ، حاشية (٢) ، السبكي : معيد النعم ص ٣٧ .

(٢٠٤) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٣ .

(٢٠٥) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٥١ ، وبالرجوع للقلقشندي : صبح الأعشى ثم يذكر سوى خان مسرور أما عن ابن تغرى بردى فقد ذكر بعض الخانات والوكالات والفنادق وإن كان مصدره هو المقريزي : الخطط .

(٢٠٦-٢) انظر المدخل ص ١٢ ، ١٣ ، الفصل الأول ٧٤ ، ٧٥ ، الفصل الثاني ١٣٠ .

(٢٠٧) سعاد ماهر : مساجد مصر ، حـ ٣ ، ص ٩ ، ص ١٢ .

(٢٠٨) دولت عبد الله : معاهد تركية النفوس في مصر ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢٧٣ .

(٢٠٩) دولت عبد الله : معاهد تركية النفوس ، ص ٢٧٣ .

(٢١٠) ٧٠٨ هـ - ١٣٠٨ م Lane-Poole , Op. Cit., P 83.

(٢١١) الحوش الأصغر بشارع وكالة الصابون (التى أطلق عليها المقريزى وكالة قوصون) . على مبارك : الخطط التوفيقية ، حـ ٢ ، ص ٧٠ .

(٢١٢) بيبرس البرجي العثماني الجاشنكير كان من مماليك المنصور قلاوون، وترقى الى أن وصل الى وظيفة جاشنكير وهو اسم وظيفة مركبة من لفظين فارسيين : أحدهما جاشنا أو جاشني ومعناه الذوق ، والثاني كير ومعناه المتعاطي لذلك ، أي ان المعنى الاجمالى وهو الذى يتذوق الطعام . والجاشنكير موظف مهمته أن يذوق الطعام والشراب قبل أن يتناوله السلطان خشية ان يكون مسموما ، ولذلك كان له حق الاشراف التام على اعداد الطعام والشراب ، ومراقبة من يتولون ذلك والتأكد من اخلاصهم . القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٥ ، ص ٤٦٠ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية ، ص ٣٤٣ ، وكان بيبرس أشقر اللون مستدير اللحية ، ولما خرج الناصر الى الحج استبد بالملك وتلقب بالمظفر ولم يستمر في السلطنة مدة طويلة . ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ١ ، ص ٥٠٢ ، ص ٥٠٥ ، ص ٥٠٦ .

(٢١٣) أصل الرباط ما يربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباطا ، كما قيل أن الرباط والمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة والمحافظة عليها ، والرباط هو بيت الصوفية . المقريزى : الخطط حـ ٤ ، ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٣ ، وعقب الفتوح الاسلامية الأولى جرت العادة بتشييد مؤسسات عسكرية في الثغور التى هي موضع المخافة من العدو ، وعرفت تلك المؤسسات باسم الربط ، وكانت تلك الربط أشبه بالقلاع الحصينة ترابط فيها حامية لدفع عادية الأعداء ولما أقيمت المدارس النظامية في مصر ، تحولت بعض الربط الى مدارس وكان لها صفة تعليمية . دولت عبد الكريم : معاهد تركية النفوس ، ص ٤٣ ، ص ٥٠ ، وقد زال هذا الرباط ، ومكانه اليوم الوكالة التى انشأها سليمان أغا السلاح دار في عام ١٢٣٣ هـ/١٨١٧ م ومازال موجودة باسم حوش عطر بشارع الحمالية . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ص ١٧٤ هامش (٤) .

(٢١٤) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٢١٥) حجة السلطان بيبرس الجاشنكير ، محفظة (٤) حجة (٢٢) .

(٢١٦) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٢١٧) شيخ الخانقاه هو الرئيس الأعلى للخانقاه ، وكان يشترط فيه أن يكون ورعا معروفا بعلمه الواسع، مراعيا للشرع ، وكانت تسند اليه أعمال ادارية ، كالنظر فى أمر الوقف ، وحضور قراءة وثيقة الشرط سنويا للتأكد من تنفيذ ما جاء فيها والاشراف على الحفلات الدينية . دولت عبد الكريم : معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ ، ويعتبر ابن خلدون أحد الذين تولوا مشـــيخة الخانقاه البيبرسـية بعد وفاة شيخها وذلك فى عام ٧٩١ هـ/١٣٨٨ م ، وكان يشترط فى شيخها أن يكون عضوا فى هيئة المتصوفين فيها ، فنزل ابن خلدون يوما واحدا فيها ، وفيه من أمثالها حتى يتوافر فيه هذا الشرط ولكن لم يعرف فى تاريخه أنه زاول التصوف العملى أو ركن الى الزهد والاعتكاف كما كان يفعل المتصوفون فى عصره ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبد الواحد وافى ط (١) ١٩٦٥ م ، جـ ١ ، ص ١٢٠ ، ص ١٢١ . الامام من يؤم ، لكنه فى الخوانق كان من الصوفية وكانت معظم الخوانق تكتفى بامام واحد . دولت عبد الكريم : معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٧٨ .

(٢١٨) والخادم يقوم بخدمة شيخ الخانقاه ، ويشترط فيه أن يكون ورعا دينا واسع المعرفة بآداب التصوف والاصطلاحات الصوفية وآداب أهل الخوانق مع توفير أوقات العبادة للصوفية البواب كان يعهد اليه مع من لا أخلاق لهم من دخول الخانقاه ، وأحيانا تسند اليه أعمال اضافية كالوقادة من الخوانق الصغيرة ، وعليه المبيت بالقرب من باب الخانقاه بحيث يسمع من يطرق عليه . السبكى : معيد النعم ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ ، ص ١٢٦ ، ص ١٤٤ ، دولت عبد الكريم : معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٣ .

(٢١٩) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ١٩٨٠ م ، ص ٢٥٥ الى ص ٢٥٧ .

(٢٢٠) السبكى : معيد النعم ، ص ١١١ .

(٢٢١) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٤٦ .

(٢٢٢) محمد أمين : الأوقاف ، ص ١٩٨ ، ص ١٩٩ .

(٢٢٣) السبكى : معيد النعم ، ص ١١١ .

(٢٢٤) محمد أمين : الأوقاف ، ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ .

(٢٢٥) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٨٥ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٧٢ .

(٢٢٦) محمد أمين : الأوقاف ، ص ١٩٤ ، ص ١٩٥ .

(٢٢٧) دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس ، ص ٢٨٤ ، محمد أمين : الأوقاف ، ص ١٩٣ .

(٢٢٨) المرجع السابق والصفحة .

(٢٢٩) وثيقة بيبرس الجاشنكير .

(٢٣٠) محمد أمين : الأوقاف ، ص ٢١٣ .

(٢٣١) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٢٣٢) محمد أمين : الأوقاف ، ص ٢١٨ .

(٢٣٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٢٣٤) وثيقة بيبرس الجاشنكير .

(٢٣٥) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٣٧ .

(٢٣٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧ ، ص ٣٨ .

(٢٣٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٤ .

(٢٣٨) وقد اندثر معظمها وخاصة الأدوار العليا ، فقد تلاشت معظم جدرانها ومحتوياتها - سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ١٧٠ .

(٢٣٩) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٧ .

(٢٤٠) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢٤١) هذا الدرب تجاه خزانة البنود عرف ببيين الدولة راشد العزيزى . المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٦٨ .

(٢٤٢) هذا الدرب بجوار المدرسة الجمالية فيما سبق درب راشد ودرب ملوخيا عرف بسيف الدولة نادر الصقلبى ، توفى فى عهد الدولة الفاطمية فى عام ٣٨٢ هـ/٩٩٢ م . المقريزى : الخطط جـ ٣ ، ص ٦٨ .

(٢٤٣) كان من مماليك الناصر محمد ، بعثه السلطان فى عام ٧١٨ هـ/ ١٣١٨م الى الحجاز ، ثم جعله استادارا فى عام ٧٢٠ هـ/١٣٢٠ م ثم أضاف اليه الوزارة ، ولما كانت الفتنة بثغر الاسكندرية بين أهلها وبين الفرنجة ، بعث السلطان

بالجمالى اليها وقبض على كثير من الطبقات الشعبية ووسط بعضهم وقطع ايدى جماعة وأرجلهم ، وعاد الى القاهرة بعد عشرين يوما ، وقد سفك دماء كثيرة وفى عام ٧٣٢ هـ/١٣٣٢ م صرف من الوزارة وبقى على وظيفة الاستدارية ، ثم سافر الجمالى الى الحجاز عاما علا توفى فى عام ٨٣٢ هـ/١٤٢٨ م ودفن بهذه الخانقاه . المقريزى ، الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٣٧ ، ص ٢٣٨ .

(٢٢٤) اندثرت اماكن الصوفية ولم يبق منها الا القبة التى تعلو قبر منشئها ومكان الصلاة وتعرف الآن بزاوية مغلطاى الجمالى بحارة قصر الشوق بقسم الجمالية بالقاهرة . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٦٨ ، هامش (١) .

(٢٢٥) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٢٧ ، ص ٢٢٨ .

(٢٢٦) سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ١٨٣ .

(٢٢٧) مازال هذه الخانقاه موجودة وتعرف اليوم باسم تربة برقوق بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٤١ ، هامش (١) .

(٢٢٨) سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٤ ، ص ٣٨ .

(٢٢٩) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٩ ، تولى الحكم فى عام ٧٨٤ هـ/ ١٣٨٢ م ، ويعتبر السلطان الأول من ملوك الجراكسة ، كان شجاعا محبا للفروسية أبطل كثيرا من المكوس فنشطت الحركة التجارية ، وهبطت أسعار البضائع المستورده مما شجع كثيرا من التجار الأجانب على الاتجار مع مصر ، وقد اتسع ملكه ، وأوصى أن تبنى له تربة يلحق بها مسجد وخانقاه ، وقد نفذ ابنه وصيته فأنشأ المدرسة الجامع الخانقاه البرقوقية ، انظر الفصل الثالث ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١١ ، ص ٢٤١ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٤ ، ص ٣٧ .

(٢٣٠) سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ١٤ .

(٢٣١) حجة وقف السلطان برقوق ، محفظة ٩/١ ، حجة (٥١) .

(٢٣٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٩ .

(٢٣٣) يقع هذا المحل فى الجهة الجنوبية من القاهرة بينها وبين الفسطاط فى حى السيدة زينب وقد انشىء عليه جامع احمد بن طولون ، ويسبب جبل يشكر الى يشكر بن جزيلة من لخم وهى احدى القبائل العربية التى نزلت عند الفتح بهذا

الجبل ، ويقال ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام عنده . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٤٤ ، وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التى تجرب قبل ارسالها الى الثغور . المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٢١ ، ويقال أن هذا الجبل قطعة من الجبل المقدس وكان يصلى عليه الصالحون . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٨٥ .

(٢٥٤) أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى عام ٦٤٠ هـ/١٢٤٢ م آثار هذه المناظر ظلت باقية حتى زمن المقريزى ٧٦٩ هـ/١٣٦٧ م ، وقد كان من الممكن رؤية باب زويلة والقاهرة وقلعة الروضة والجيزة من فوقها ، ومناظر الكبش تعد من أجمل متنزهات القاهرة المملوكية فى تلك الفترة وأروعها بناء وتشييدا وقد نزل بها أبو العباس أحمد العباسى لما جاء من بغداد وبايعه الملك الظاهر بيبرس بالخلافة ، وقد هدمت هذه المناظر فى عام ٧٢٢ هـ/١٣٢٢ م فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون وأعاد بناءها وتجديدها وأنشأ بها اصطبلا للخيول وقد اتخذها بعض أهل القاهرة مكانا للسكنى وذلك فى عام ٧٧٥ هـ/١٣٧٣ م . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢١٦ ، الى ص ٢١٨ .

(٢٥٥) سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ١٤٣ .

(٢٥٦) كان الأمير علم الدين سنجر الجاولى من مماليك جاول أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس ثم انتقل بعده بيت السلطان المنصور قلاوون وأصبح من مماليكه ، وترقى الى أن صار مقدما بالشام ثم واليا لغزة وصادفته محن انتهت فى عام ٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م بتعيينه أميرا مقدما بمصر . وكان من المشتغلين بالعلم متخصصا فى الحديث وفى فقه الامام الشافعى . سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ١٤٣ .

(٢٥٧) المرجع السابق والجزء ، ص ١٤٤ .

(٢٥٨) الأمير علاء الدين أقبغا بن عبد الواحد من مماليك الناصر محمد بن قلاوون أعجب به فجعله استادارا للسلطان فى عام ٧٤٢ هـ/١٣٤١ م ومات الناصر وقام من بعده ابنه الملك المنصور فقبض عليه وأخذ سائر أملاكه من الخيل والجمال والجوارى والمماليك والأسلحة ، وقتل فى آخر عام ٧٤٤ هـ / ١٣٤٤ م ، وكان يتصف بالظلم والطمع ، جمع من الأموال شيئا كثيرا وألزم جماعة من أهل الخير لتعليم أولاد الأمراء وأخذ ما معهم ؛ المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، من ص ٢٢٥ الى ص ٢٢٧ .

(٢٥٩) المصدر نفسه السابق والجزء .

(٢٦٠) احمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، ص ١٥٥ .

(٢٦١) انظر ص ٦٠ حاشية (٥) من هذا الفصل .

(٢٦٢) محمد أمين : الأوقاف ، ص ٢١٦ .

(٢٦٣) مارسيه : دائرة المعارف الاسلامية ، بدون تاريخ ، م (١٠) ، مادة رباط ، ص ٢١ ، ص ٢٣ .

(٢٦٤) المقريزي : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٩٣ ، ص ٢٩٤ .

(٢٦٥) كانت أرضا زراعية تعرف ببركة المعافر وحمير . وكان في غربيها جنان تعرف بالحبش تنسب اليها ، وتلك الجنان تعرف بقتادة بن قيس بن حبشي الصدفي، شهد فتح مصر . وهي من أجل متنزهات القاهرة ، وهذه البركة موقعها اليوم بمنطقة الأراضي المنخفضة لزمام بركة الطين الموصل بين مصر القديمة ودير الطين ، ومن الجنوب يلاقي أراضي ناحية البساتين . ومن الشرق سكن قرية البساتين والجبل الشرقي ومن الشمال صحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذي يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر ثم حدود اثر النبي . القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٣٦ ، حاشية (٢) ، المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٤٧ .

(٢٦٦) المقريزي : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٩٢ .

(٢٦٧) يقع باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين امام باب النصر ويقع بالقرب من وكالة قوصون وقد انشأهما الافضل بن أمير الجيوش . القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٤٩ .

(٢٦٨) المقريزي : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ .

(٢٦٩) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ ، المقريزي : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٩٥ .

(٢٧٠) الملك الأشرف شعبان بن حسين ٧٦٤ هـ/١٣٦٢ م .
Lane-Poole : Op. Cit., P, 81.

(٢٧١) المقريزي : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٩٦ .

(٢٧٢) ليفي بروفنسال : دائرة المعارف الاسلامية ، م (١٠) مادة زاوية ، ص ٣٣١ .

(٢٧٣) أحمد رمضان أحمد : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، ص ١٥٥ .

(٢٧٤) انظر ابن أيبك الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر جـ ٩ وهو الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر تحقيق هانس روبرت رويمر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٣٩١ .

(٢٧٥) الادفوى : الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، طبعة ١٩١٤ ص ٤٠٠ ، ص ٤٠١ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ١٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، مكتبة القدسى ، ط (١) ١٩٣١ ، جـ ٧ ، ص ١٩٧ .

ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٠٧ ، السبكى : معيد النعم ، ص ١١٣ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات م (٩) ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

(٢٧٦) لطفى أحمد وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٧ ص ٥٨ ، ص ٥٩ .

(٢٧٧) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٤٠٠ ، ص ٤٠١ .

(٢٧٨) لطفى أحمد : وسائل الترفيه ، رسالة ماجستير ، ص ٦٠ .

(٢٧٩) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٧ ، ص ١٩٧ .

(٢٨٠) المصدر نفسه والجزء ، ص ٥٤ .

(٢٨١) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٩٧ ، لطفى أحمد : وسائل الترفيه ، رسالة ماجستير ، ص ٦٢ .

(٢٨٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٣ .

(٢٨٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ١٤ .

(٢٨٤) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٠٧ .

(٢٨٥) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م (٩) ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

(٢٨٦) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٩ الى ص ٥١ .

(٢٨٧) انظر ص ٤٨ حاشى (١) من هذا الفصل .

(٢٨٨) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٦ .

(٢٨٩) نسبة لجماعة الأشراف الحسينين الذين قدموا من الحجاز فى أيام الملك الكامل ابن العادل ، ونزلوا بها واستوطنوها ، وبنوا بها المدابغ وصنعوا الأديم ، ثم سكنها الأجناد وبنوا بها المبانى العظيمة ، وكانت حارة كبيرة تقع خارج

سور القاهرة بالقرب من باب الفتوح ويتوسطها اليوم من الجنوب الى الشمال شارع الحسينية وشارع البيومى من باب الفتوح الى ميدان الأمير فاروق (شارع الجيش) . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٥٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٤٥ ، هامش (٢) .

(٢٩٠) Doris : Op. Cit., P. 17.

(٢٩١) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٧٣ ، انظر الفصل الثانى .

(٢٩٢) ليلى أحمد أمين المصرى ، حى الحسينية فى العصرين المملوكى والعثمانى دراسة حضارية وأثرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٩٩٠ ، جامعة القاهرة كلية الآثار ، ص ١٥١ .

(٢٩٣) لأن الشىء بلونه لونا ، ولونه لينه وهذه الأرض لما انحسر عنها ماء النيل كانت أرضا لينة والى الآن فى أرض مصر اذا ما نزل عليها ماء النيل لا تحتاج الى الحرث للينها بل تلاق لونا المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ ، وقد ظهرت أرض اللوق فى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية كمطرح بحر ثم أضيفت اليها طرحات أخرى فى أوائل عهد دولة المماليك البحرية ، وقد بدأت عمارة اللوق منذ عهد الخديو اسماعيل واكتظت بالمبانى والعمائر حتى صارت كلها مشغولة بالدور والقصور . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٥ ، ص ١٤ ، وقال عنها القلقشندى « سكنها رعاع الناس وأوباشهم » القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨ .

(٢٩٤) ليو الأفريقى : وصف أفريقيا ، ص ٣٨٨ .

(٢٩٥) الاسم الصحيح لبولاق هو « بولق » وهى الأرض المرتفعة المطلة على النهر ، أنشأ الخليفة المعز دارا لصناعة السفن فى منطقة أم دنين ، وفى عهد الحاكم أقام جسيدا فى تلك المنطقة ، وأصبحت هذه المنطقة آهلة بالسكان بعد أن كانت دار صناعة فقط وعرفت باسم المقس ، ولما انحسر ماء النيل عن القاهرة امتلأت المنطقة بالرمال وأصبح ماء النيل لا يمر بهذه المنطقة الا فى أيام الفيضان وعرفت منذ ذلك الوقت باسم بولاق وكان ذلك فى عام ٧١٣ هـ/١٣١٣ م وأقبل أهل القاهرة على عمارتها وسكنها الأمراء والجند والكتاب والتجار والطبقات الشعبية . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢١٢ ، ص ٢١٣ ، سعاد ماهر مساجد مصر ، جـ ٥ ، ص ١٧ ، ص ١٨ .

(٢٩٦) ومن هؤلاء محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشريف ولد فى عام

٨٢٨ هـ/١٤٢٤م ببولاق واتعد الصالح جرية له . السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، طبعة ١٣٥٤ هـ ، جـ ٩ ، ص ٢٣٧ .

(٢٩٧) من اشهر مزارات القرافة قبر الامام ابى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى الذى توفى فى عام ٢٠٤ هـ/٨١٩م بالفسطاط ، وقبر الامام الليث بن سعد . المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٤٥ ، ص ٢٤٧ .

(٢٩٨) على سبيل المثال مقبرة ذو النون بن ابراهيم الاخميمى ، وهذه المقبرة مشهورة بلجابة الدعاء ، وكان ذو النون ذا علم وحكمة . ابن الزيات : الكواكب السيارة ، ص ٢٢٢ .

(٢٩٩) محمد حمزه اسماعيل . قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ١٩٨٧ ، ص ١٨١ ، ص ١٨٢ .

(٣٠٠) ومن اشهر الربط ، رباط بنت الخواص ، ورباط الأشراف ، ورباط الأندلسى ، ورباط ابن المكارى ، ورباط الحجازية ، ورباط رياض ، انظر المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٣٢٣ ، ص ٣٢٤ .

(٣٠١) المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٢٣ .

(٣٠٢) محمد حمزه : قرافة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١٨١ ، ص ١٨٢ .

(٣٠٣) عرف جامع الأولياء فى العصر الفاطمى باسم جامع القرافة وكان موضعه عند فتح مصر يعرف بحى المغافرة ، وهو مسجد بناه عبد الله بن مانع وعرف بمسجد القبة ، وكان القراء يحضرون فيه ثم بنى عليه المسجد الجديد والذى انشأته السيدة المعزية وذلك فى عام ٣٦٦ هـ/٩٧٦م ، وهى أم العزيز بالله ، وقد وجد بهذا الجامع بستان لطيف وصهريج ، كما كان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون للحديث ، أما اليوم فيعرف جامع الأولياء باسم « حوش عيسى » ، وقد زال ولم يبق منه الا آثار بعض جدرانه ، المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ١٢٠ ، ص ١٢١ ، سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ١ ، ص ٢٩٥ ، ص ٢٩٨ .

(٣٠٤) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٣١٩ .

(٣٠٥) القرافة ما كان منها فى سفح الجبل يقال له القرافة الصغرى ، وما كان منها فى شرقى مصر بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى ، المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٣١٧ .

(٣٠٦) محمد حمزه : قراءة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١٨٦ .

(٣٠٧) هو يلبغا بن طقطا الساقى اليحياوى الناصرى ، الحق أبوه بالخدمة عند الملك الناصر محمد ، أما هو فقد تقدم وحظى بمركز مرموق عند الناصر ، وكان الناصر يرسل له الخيول بسروجها المزركشة ، ولما مرض الناصر كان يلبغا يقوم بتمريضه ، ثم قبض قوصون على يلبغا وأفرج عنه بعد فترة ، وقد تولى يلبغا نيابة حماه ثم حلب ثم دمشق ، ولما أراد الخروج معه العسكر وقبض عليه مرة ثانية وأرسل للقاهرة وقتل فى عام ٧٤٨ هـ/١٣٤١ م ، وكان كثير التلاوة للقرآن ، شديد العطف على الفقراء . ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٤ ، ص ٤٣٦ ، ص ٤٣٧ .

(٣٠٨) كان من مماليك الناصر وهو صبى ، كما كان يميل اليه كثيرا ، فأمره فى عام ٧١٢ هـ /١٣١٢ م وتوفى فى عام ٧١٦ هـ/١٣١٦ م ، وكان مفرط الجمال . المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٣٠٩) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٠ .

(٣١٠) هو ابو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنانى ، الاندلسى ، الشاطبى البلنسى ولد فى بلنسية عام ٥٣٩ هـ/١١٤٤ م ، وقد شغف بعلوم الفقه تسمعها من أبيه فى شاطبه ، وأخذ القرآن عن أبى الحسن ، وقد قامت شهرته على كتابه الذى عرف باسمه وهو « رحلة ابن جبير » وبدأ الرحلة فى عام ٥٧٨ هـ/١١٨٢ م وختمها فى عام ٥٨١ هـ/١١٨٥ م . وكتابه حافل بالمشاهد والتجاريب التى اكتسبها فى أثناء تجواله فى مختلف البلدان ، وقد استرعى اهتمام المستشرقين لما له من قيمة ثمينة ، توفى فى عام ٦١٤ هـ/١٢١٧ م فى آخر رحلة قام بها الى مصر والاسكندرية ، انظر رحلة ابن جبير ، بيروت ١٩٦٨ م ، ص ٥ .

(٣١١) المصدر نفسه ، ص ١٩ ، الى ص ٢٢ .

(٣١٢) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، طبعة ١٨٨٩ ، ص ٣٧ .

(٣١٣) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ص

(٣١٤) انظر Dopp : Op. Cit., PP. 84 — 86.

(٣١٥) البلوى المغربى : رحلة البلوى ، ص ٦٠ .

(٣١٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ .

(٣١٧) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٨ .

(٣١٨) القاضي المرتضى صفي الدين علي بن غريض المتروسى أحد كتاب ديوان الانشاء في أيام السلطان صلاح الدين يوسف قتل شهيدا في عكا في عام ٥٨٦ هـ/١١٩٠ م ودفن بالقدس . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٤٠ ، وبالرجوع الى ابن دقماق في كتابه الانتصار جـ ٤ ، ص ٣٧ ، الى ص ٤٠ في ذكره للقياسر لم يذكر هذه القيسارية ، كذلك القلقشندى في صبح الأعشى اما عن ابن تغرى بردى في كتابه النجوم الزاهرة فقد ذكرها وكان مصدره المقريزى في كتاب الخطط .

(٣١٩) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٤٠ .

(٣٢٠) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٤٤ .

(٣٢١) انظر ص ٦٠ هامش (٤) من هذا الفصل .

(٣٢٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٤٤ ، ص ١٤٥ .

(٣٢٣) انظر أسواق القاهرة من ص ٣٠ الى ص ٤٧ (من هذا الفصل) .

الفصـــل الثـــانى

الوضـــع الاقتصـــادى للعـــامة وسياســـة الدولة حيـــالهم

الوضع الاقتصادى للطبقات الشعبية وسياسة الدولة حيالهم

- حرف وصناعات الطبقات الشعبية
- نظام طوائف الحرف
- صـــــغار التجـــــار
- الشطار والعيارون والحرافيش واهل الفتوة
- المنقطعون للعبادة

يمكن الوقوف على الوضع الاقتصادى للطبقات الشعبية فى القاهرة ابان العصر المملوكى فى ضوء النظام الاقطاعى السائد فى تلك الآونة(١) ، فقد كانت الدولة المملوكية يسودها النظام الاقطاعى الذى يميزه وجود طبقتين احداهما مثل الثراء والبذخ والاخرى متردية فى الفقر والعوز ، نتيجة سوء الاحوال الاقتصادية والاوضاع الاجتماعية (٢) ، وفى ظل هذا النظام استأثر المماليك بكل خيرات البلاد ولم يتركوا لأهلها سوى التعب(٣) ، وحياة الفقر والفاقة(٤) .

ومن مظاهر القهر الاقتصادى الذى تعرضت له الطبقات الشعبية فى ذلك العصر احتكار الدولة التجارى لبعض السلع الأساسية وتحديد سعرها بما لا يتناسب مع القدرات الشرائية لهذه الطبقات(٥) ، وقد زادت وطأة المعاناة الاقتصادية فى دولة المماليك الثانية (بدأت فى عام ٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م)(٦) نظرا لتعدد الفتن والاضطرابات الداخلية وبخاصة فى اواخر هذا العصر مما اثر على الوضع الاقتصادى تأثيرا سلبيا . ومن اشهر هذه الاضطرابات والفتن الداخلية ما حدث فى عام ٨٩٨ هـ/١٤٩٢ م حين ثار المماليك مطالبين السلطان الاشرف قايتباى (٨٧٢ هـ/ ١٤٦٧ م) بصرف رواتبهم ، فاضطربت الأحوال فى القاهرة واغلقت الحوانيت والأسواق وخشى الناس من وقوع فتنة من جراء ذلك وفى عام ٩٢١ هـ/١٥١٥ م حينما نودى فى العسكر بالخروج لمواجهة العثمانيين ، نزل المماليك من القلعة وهجموا على

الحصارات والبيوت واعتدوا على الناس ، وقد اثرت مثل هذه الاضطرابات فى الحالة الاقتصادية للقاهرة اذ أغلقت الطواحين واختفى الخبز من الأسواق ووقع القحط بين الناس فضججت الطبقات الشعبية وزادت أحوالها الاقتصادية سوءا وهكذا اسهمت الحروب الداخلية فى تردى الحالة الاقتصادية للطبقات الشعبية ، أما الحروب الخارجية فمنها ما كان بين المماليك وشاه سوار بن أمراء التركمان من حروب على الحدود الشمالية للدولة وذلك فى عام ٧٨٢ هـ/١٤٦٧ م ومن هذه الحروب الداخلية أيضا ما دار بين العثمانيين ودولة المماليك فى عامى ٨٩٠ هـ/١٤٨٥ م و ٨٩١ هـ/١٤٨٦ م و ٨٩٣ هـ/١٤٨٧ م ، فقد كانت هجمات العثمانيين تكلف الدولة نفقات طائلة مما أثقل كاهل خزانة الدولة الأمر الذى زاد الوضع الاقتصادى سوءا(٧) ، وهو الأمر الذى دفع بعض الطبقات الشعبية الى الانضمام الى فئة الشطار والعيارين(٨) ، كما اتجه البعض الآخر من أصحاب الموهبة الى قرض الشعر كوسيلة للتكسب الى جانب حرفهم الأصلية(٩) ، وجاء شعرهم انعكاسا لحالتهم الاقتصادية ، ومعبرا عن مظاهر الفقر والمعاناة اليومية التى اتصفت بها حياتهم فى تلك الفترة(١٠) . وقد انضم البعض منهم الى صفوف الفتوة وانخرط البعض الآخر فى سلك التصوف بالتحاقهم بالخوانق والربط كوسيلة للتخلص من وطأة ما يعانونه من ظروف سياسية واقتصادية سيئة(١١) .

وقد كانت العلاقة بين السلطان والطبقات الشعبية ترتبط بالأحوال الاجتماعية والظروف السياسية والاقتصادية التى تمر بها الدولة ، ذلك بالاضافة الى طبيعة السلطان ذاته وميوله واتجاهاته فى الحكم ، وكانت الضرائب مؤشرا مهما يعكس طبيعة هذه العلاقة ، وغالبا ما كان فرض الضرائب سببا من الأسباب الأساسية

فى إثارة الطبقات الشعبية حتى وان كان غرضها مرتبطا بتجهيز الجيش للدفاع عن البلاد(١٢) .

ففى علم ٨٩٢ هـ/١٤٨٦ م احتاج السلطان قايتباى الى أموال لاخراج حملة ضد العثمانيين ، فأصدر اوامره الى المحتسب . بفرض بعض الأموال على التجار ، ولكن التجار ضجوا من ذلك(١٣). ومن المكوس التى استحدثها السلطان قايتباى للغرض نفسه مكس الغلة الذى فرضه فى علم ٩٠١ هـ/١٤٩٥ م وهو عبارة عن نصف درهم فضة على بيع الغلال وقد تزايد وأصبح بعد ذلك نصفين من الدراهم(١٤) .

كما اصدر السلطان قانصوه الغورى فى علم ٩٠٧ هـ/١٥٠١ م اوامره بأخذ ريع سنة كاملة على الأوقاف الى جانب اجرة عشرة اشهر كاملة من البيوت والربوع والحوانيت والحمامات والغيطان والمراكب ، وذلك للانفاق على الجند ، فثارت الطبقات الشعبية على فرض مثل هذه الضرائب واغلقت الحوانيت وتعطلت حركة البيع والشراء وشكت الطبقات الشعبيه للسلطان مما ادى الى ثورة المماليك عليهم ، فقتل بعضهم وجرح البعض الآخر ونهب الزعر عدة دكاكين ، فلما تزايد الأمر وكادت القاهرة ان تخرب ، نادى السلطان بالأمان وفتح الاسواق وخفض اجرة البيوت والدكاكين ثلاثة أشهر فسكن الحال قليلا(١٥) .

وبالاضافة الى الضرائب المباشرة التى كان يفرضها السلطان على التجار فى صورة اتاوات ، فقد كان السلطان الغورى يفرض نسبة معينة من الخسارة فى بيع السلع تبلغ ثلث سعرها كنوع من الضريبة غير المباشرة الأمر الذى أدى الى اغلاق الأسواق آنذاك لمدة ايام وكان ذلك فى علم ٩١٧ هـ/١٥١١ م(١٦) .

وقد كان بعض السلاطين يفرضون المكوس ثم يتراجعون عنها تحت ضغط ما تقوم به الطبقات الشعبية من حركات تمرد وعصيان وذلك كما حدث فى عام ٧١٥ هـ/١٣١٥ م حينما أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون أوامره بالغاء المكوس المفروضة على الطبقات الشعبية والتى أثقلت كاهلهم(١٧) ، كما أبطل السلطان قانصـــــوه الغورى فى عام ٩١٩ هـ/١٥١٣ م المكوس التى كانت تؤخذ على القمح والبطيخ وسقر الغلال(١٨) .

ومن الضرائب التى فرضها السلطان الغورى على الباعة الجائلين ما عرف باسم « المشاهرة والمجامعة »(١٩) وهى ضريبة تدفع للمحتسب كل شهر يوردها للســــلطان وكان ذلك فى عام ٩٢١ هـ/١٥١٥ م ، وقد اضطر هؤلاء الباعة الى تعويض قيمة هذه الضريبة عن طريق رفع اسعار السلع فاشتد الغلاء ، حتى اضطر السلطان الى الغائها فى عام ٩٢٢ هـ/١٥١٦ م(٢٠) .

وغالبا ما كان السلطان يتخذ موقفا سلبيا ازاء ما يوقعه والى القاهرة من مظالم على الطبقات الشعبية ، ففى عام ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م وفى عهد الناصر محمد بن قلاوون ارتفعت الأسعار وكثر الزغل(٢١) فى النقود فزاد الغـــلاء وأغلقت الباعة الحوانيت ، وتوقفت حركة البيع والشراء(٢٢) ، فاعتبر والى القاهرة ذلك نوعا من التمرد وضرب كثيرا من الباعة ، فتمنعت الطبقات الشعبية وظلت على موقفها واستمر اغلاق الحوانيت ، كما امتنع تجار القمح عن بيعه لأصحاب المطاحن والمخابز ، وحينما عاد السلطان الى القاهرة شكت له الطبقات الشعبية ما بها ، فاكتفى بأن وعدهم خيرا(٢٣) . وفى عام ٨٧٦ هـ / ١٤٧٢ م أمر السلطان قايتباى بسك عملة ذات قيمة جديدة أعلى من قيمة العملة القديمة ، ليحصل على الفرق بين السعرين مما خلق حالة من عدم الاستقرار فى الأسواق ، وخسر الناس الكثير من الأموال(٢٤) .

وقد كان للظروف الاقتصادية اثر مهم فى تحديد سياسة الدولة حيال الطبقات الشعبية فى القاهرة ابان العصر المملوكى ، كما كان تدهور الأحوال الاقتصادية ذريعة يستغلها الأمراء والولاة فى كثير من الأحيان لاحكام قبضتهم على مختلف مظاهر الحياة فى القاهرة فى تلك الآونة فحينما مرت القاهرة بازمة اقتصادية طاحنة فى عام ٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م استغل الأمير قدادار والى القاهرة ذلك ، فاشتد بأسه على أهلها ، وانطلقت يده فى سائر الناس ، وفرض مزيدا من الضرائب ، وعين له نائبا من بطالى الصبيان يقوم بجباية الضرائب عنوة من الطبقات الشعبية فى القاهرة ، وفى هذه الفترة قامت الطائفة المعروفة بالمستصنعين (٢٥) بكثير من مظاهر الفساد ، وهددوا ارباب الأموال ، كما اصدر الوالى ايضا اوامره باغلاق الحوانيت بعد العشاء ومنع السير فى الأسواق ليلا ، واقام هذا الأمير على كل حارة دربا على أن يلزم أهلها باقامته كمظهر من مظاهر تسلطه على القاهرة فى تلك الآونة(٢٦) .

وكلما اشتدت وطأة الأزمة الاقتصادية أو تفشت بعض الأوبئة والمجاعات ، كانت الدولة فى بعض الاحيان تتخذ موقفا ينتقص من حقوق الطبقات الشعبية ، يبلغ فى بعض الأحيان حد الطمع فى حقوق الورثة(٢٧) وكانت الطبقات الشعبية تثور فى بعض الأحيان فى وجه المحتسب الذى غالبا ما يكون سببا فى تعرضهم للظلم ورفع اسعار السلع الضرورية لهم ففى عام ٧٨٢ هـ/١٣٨٠م ارتفع سعر الغلال ولجأ كثير من الناس الى تخزينها طمعا فى رفع سعرها مما يعود عليهم بالفائدة الامر الذى يعود بالضرر على الطبقات الشعبية فلجأت الى السلطان واستغاثوا به لرفع الظلم عنهم . وعزل المحتسب وتعيين آخر بدلا منه(٢٨) .

واستشرت فى دولة المماليك الثانية ارتباط تولى بعض الوظائف عن طريق الرشوة او ما يطلق عليه فى ذلك العصر

« البذل والبرطلة »(٢٩) ، وقد اصبحت هذه الرشوة حقا مكتسبا بعد ذلك ، بحيث اصبح التاجر عن دفعها يعرض باذلها للسجن والعقاب . وكان من يصيبه الثراء من الطبقات الشعبية ، بطريقة او بأخرى يستطيع بفضل ما له أن ينتقل الى طبقة الحكام لفساد الادارة فى أواخر العصر المملوكى .

وهناك حالات تولى فيها افراد من الطبقات الشعبية بعض المناصب الادارية المهمة وذلك نحو شرف الدين بن على الجيرى احد باعة السكر والذى عينه السلطان برقوق محتسبا فى عام ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م مثالا سيئا لعلاقة المسئول بطبقته التى ينتمى اليها(٣٠) . وتولى حد الحلوانية ويدعى على بن ابى الجواد وظيفة ناظر الأوقاف فى عام ٨٠٩ هـ/١٤٠٦ م ، وهو من السوقة وابوه نجار ، ثم عمل فى صناعة الحلوى وأطلق على نفسه اسم أبو الجود ، واستمر على ذلك حتى تولى نظارة الأوقاف ، فاغلق محل الحلوى(٣١) .

ولم يقتصر دور البذل والبرطلة على تولى الوزارة او الحسبة بل تجاوز ذلك ليتحقق من خلاله تولى « مشيخة الحرافيش » فقد تولى شخص يدعى حسن هذا المشيخة بعد عزل آخر اسمه ابو بكر وذلك ببذل المال وكان ذلك فى عام ٨٥٠ هـ/١٤٤٦م(٣٢) وللسبب نفسه ايضا استقر القيم محمد على الفالاتى عوضا عن الامام شمس الدين فى رئاسة المشيخة وذلك فى عام ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨ م(٣٣) ، وايضا الشمس محمد البباوى الذى تقرب من السلطان خشقدم (٨٦٥ هـ — ٨٧٢ هـ / ١٤٦١ ، ١٤٦٧ م) حتى اصبح وزيرا له ، وقد اعتبر ذلك احد مساوىء هذا السلطان ، وكان البباوى طباخا اميا لا يقرأ ولا يكتب وفى مدة ولايته صادر جماعة من التجار فضلا عن انه كان يقتحم البيوت على الناس

ويستولى على اموالهم ، وهناك مثال آخر لقصاب يدعى قاسم شعيته تولى منصب الوزارة فى عام ٨٧٠ هـ/١٤٦٦ م بعد ان دفع مبلغ عشرين الف دينار(٣٤) .

وقد يكون تولى بعض الافراد الذين ينتمون الى الطبقات الشعبية نقمه على الطبقة التى ينتمى اليها خاصة اذا كان هدفه الاساسى هو جمع المال والتزلف الى السلطان وحاشيته ، وخير مثال على ذلك محمد بن العظمة الذى كان فراء وعين فى منصب ناظر الاوقاف فى عام ٨٨٧ هـ/١٤٨٢ م ، وما ان استقر فى هذه الوظيفة حتى انطلقت يده فى الناس وسبب لهم غاية الضرر ، والتفت حوله حاشية السوء يزينون له فعله وما يلحقه باهله وذويه من الطبقات الشعبية من أذى وضرر(٣٥) . وتولى احد الفلاحين ويدعى شمس الدين بن عوض منصب الوزارة فى عهد السلطان قنصوه الغورى فى عام ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ، ورغم أنه لم يغير طبعه وانتماءه الى فئة الفلاحين ، لم يكن حريصا على مصالحهم ولم يلبث السلطان الغورى أن انقلب عليه وقبض عليه وعذبه حتى مات(٣٦) .

ولم تسلم طوائف الحرف من حالات البذل والبرطلة والرشوة التى انتشرت فى العصر الثانى بين الامراء والسلاطين وبلغت ذروتها فى اواخره ، فقد كانت هناك عادة يلتزم بها مشايخ هذه الطوائف الحرفية تقضى بدفع مبلغ من المال عند تولى محتسب جديد أمور الحسبة(٣٧) .

على أن اهم الحرف التى زاولتها الطبقات الشعبية هى المتعلقة بالاطعمة فهى اكثر الحرف ارتباطا بالطبقات الشعبية . ومنها حرفة الطحانين ، وقد وجد نوعان من المطاحن ، مطاحن

خاصة ومطاحن عامة ، فالخاصة كان يمتلكها الأغنياء فى منازلهم لطحن غلالهم(٣٨) ، أما المطـــاحن العامة فهى التى كان يمتلكها طحانون محترفون مهنتهم طحن الغلال لقاء أجر معين لمن يرغب من الناس(٣٩) وقد زاول هذه الحرفة صانع متمرس يعاونه صبى يتعلم منه كيفية سير العمل ، وقد شـــغل البعض عمل الطحان والخباز فى آن واحد ، وكان يرأس الصناع الموجودين بالطاحونة رجل عرف باسم المدولب فى الطواحين(٤٠) .

أما عن أماكن تواجد هذه الطواحين فى القاهرة ، فهناك عدد منها كان يضمها شارع باب البحر(٤١) ، تخصص بعضها فى طحن الحبوب نحو القمح ، وأخرى كانت تقع بباب الشعرية(٤٢) على يمنة السالك طالبا لباب البحر ، وطاحونة أخرى كانت تقع بالقرب من جامع الزاهد(٤٣) . وطاحونة ثالثة بالقرب من سويقة العياطين(٤٤) . وقد وجد بالفسطاط حى للطحانين به صـــفان من الطواحين(٤٥) ، وكانت هذه الطواحين تدار بالخيول ، وكثيرا ما تعرضت هذه الخيول للمصادرة من المماليك مما كان يؤدى الى توقف العمل . فقد حدث فى عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م ان هاجم المماليك الطواحين وأخذوا ما بها من الخيول مما ترتب عليه ارتفاع سعر الدقيق(٤٦) ، وفى عام ٩٢٢ هـ/١٥١٦ م استولى المماليك على خيول الطواحين أيضا ، وضجت الطبقات الشعبية وأغلقت الأسواق ، واضطربت أحوال القاهرة . ويبدو ان السبب فى المرة الأولى يرجع الى حاجة منطاش الاشرفى(٤٧) اليها فى نزاعه مع يلبغا الناصرى(٤٨) ، وفى المرة الثانية أمر الســـلطان الغورى العسكر بالاستعداد للسفر ، فما كان منهم الا ان نزلوا للطواحين واستولوا على ما بها من خيول وبغال(٤٩) .

وكان المحتسب(٥٠) يقوم باختبار الدقيق ، فربما خلطوا فيه دقيق الحمص أو الفول حتى يزيد فى الوزن ، ومن يفعل ذلك كان

يتعرض للعقوبة(٥١) ، وكان الخبز فى العصر المملوكى يصنع من دقيق الحنطة ، ولم يكن المقريزى راضيا عن نوعية هذا الخبز وجودته ، فقال عنه انه « متى لبث يوما بليلة لا يؤكل وان اكل يوجد له طعم مختلف لأنه يكون فى هذه الحالة قد فقد تماسكه »(٥٢) ، وقد كان الخبـــاز يلجأ احيـــانا الى غش الدقيق بشراء دقيق ردىء يخبز به(٥٣) .

وفى العصر المملوكى صنعت انواع ممتازة من الخبز ، اجودها كان يعرف باسم الخبز الحوارى ، وهذا الخبز كان يصنع من الدقيق الحوارى ، اى الدقيق المحكم النخل الناصع البياض(٥٤) ، وهو بطبيعة الحال لم يكن من نصيب الطبقات الشعبية الكادحة . وفى الفترات التى كانت ترتفع فيها اسعار الحنطة كانت الطبقات الشعبية تضطر الى صنع الخبز من دقيق الذرة ، لكنهم كانوا يضيقون بهذا النوع من الخبز ، وقد عبروا عن ضيقهم هذا بمختلف الطرق ، ومنها الرقص والغناء ، ففى غلاء عام ٨٩٢ هـ/١٤٨٢ م عبر الناس عن ضيقهم بهذا الخبز برقصة كانوا يرقصونها(٥٥) . وقد استخدمت مياه الآبار المالحة وهو ما حذر منه ابن الحاج ، لان هذه المياه تجعل الخبز ذا مرارة ، اما الماء الصالح للعجين فهو الماء العذب (٥٦) . ومن انواع الخبز التى صـــنعت فى العصـــر المملوكى ايضا نوع عرف باسم الكماج(٥٧) ، يعجن بغير خميرة ، ونوع آخر يصنع من جريش الحنطة ويجفف(٥٨) . وكان الخباز الذى يضبط وهو يبيع خبزا ناقص الوزن يعاقب احيانا بان تسمر احدى اذنيه بعارضة باب مخبزه(٥٩) .

وكان الخبز مؤشرا لاستقرار احوال الطبقات الشـــعبية اليومية ، ولذا فان المصادر التاريخية ذكرت توفر هذه السلعة فى اسواق الأحياء الشعبية والتى توفرت فى النصف الأول من

هذا العصر ، فى حين شحت فى الأسواق فى النصف الثانى منه(٦٠) ، ويشير المقريزى الى احد هذه الأفران والذى كان يقع بحى الحسينية بالقاهرة والذى ظل عامرا الى ما بعد عام ٧٩٠ هـ/ ١٣٨٨ م وقد بلغ انتاج الخبز اليومى فيه حوالى سبعة آلاف رغيف لكثرة ما حوله من السكان(٦١) ، وهناك فرن آخر بحى العورية لانتاج الخبز الذى يباع لأهل الشارع(٦٢) .

ويذكر ابن ايلس ضمن أحداث عام ٨٢٩ هـ/١٤٢٥ م ، أن الباعة والسوقة تعرضوا للعقاب من المحتسب عندما تفاقمت الأزمة والتى تأثر بها ايضا الاغنياء ، مما ادى الى ازدحام الطبقــات الشعبية على الأفران للحصول على الخبز الذى عز وجوده فى الحوانيت ، وقد وصل الامر الى أن ازمة الخبز كانت تؤثر على سائر السلع الأخرى كالألبان والاجبان بسبب هلاك البهائم(٦٣) .

وكانت الافران تستمد احتياجاتها من الدقيق من الطواحين القريبة منها ، حيث يتم خبزه وبيعه ، وقد اعتمد الــكثير من المنشآت الدينية فى العصر المملوكى على الخبز ، كراتب عينى يصرف للموظفين العاملين بالمنشأة الى جانب طلاب العلم ، وكان لكل فرد منهم قدر معين حسب رتبته ووظيفته(٦٤) .

وزاولت الطبقات الشعبية حرفة الطباخة فقد كانوا يطهون للغرباء الذين يأتون من خارج القاهرة ، والفقراء الذين يعجزون عن القيام بعملية اعداد الطعام فى منازلهم(٦٥) ، وذلك راجع فى المقام الأول لقلة الوقت لأنهم يكونون فى عملهم طوال النهار وجزءاً من بداية الليل ، فضلا عن أنه فى الغالب ما تكون نساء هذه الطبقات هى الأخرى تقوم بأعمال لاكتساب الرزق(٦٦) ، وذلك الى جانب ان الغالبية العظمى من سكان القاهرة وبخاصة الطبقات

الشعبية فى العصر المملوكى كانوا لا يكلفون انفسهم عناء اعداد الطعام فى المنزل ، بل يقومون بشراء ما يحتاجون اليه من الأطعمة من الأسواق ان صباحا أو مساء ، او عن طريق تناولهم الطعام فى المطابخ(٦٧) ؛ ولهذا نجد اصحاب المطابخ الشعبية ، يعملون قبل شروق الشمس بساعة حتى ساعة متأخرة من الليل ، وكان طبق الفول الطبق الاساسى فيها(٦٨) .

وقد انتشرت هذه المطابخ والمطاعم فى القاهرة المملوكية ، وقدرها بعض الرحالة بما يزيد عن اثنى عشر الف مطعم ، هذا عدا باعة الطعام الجائلين فى الشوارع الذين يحملون الطعام المطهى ، كما وجد نوعان من المطابخ ، المطابخ التى كان الطباخون يعدون فيها الأطعمة التى يبيعونها لحسابهم ، والمطابخ التى اعتاد الناس أن يرسلوا اليها ما يريدون طهيه من لحوم وخضروات وغيرها(٦٦) .

كما زاولت الطبقات الشعبية صناعة النقانقيين(٧٠) ، والكبوديين(٧١) ، والبواردبين(٧٢) ، فقد وضعت كتب الحسبة عدة شروط لهم لكى يلتزموا بها ، منها ان تكون اماكنهم قريبة من المحتسب ، حتى يتسنى له مراقبتهم ومنعهم من الغش . وكان محتسب القاهرة فى العصر المملوكى يعين من قبله نوابا عنه فى بعض احياء القاهرة ، وفى بعض الأحيان يختص بعض هؤلاء النواب بالنظر فى بعض فروع الحسبة مثل مراقبة الخبازين او الطوانية او الطباخين او الشوائين ، وبرغم من حدوث كثير من الاوبئة والمجاعات فى هذا العصر فقد استطاع المحتسبون توفير المواد الغذائية للشعب واسهم السلاطين بفتح شونهم وتوزيع الغلال على الطحانيين والخبازين . وهكذا اصبحت وظيفة الحسبة فى الطبقة الخامسة من الوظائف الدينية وعم نفعها جميع انحاء البلاد ،

اما في العصر الثاني فقد كان المماليك يجلبون رجالا من ارباب الحرف والصنائع ويتركوهم بدون تربية فصـــاروا ارذل الناس واجهلهم بامور الدنيا ، واستطاع كثير منهم الوصـــول الى هذه الوظيفة بالرشوة والتقرب للسلطان فسحت أمور الوظيفة(٧٣) .

واندرجت حرفة القصـــابة(٧٤) ضـــمن الحرف التى زاولتها الطبقات الشعبية ، وكان يستحب أن يكون مسلما بالغا عاقلا ، حتى يتم الذبح وفقا للشريعة الاسلامية(٧٥) ، وكان المحتســب يتولى مراقبة القصابين عند غياب العريف(٧٦) ، ولم يمنع ذلك القصابين من أن يقوموا أحيانا بالغش ، وذلك بأن يشهروا فى الأسواق البقر السمان ثم يذبحون غيره(٧٧) ، وقد كان القصابون فى العصر المملوكى يلفون اللحم فى أوراق شجر الموز(٧٨) ، كما امتازوا بأنهم اناس متينو البنية حادو الطباع تربطهم تقاليد طائفية قوية(٧٩) .

كما كانت حرفة الباقلانيين(٨٠) من الحرف التى اشتغلت بها الطبقات الشعبية ، يخضعون لمراقبة المحتســب وذلك لكثرة غشهم وتدليسـهم(٨١) ، ومن وسائل الغش فى ذلك العصر خلط الباقلاء الجيدة مع المســـوسة أو خلط الحنطة جـــديدها مع قديمها(٨٢) .

ومن الحرف التى عملت بها الطبقات الشـــعبية أيضا حرفة الرواسين ، وقد كان بعض الباعة يلجئون الى عدة طرق للغش منها خلط رءوس الماعز بالضان ، الى جانب بيع الرءوس البائتة ضمن الطازجة فى حالة كساد البيع(٨٣) .

واما صناعة الحلوى فقد حظيت باهتمام بالغ فخصص لها سوق عرف باسم سوق الحلاويين(٨٤) أعد لبيع الحلوى(٨٥) ، ويجب أن يتتبع المحتسب الحلوانية بصفة مستمرة لمراقبة غشهم ،

ويبدو ان الحلوانية كانت لديهم طرق كثيرة لغش الحلوى ، فالبعض كان يصنعها بدون عسل النحل ، ويضع فيها عصير الليمون ويوهم المشترى بأنها صنعت بعسل النحل(٨٦) ، والبعض الآخر يغش المشبك والقاهرية(٨٧) بالقند(٨٨) ، بدلا من عسل النحل ، وقد يغشون الخبايص(٨٩) الناعمة الرطبة والصابونية(٩٠) بالنشا الخارجة عن الحد المعتاد(٩١) . وللحلوى أنواع عديدة ، وقد ذكرت كتب الحسبة بعض أنواع الحلوى في ذلك العصر(٩٢) ، فضلا عن ارتباط استهلاك الحلوى ببعض المناسبات والاحتفالات ، ففى ختان أولاد أحد القضاه استطاع أحد البائعين وهو ابن الزبيق الحلواتى أن يبيع للمتفرجين حلوى بمبلغ مائة وعشرين دينارا(٩٣) .

وأما حرفة الشرابيين فتعتبر من الحرف المهمة التى اهتمت بها الدولة وكلفت المحتسب بمراقبة بائعيها(٩٤) ، وفيما يتصل بصناعة الشرابيين(٩٥) ، فقد تعددت الأشربة فى العصر المملوكى ، فكان هناك شراب الليمون السائل ومن خواصه ازالة الزكام وغير ذلك، وشراب التفاح وهو يقوى الكبد ، وشراب الورد العطرى ، ومن فوائده ازالة الصداع والقروح وماؤه يقوى النفس ، وشرابه الأجاصى وهو الخوخ ، ويعرف فى القاهرة باسم البرقوق ، وهو شجر ناعم الورق من فوائده تخفيف القروح ، وشراب العناب وهو مفيد فى أورام المعدة والكلى ، وشراب الخشخاش ويعرفه فى القاهرة بأبى النوم ، يضاف الى بعض العقاقير(٩٦) ، وشراب الفقاع الذى كان المصريون يقبلون عليه ، فكثرت حوانيت صنعه وبيعه وانتشرت فى أسواق القاهرة وأقبل الناس على شربه(٩٧)، ويصنع شراب الفقاع من الشعير ومن فوائده تفتيت الحصاة كما يدر البول(٩٨) . والجوارشيات(٩٩) صنعت فى العصر المملوكى من نباتات وثمار فواكه متعددة . وقد لاحظ ابن الحاج ان بعض صانعى الأشربة يلجئون الى الغش ، الأمر الذى أدى الى وجود

نوعين من الشراب ، أولهما لأهل القاهرة والآخر لأهل الريف ، وكان ما يباع لأهل الريف رديئا وأقل جودة عن الأول(١٠٠) . ونستنتج مما سبق أن الطبقات الشعبية زاولت هذه الحرفة وكانت تقوم بصناعة بعض هذه الأشربة وبيعها فى الأسواق .

وحرفة الخواصين من الحرف التى امتهنتها الطبقات الشعبية على نطاق واسع ، وقد صنع أصحاب هذه الحرفة القفف من سعف النخيل الأخضر والقديم على السواء ، وهى تستخدم فى أغراض عديدة ترتبط بالحياة اليومية للطبقات الشعبية ، فضلا عن ذلك فقد كان الخواصون يصنعون من الخوص أغطية الأزيار المصلبة بالجريد التى يستخدمها السقاءون فى تغطية أزيار حوانيتهم ، وكذلك كانت تستخدم فى المنازل فى أغراض عديده(١٠١) .

وكذلك فقد كان القفاصون ينتجون الأقفاص التى تصنع من الجريد ، وتستخدم فى أغراض عديدة وبخاصة الأفران حيث يتم وضع الخبز عليها ، كما تستخدم فى نقل السلع الغذائية الى الأسواق للبيع(١٠٢) . وقد ذكر المقريزى سوق القفيصات التى خصصت للباعة للجالسين التى يجلسون فيها أمام شبابيك القبة المنصورية ، بأقفاص صغيره ، وقد شبك عليها الخواتم وأساور النساء وخلاخيلهن(١٠٣) .

وحرفة البناء من الحرف الأساسية التى عملت بها الطبقات الشيعبية(١٠٤) ، وكان العاملون بهذه الحرفة يشملهم التدرج الوظيفى الذى شمل كافة الصناع ، فكان بينهم الصبى ، والحرفى والمعلم ، وكان لقب المعلم يطلق على الصانع الذى بلغ درجة عالية من المهارة تمكنه من الاشراف على غيره من الصناع(١٠٥) .

ومن الحرف التى زاولتها الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى حرفة « الحلاق » « وهو المزين »(١٠٦) والتى كان يمارس

صاحبها الى جانب حلاقة شـعر الراس والذقن وظائف أخرى تخرج عن حدود التسمية مثل الختان وثقب الآذان(١٠٧) ، وخلع الاسنان(١٠٨) ، وكان المزين يحتفظ فى دكانه بمختلف الادوات التى تساعده على تأدية عمله ومنها الطشوت والطاسات والبشاكير وغيرها(١٠٩) ، وكان من الشروط التى يجب توافرها فى المزين ان يكون خفيفا رشيقا بصيرا بالحلاقة ، وان تكون امواسه جديدة قاطعة(١١٠) .

وفى العصر المملوكى كان يفضل ان تقوم الصانعة (المرأة التى تقوم بعمل الوشم بتزيين النساء ويقتصر دور البلان على نظافة اجساد الرجال فى الحمامات ، وان تعذر الامر فهناك الصبيان الذين يؤتمون(١١١) ، بشرط عدم بلوغهم سن الحلم ، وعدم الخلوة . واذا كانت الصانعة شابة فلا تدخل المنازل بزينتها حتى لا تقع فى المحرمات ، ولا تتعلم منها النساء فى البيوت بعضا من خصالها(١١٢) .

اما اصحاب صناعة الفاخرانيين فيصنعون الاوانى الفخارية من قلل وازيار واكواب وغير ذلك(١١٣) ، وعلى المحتسب مراقبتهم لتعدد حالات الغش فى صناعة الفخار(١١٤) ، وكان البعض يغش فى صناعة الفخار عن طريق عمل آوانى من الحصى المطحون(١١٥)، وفى حالة كشف غش احدهم يشهر به ويعاقب أمام الناس على فعله(١١٦) .

وحرفة الابارين(١١٧) من الحرف التى يكثر فيها الغش(١١٨)، فالبعض كان يخلط الابر بانواع رديئة كخلط الفولاذ بالارمهان(١١٩)، وأفضل أنواع الابر هو المصنوعة من الفولاذ ، وعلى المشتغل بهذه الصناعة ان يقسم على عدم الغش والا عوقب امام الجميع(١٢٠) . هذا وقد تراوحت العقوبة التى كانت توقع على

المخالف من هؤلاء الحرفيين من الطبقات الشعبية فى حالة غشهم للتجمهم من بين التجريس وهو أن يشـــهر به فى طرقات القاهرة ويضرب الجرس على رأسه ليجتمع حوله الناس ، ثم يضرب أو يوسط علنا ، وهناك عقوبة تقضى بأن يطرح المذنب على ظهر جمل ثم يطاف به ليشهر ، وقد تزفه المغانى ويضرب أو يوسط أمام الناس بالاضافة الى عقوبة أخرى تقضى بضرب المحكوم عليه بواسطة السياف ، على ان تكون الضربة قوية تحت السرة ، فتقسم الجسم نصفين(١٢١) (عقوبة التوسيط) .

وصناعة الأمشــاطيين فقد انتشرت بين الطبقات الشعبية فى القاهرة فى العصر المملوكى(١٢٢) ، وتصنع الأمشاط من خشب البقس الرومى وهو خشب صلب ، والردىء من الأمشاط يؤدى الى تقطيع شعر الرأس ، ولهذا يلزم الصـــــناع بالصـــــناعة الجيدة(١٢٣) .

أما حرفة المراوحيين فتختص هذه الحرفة بصناعة المراوح من الخوص النقى والجريد الغليظ الذى لا ينكسر ، وقد خضعـــت لرقابة المحتسب مثلها فى ذلك مثل سائر الحرف الأخرى وذلك لمنع الغش والتدليس(١٢٤) .

وهناك حرف أخرى لا تقل فى الأهمية عن الحرف سالفة الذكر منها حـــرفة الســـقائيين ، وكانت تطلق على هذه الوظيفة اسم « السقائرية » ، وكانوا يأخذون اجرا من الأغنياء فى حين كانوا يسقون الفقراء مجانا أو نظير قطعة من الخبز أو أى صنف من الطعام ، وغالبا ما كانوا ينادون نداء قصيرا ، ومن نداءاتهم «سبيل يا عطشان » « الجنة والمغفرة يا صاحب السبيل » « يارب يعوض على » الى غير ذلك من النداءات الأخرى(١٢٥) .

ففى العصر المملوكى كانت الآبار وحدها لا تكفى لتزويد القاهرة بالماء المطلوب للأغراض المختلفة ، علاوة على أن ماء الآبار لم يكن مرغوبا فى الشرب بل يستخدم فى الأغراض الأخرى ، وبقيت الحاجة ملحة لتزويد القاهرة بماء النيل العذب ، الذى ينقل على ظهر الدواب وعلى أكتاف السقائين ، وتولى هؤلاء توزيع الماء الى القاهرة نظير ثمن معين ، ومن هنا لعب السقاءون دورا بارزا فى حياة القاهرة(١٢٦) . وقد حرصت طوائف السقائين على التواجد بالقرب من مصدر المياه نظرا لما كانوا يتكبدونه من معاناة فى أثناء نقلها وتوزيعها ، فكلما كانت المسافة أقل زاد توطن هذه الطوائف بالقرب منها ، بالاضافة الى ذلك ، توجد طائفة خاصة بالسقاء كانت تقطن خارج باب زويلة وهى التى اختصت بتوزيع المياه داخل القاهرة(١٢٧) . وعند مزاولة السقا لحرفته عليه ان يدخل فى النيل للبعد من الاقذار(١٢٨) ، ويبدو أن السقاء فى ذلك العصر كان يغش فى بيع الماء ولذلك نرى أن كتب الحسبة وضعت عدة شروط لكى يمتثل لها ويسير عليها(١٢٩) . وهناك طائفة عرفت بسقائى الكيزان وارباب الروايا والقرب والدلاء ، وهذه القرب مزخرفة وفتحتها مجهزة بأنبوبة من النحاس الأصفر(١٣٠) ، وكان هؤلاء يقفون فى أسواق القاهرة المملوكية ، والبعض الآخر فى الحوانيت يبيعون الماء للأغنياء لقاء اجر معين ، حدده البعض بنصف فلس(١٣١) من عملتهم المطبة(١٣٢) ، وقد شدد عليهم المحتسب بأمرهم بتغطيتها ونظافتها من الاقذار التى بها(١٣٣) . وكان على السقاء أن تكون يداه سالمتين من النجاسة والقذارة(١٣٤) .

وفى بعض الأحيان كانت تحدث ازمة فى مياه الشرب ويشتد الطلب على السقائين ، الذين لا يتمكنون من تلبية كل الطلبات ، فيضطر الناس الى جلب المياه من نهر النيل بأنفسهم فى جرار

يحملونها على ظهور حميرهم(١٣٥) . وكان بعض الاغنياء يؤجرون سقائيين رغبة منهم في تقديم هذه السلعة الأساسية صـــدقة للفقراء(١٣٦) . هذا عن حرفة السقائيين وما يتعلق بها وكيفية جلب المياه من النيل ، وعن الغش الذي كان يرتكبه البعض في المياه باستخدام مياه الآبار بدلا من النيل ، وعن طائفة سقائي الكيزان ، وكيفية تنظيفهم للأزيار والكيزان ومنعهم لأصحاب العاهات والأمراض من الشرب بهذه الكيزان .

أما الأسبلة والغرض منها فلم يعد بعض الأثرياء في تلك الفترة ان الطبقات الشعبية في حاجة الى ماء سبيل ، ولذلك شيدوا كثيرا من الأسبلة ، التي مازالت قائمة حتى الآن ، وقد استطاعت تلك الطبقات ان تحصل على حاجتها من المياه سواء في منازلهم أو للوضوء دون دفع ثمن هذه المياه ، وقد استعملت كلمة ســـبيل للدلالة على عين الماء التي يشرب منها الناس(١٣٧) . والأسبلة لا تفتح الا بين صلاتي الظهر والعصر في اشهر الصيف شديدة الحرارة ، وذلك حتى يتيسر للناس الحصول على الماء البارد(١٣٨) . ويعتبر سبيل السلطان قايتباى (٨٧٣ هـ/١٤٦٨ م)(١٣٣) بالصليبة يعد من أروع ما شيده هذا السلطان . وهذا النوع من الاسبلة كان يعلوه « كتاب » لتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والحساب لأيتام الطبقات الشعبية(١٤٠) .

ومما يذكر أن المزملات(١٤١) تعتبر موردا لمياه الشرب داخل المنشآت ، توفر للمترددين عليها موردا دائما للمياه وذلك برغم من وجود السبيل ، فالســـبيل كانت وظيفته تزويد عابرى الطريق لا المستقرين داخل المنشآت ، فوجود المزملات يسهل الحصول على مياه رطبة مثلجة صالحة للشرب تحفظ في ازيار فخارية او رخامية تساعد على سرعة تبريد المياه وتثليجها(١٤٢) . وكان المزملاتي

يؤدى وظيفته فى أوقات محددة له فى الأيام العادية وفى شهر رمضان ، وعمله ملء الأوانى من أزيار أو من أحواض موجودة داخل المنشآت ، ثم يضعها فى النوافذ وتشرب منها الطبقات الشعبية فى الطريق ، وكانت الكيزان تربط عادة بسلاسل من نحاس فى قضبان الشبابيك وذلك حتى لا تتعرض للضياع(١٤٣) .

وهناك شروط يجب أن تتوافر فى المزملاتى ، منها أن يكون سالما من العاهات والأمراض ، وبخاصة الجذام ، وأن يسهل الشرب على الناس ويحسن معاملتهم ، وقد استخدمت أدوات عديدة فى السبيل مثل سلب(١٤٤) من الليف أو الكتان وآنية شرب وسفنج لمسح أرض السبيل ، وبخور لتبخير الأوانى ، ومكانس وطشوت وأباريق وقلل فخار وغيرها من الأدوات المستخدمة فى السبيل(١٤٥) . هكذا نجد أن كثيرا من السلاطين والأثرياء قد اهتموا بتوفير المياه اللازمة للشرب للطبقات الشعبية دون مقابل ورفقا بالحيوان ، وقد أنشأ البعض أحواضا لسقى الدواب الى جانب تلك الأسبلة الخاصة بالفقراء . وإن كنت أرى أن السبب الذى دفع أهل الثراء فى القاهرة المملوكية الى اقامة الأسبلة يكمن فى رغبتهم فى التكفير عن ذنوبهم وخطاياهم من خلال هذا المظهر من مظاهر البر والاحسان ، ذلك الى جانب رغبتهم فى اجتناب ايذاء الطبقات الشعبية لهم فى أثناء تمردهم فى مواجهة تدهور أحوالهم الاقتصادية .

ومن الحرف الأخرى التى زاولتها الطبقات الشعبية حرفة الناطور ويتواجد فى الحمامات ووظيفته حفظ ثياب الناس من الضياع(١٤٦) . وعن حرفة الأساكفة وهم صناع الأحذية ، يراقبهم المحتسب فى كل وقت خوفا من استخدام شعر الخنزير فى الخياطة(١٤٧) ، ويبدو أن ذلك يرجع الى تحريم استخدام بعض

اجزاء الخنزير ، هذا عن أهم الحرف والصـناعات التى زاولتها الطبقات الشعبية ، وكانت مصدرا لرزقها ومعولا مهما فى حياتها الاجتماعية .

ويرغم اهمية الحرف كلها للمجتمع فقد وجدت بعض الحرف أطلق عليها الحرف « الرذيلة » أو « الدنيئة » ، أو « السـافلة » ، وذلك من وجهة نظر البعض ، وقد تمثلت هذه الحرف فى لاعب الاكروبات ، والقرداتى ، والمكارى ، والكلابزى ، والكنـاسـح ، وغاسل الموتى ، وحافر القبور ، وسوف توضح طبيعة كل حرفة من هذه الحرف .

ففى نابه ابن دانيال(١٤٨) « عجيب وغريب » أمكننى الوقوف على بعض الحرف التى زاولتها الطبقات الشعبية خاصة تلك التى أطلق عليها الرذيلة ، وأولى هذه الحرف لاعب الاكروبات وعمله القيام بالعاب مختلفة كالصعود على قطع الخشب الصـغيرة ، والوقوف على حد السـيوف والاتيان بحركات عجيبة تدهش المتفرج وتشد انتباهه(١٤٩) .

أما حرفة الحاوى الذى يحمل معه دائما صندوقا بداخله الادوات التى يسـتخدمها فى حرفته مثل الدف والحبال وبعض الحيات والعصافير ، وقد أجزل الناصر محمد بن قايتباى فى عام ٩٠٢ هـ/١٤٢٦ م العطاء لأحد الحواة بعد أن قام باحضار بعض الحيات ويقطعها أمامه(١٥٠) . وحرفة القرداتى من المهن التى زاولتها الطبقات الشعبية ، ويكون مع القرداتى دف يدق عليه ليجمع الناس(١٥١) ، ومن هؤلاء من هم أكثر حيلة ، يعرضون الثعابين ويجعلونها ترقص ، وهذه الألعاب كان الهدف منها تسلية الطبقات الشـعبية(١٥٢) .

وحرفة المكارى من الحرف التى زاولتها الطبقات الشعبية ، وكان لدى المكارى حيوانات كبيرة مدربة ، وبالرغم من انه لم يكن يحل للمكارى ان ينقل النسوة اللائى يظن انهن فى طريقهن لارتكاب المعصية ، فقد كان بعض المكارية فى ذلك العصر يكارون الفاجرات من النساء فى مقابل اجرة مرتفعة(١٥٣) . وكان على المحتسب ان يراقب هؤلاء المكارية مراقبة شديدة ، ويأمرهم ان يعلقوا فى اعناق الدواب الاجراس(١٥٤) . ويبدو انهم رفقوا بالحيوان فى هذا العصر ، فقد حذر المحتسب من تحميل الدواب اكثر من طاقتها، وعدم ضربها ضربا قويا ، ولا يوقفونها فى المراص(١٥٥) وعلى ظهورها احمالها(١٥٦) .

وحـــرفة الكلابزى وهو خادم الـــكلاب(١٥٧) وجمعه الكلابزة والكلابزية ، ويطلق على الشخص الذى يتولى تربية الكلاب وبيعها، ثم اصبح يطلق على الشخص الذى يركب بكلاب الـصيد عند السلطان او الامير ، وقد اطلق اللفظ ايضا على الغوغاء والدهماء من الطبقات الشعبية(١٥٨) ، هذا وقد اعتبرها البعض من الحرف الرذيلة التى اشتغلت بها الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى ، ويرى السبكى ان مهنة الكلابزى رغم تواضعها ، فهى اكثر قيمة من مهن اخرى محرمة كانت سائدة فى ذلك العصر كعصر الخمر(١٥٩) .

ومن المهن الاخرى التى كانت سـائدة فى القاهرة ابان العصر المملوكى مهنة الكاسح وهو الذى يقوم بتنظيف الاسربة ويخبر صاحب المنزل عن ملئها وفراغها(١٦٠) ، وكان المحتسب يراقب عمل الكاسح شانه فى ذلك شـان اصحاب المهن الاخرى . وحرمة تغسيل الموتى فيقوم بها من يكون محل ثقة وقرا كتاب الجنائز فى الفقه ، ويأتى دور المحتسب فى اختبار من يزاول هذه المهنة ، من رآه اهلا تركه يعمل بها(١٦١) ، ولا يزاول هذه المهنة الاضراء(١٦٢)

وقد ارتبط بحرفة تغسيل الموتى حرفة حافرى القبور ، والتى كان يراقبها عريف ثقة يعمل على عدم المغالاة فى الاجرة ، ولا يطالبون الضعفاء والفقراء بما هو فوق طاقتهم(١٦٣) .

أما عن حرفة نساء الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى ، فهناك حرفا زاولتها المرأة ، وقد لاحظ ابن تغرى بردى ان معظم النسوة اللائى كن يعملن فى تلك الآونة « كن من الارامل أرباب الصنائع » ، وذكر أن قرارا صدر بمنع النساء من الخروج وكان من نتيجته أن لحق الأرامل ضرر بالغ(١٦٤) . ويلاحظ أن هذه حالة فردية ولا يمكن تعميمها على العصر كله .

وقد عملت المرأة بحرفة المغزل وكانت مصدرا تعتمد عليه فى رزقها(١٦٥) . وهناك وظائف اخرى زاولتها المرأة على عصر سلاطين المماليك ، ومن هذه الوظائف الدايات (المولدات) اللائى كن يتواجدن قبل الوقت المحدد للولادة بيومين او ثلاثة ايام(١٦٥) ، تنتقل الداية كرسى الولادة لمنزل المرأة التى ترغب فى مساعدتها وهذا الكرسى له شكل خاص فريد تجلس عليه السيدة فى أثناء الولادة وكان يغطى بشال او ملاءة مطرزة ، ويزين ببعض الزهور او الورود ويوضع أمام منزل السيدة الحامل اعلانا من قرب وصول وليدها(١٦٧) وفى منازل الأغنياء فان الأم بعد الولادة توضع على السرير لمدة من ثلاثة الى ستة ايام ، اما الفقيرات فانهن لا ينتقلن الى السرير على الاطلاق وبعد يوم يعدن لممارسة الاعمال العادية التى لا تحتاج الى مجهود(١٦٨) .

وقد بين ابن دانيال فى بابه خيال الظل دور الخاطبة واهميته ابان عصر سلاطين المماليك(١٦٩) ، واوضح انها لعبت دورا مهما فى أغلب الزيجات وكان لها النصيب الاكبر منها اذ انها كانت

تعرف « كل حرة وعاهرة وكل مليحة بمصر والقاهرة »(١٧٠) ، وهناك أيضا البلانات(١٧١) اللاتى كن يقمن بتحفيف النساء فى الحمامات العامة ، والمشطة(١٧٢) ، التى كانت تقوم بتجميل النساء فى الحمامات أيضا ، وتستعير الفقيرات منهن الثياب والحلى فى مناسبات الزواج والزفاف(١٧٣) .

وهناك كذلك الصانعة ، التى كانت تمشى فى شوارع القاهرة ، وتنادى « الصانعة يا بنات » ومعها المشاريط والنكاسات ، وقد غرزت عصابتها بكلاليب الابر التى تستعملها فى عملية الوشم(١٧٤) .

كما عملت النساء فى الدلالة(١٧٥) ، وصناعة الفخار والخزف حيث أشار البعض الى ذلك مستندا الى قاع طبق من الخزف عثر عليه فى اطلال مدينة الفسطاط ، يرجع الى مصر المماليك عليه من الخارج كتابة نصها عمل « خديجة »(١٧٦) .

ومن المهن التى زاولتها المرأة فى تلك الفترة البغاء(١٧٧) . وكان يطلق على من تزاول هذه المهنة بنات الخطأ والخواطىء ، هذا وقد اعترفت الدولة بهن وفرضت عليهن ضريبة محددة ، كما جعلت الدولة المملوكية للبغايا ضامنة عرفت باسم ضامنة المغانى ، تذهب اليها محترفة البغاء لتسجيل اسمها ، وكانت هذه الضامنة تتعهد بدفع مال الى الدولة فى مقابل أن تتولى جمع ضريبة المغانى من النساء البغايا فى مقابل حماية الدولة لهن(١٧٨) ، وقد صدرت عدة قرارات لمنع ممارسة البغاء وخير شاهد على ذلك أنه فى عام ٧١٠ هـ/١٣١٠ م أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون قرارا بمنع ما كان يفرض من ضرائبه على البغايا والمنكرات والفواحش(١٧٩) ، وهذا ما دفع الدولة الى القبض على النساء اللاتى امتهن حرفة « القوادة »(١٨٠) .

ويبدو ان الموقف الرسمى للدولة المملوكية من ممارسة حرفة البغاء مرتبط بالظروف الاقتصادية والاجتماعية وطبيعة من يتولى السلطنة ، فعندما ينقص منسوب مياه النيل يسود اعتقاد بأن ذلك مرجعه الى غضب من الله سبحانه وتعالى على الرعايا لانتشار الرذيلة والفساد ومن هنا يأتى تحريم الحرف المرتبطة بهذا الفساد ومنها البغاء ، وحينما يتولى سلطان جديد السلطنة تصدر بعض القرارات(١٨١) لاسترضاء الرعايا منها الغاء الضريبة المفروضة على مهنة البغاء .

اما فيما يتصل بنساء الطبقات الشعبية فأغلب الظن ان من زاولت مهنة البغاء فى القاهرة ابان العصر المملوكى كانت مدفوعة بظروفها الاقتصادية السيئة وتحت وطأة الفقر والعوز والجوع ، ولم تكن هذه الحرفة مقصورة على الطبقات الشعبية بل ضمت بعض النساء الأجنبيات(١٨٢) .

ولأصحاب الحرف من الطبقات الشعبية اندرجوا تحت نظام خاص بكل حرفة وهو ما يعرف بنظام الطوائف . والطائفة الحرفية تعنى « مجموعة من الأشخاص تمارس نشاطا حرفيا واحدا فى المدينة ولها نظام يكفلها »(١٨٣) . وقد أطلق على أهل الحرف « الأصناف » و « أصحاب الحرف » و « أهل الصنايع »(١٨٤) ، والأصناف جمع صنف وان كانت تعنى لغويا الأنواع أو الأشياء المميزة عن بعضها(١٨٥) .

وقد وجد نظام الطوائف(١٨٦) هذا منذ العهد الفاطمى ، فقد ذكر المقريزى انه وجد « فى كل سوق من أسواق القاهرة على أرباب كل صنعة من الصنايع عريف يتولى أمرهم »(١٨٧) ، وعبارة أرباب كل صنعة تعنى الطائفة الحرفية التى تضم داخلها الأشخاص العاملين فى صنعة من الصنائع .

وبداية ظهور الطوائف الاسلامية كما فى راى ماسينيون ان الشيعة الاسماعيلية هى التى اوجدت الطوائف الاسلامية واعطتها طابعها وتقاليدها المميزة التى حافظت عليها ، فالدعاة الاسماعيليين حرصوا على نشر دعوتهم بين الطبقات العاملة فى العالم الاسلامى ، واستغلوا تعرض الحرفيين والصناع — تحت الحكم السنى — لاساليب شديدة من الرقابة والضغط والقيود ، فعملوا على جذبهم وتكوين قوة منهم لتقويض الخلافة السنية(١٨٨). وهكذا لعبت الحركة الاسماعيلية دورا مهما فى تطور الاصناف الإسلامية .

ومما يذكر أنه كان لكل طائفة قانون احتوى على قواعد وعادات وشعائر تقرأ شفاهة(١٨٩) ، وقد كتبت هذه القوانين ووصلتنا منها اعداد كبيرة احتوت على ثلاثة اقسام ، القسم الأول احتوى على اساطير تتعلق باصل الحرفة ، والقسم الثانى فقد احتوى على قائمة باسماء الابدال والفروع(١٩٠) لمختلف الحرف ، وبالنسبة القسم الثالث فانه اشتمل على تعاليم تثقيف المبتدئين(١٩١) .

وكان تنظيم هذه الطوائف على النحو التالى : « الشيخ » يرأس كل طائفة شيخ ، ينتخبه الأساتذة من بين رجال الحرفة وبذلك يصبح المتصرف للحرفة ويعاونه رئيس وأمين صندوق وكاتب ، والشيخ وجد فى جميع الطوائف الاسلامية كطوائف مصر فى القرن (١٠ هـ/١٦ م) ، ويلى الشيخ الاختيارية أو المسنون بين اساتذة الطائفة ، ويدعى الواحد عادة اسطى او احيانا معلم(١٩٢)، وقد تحدث المقريزى عن الصناع بقيسارية طشتمر(١٩٣) قائلا : « كان لهم منظر بهيج وتحت يد كل معلم منهم عدة صبيان من اولاد الاتراك وغيرهم(١٩٤) . ويبدو ان تعبير استاذ فى بغداد يقابله تعبير معلم فى القاهرة(١٩٥) ، وهم يشكلون القسم الرئيسى من

الطائفة ، اما الصانع فلا يلعب دوراً مهما فى الطوائف الاسلامية ولا وجود له عادة اذ ان الانتقال من مبتدىء الى اسـطى يتم راسا(١٩٦) .

وكان لشيخ الطائفة المصرية سلطة كبيرة على افردا الطائفه، فيعاقب الاسطى الذى يخلف قواعد المهنة ، مثل الحط من قيمة الحرفة فى نظر الناس ، واذا تعرض احد المعلمين للافلاس او مر بضائقة مالية فان الشيخ يعقد اجتماعا يحضره اعضاء الطائفة ، ويقدمون له كل ما يحتاج اليه(١٩٧) . وهذا يدل على انه كانت هناك تقاليد راسخة متفق عليها بين افراد الحرفة الواحدة . ولما كان دخول اى فرد غريب فى حرفة من الحرف يؤدى الى منافسة اصحابها الاصليين ، فانهم لا يطلعون احدا على طرق صناعتهم الا اذا كان من ابنائهم ، ولا يسمحون لأى شخص مشاركتهم الا اذا كان قد جاء ليحل محل احدهم ، وفى هذه الحالة يقبل بشـروط خاصـة(١٩٨) .

ومن تقاليد الصناع المصريين ايضا المنافسة فى ابراز مواهبهم وابتكارهم عند التيلم بانتاج شىء يدل على الفن والابتكار ، فقد ذكر ليو الافريقى الذى زار القاهرة فى أوائل القرن العاشـر الهجرى (السـادس عشـر الميلادى) ، انه حين يقوم واحد من الصناع فى مهنته بعمل شىء يدل على الابتكار الذى لم يسبقه فيه احد ، كان يضع ما صنعه على كسوة حريريه ويطوف به على الدكاكين مصحوبا بموسيقيين ، فيعطيه كل واحد بعض النقود مكافأة له على الابتكار والمهارة وقد بين ليو الافريقى ان احد السقائين الذين كانوا يتجولون حاملين القرب المعلقة برقابهم ، راهن بأنه سيحمل قربة مليئة بالماء ومربوطة بسلسلة حديدية لمدة سبعة أيام من الصباح الى المساء الى ان ربح الرهان وقد تلقى الحفاوة لفوزه وسار فى موكب ضم الموسيقيين وجميع سقائى القاهرة(١٩٩) .

أما عن تقاليد ترقية الصبى الى مرتبة الصانع ، فعند انتهاء الصبى من تدريبه تحت اشراف احد المعلمين ، فان معلمه يخبر شيخ الحرفة بذلك فيدعو الشيخ اهل الحرفة لحضور حفل ترقيته ، فيأخذ النقيب باقة من اى عشب او من زهور ويوزعها على المدعوين، ثم يعلن عن ميعاد الاحتفال(٢٠٠) ، وفى الاحتفال كان المعلم يصطحب صبيه الى مكان الاحتفال حيث يكون هناك شيخ الطائفة ، والنقباء والمختارة(٢٠١) مجتمعين وتبدأ مراسم ذلك الاحتفال بان يقرأ الجميع الفاتحة ، وبعد ذلك يسأل الشيخ المعلم والصبى سؤالا تقليديا يستفهم به عن سبب مجيئهما ، فيجيب المعلم بان الصبى قد اتم تعلم الصنعة ويرغب فى فتح حانوت يمارس فيه المهنة التى تعلمها باختباره فان اطمأن الى اجادته الصنعة يقترب منه ويشد حول وسطه حزاما او شالا ، ويعتبر الشد شعيرة مميزة لتحول الشخص ذى الحرفة ، كما انه دلالة على تقيد الداخل فى الحرفة بواجبات معينة نحو الجماعة كلها(٢٠٢) .

وفى اثناء عملية الشد(٢٠٣) تعقد عدة عقد اقلها ثلاثة واكثرها ست بالنسبة لعدد المعلمين الكبار الموجودين فى الاحتفال، ولهم فى ذلك اصطلاح فالعقدة الاولى تسمى الأسطاوية ويحلها معلمه الذى رباه وعلمه الصنعة ، والثانية تسمى الرتبة ويقوم بحلها شيخ الطائفة ، والثالثة يحلها احد الأسطاوات الموجودين فى الحفل(٢٠٤) .

وبعد الشد يحلق للمحتفى به احيانا جزء من شعره ثم يلبس ملابس خاصة كاللباس او السراويل عند اهل الحرفة او الخرقة على الكتفين ، ويؤخذ عليه العهد وبعض التعاليم المتعلقة بواجباته الجديدة مع اجازته بممارسة الصنعة ، ثم يأخذ مكانه على السجادة الى جانب زملائه لتناول الطعام التقليدى ويطلق عليه الوليمة او التمليح(٢٠٥) .

ونلاحظ ان الرابطة بين أهل الصنائع كانت قوية ، وصار الافراد يشعرون بالارتباط الوثيق بينهم ، وأصبحت من أقوالهم المأثورة « الصناعة نسب » ، وبلغ التمسك حد العصبية للمهنة والاعتزاز بها ، فهناك عائلات توارثت المهنة مثل عائلات الزيات ، والزجاج ، والفراء(٢٠٦) .

وقد خضع العاملون فى الصناعات المختلفة ، مثلهم مثل التجار فى الأسواق للرقابة الحكومية المتمثلة فى المحتسب ، ويلاحظ أن الطوائف الحرفية كانت تشتمل على الفقراء المهاجرين من الريف الى المدن أو الذين فقدوا مركزهم فى التجارة(٢٠٧) .

ومما يذكر ان أهل الذمة من الحرفيين كانوا يعملون تحت رئاسة شيوخ طوائف حرفية مسلمة وان انفرد احدهم برياسة طائفة معينة كالجواهرية(٢٠٨) . ومن تقاليد الصناع ايضا الاسهام فى بعض الاحتفالات المهمة حاملين ادواتهم المستخدمة فى صناعتهم، فعندما عاد السلطان برقوق للسلطنة مرة ثانية عام ٧٩٢ هـ/١٣٨٩ م اشترك الصيادون فى استقباله ومعهم شباكهم(٢٠٩) . هذا الى جانب اسهامات بعض اصحاب الحرف الأخرى .

وفى ختام حديثنا عن طوائف الحرفيين يتضح أنها تتسم بسمات خاصة هى ان الطوائف المصرية فى العصر المملوكى نشأت من تلقاء نفسها من الشعب دون تدخل الدولة ، كما ان الانتاج لم يتغير فى الطوائف المصرية سواء فى الأراضى أو فى الحرف منذ القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى) حتى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) ، كما بقيت الطائفة طبقة واحدة ، فقد بقى الاستاذ والسيد والصانع والمبتدىء طبقة واحدة فى المجتمع ، واما السمة الثالثة فهى امتياز الطوائف المصرية

بأنها تضم بين صفوفها افرادا من مختلف الأديان ، فهي مفتوحة لليهودي والمسيحي والمسلم على السواء ، في حين نجد بعض الطوائف تسودها اغلبية غير مسلمة مثل طائفة صناع الذهب ، واما السمة الرابعة فهي احتفاظ الطوائف المصرية بالحياة الداخلية الروحية وقوانينها الاخلاقية والأدبيـة ، التي كانت تدرس لكل المبتدئين في اى حرفة من الحرف(٢١٠) .

وفيما يتعلق بالفائدة التي عادت على أصحاب الحرف من هذه النقابات « الطوائف » فنقول ان هذه النقابات كانت تقوم بدور المؤسسات الاجتماعية التي ترعى الحرفيين وتنظم أحوالهم ، وتقدم العون لهم في حالات العجز والافلاس وغير ذلك من الظـروف الأخرى ، كما كان لها دور رقابى تمثل في وجود المحتسب ودوره في الاشراف على الأسواق ، ومدى جودة السلع ، ومراقبة حالات الغش ، كما تولت النقابات ايضا الدفاع عن العمال امام اصحاب الصناعات والحرف بغية تحسين أوضاعهم الاقتصـادية والحفاظ على حقوقهم المهنية ، وكان لرئيس النقابة دور مهم في فض مشكلات الحرفيين من اعضاء النقابة ، كما كان يرجع اليه في كل ما يخص النقابة من شئون وأحوال خاصة بالحرفيين .

نشطت التجارة الداخلية في العصر المملوكي واشتهرت المدن المصرية وفي مقدمتها القاهرة بأسـواقها الحافلة بالبضـائع المختلفة(٢١١) ، وبحوانيت البزازين الذين يبيعون ثياب الـكتان والقطن والأنواع المختلفة من الطرح(٢١٢) ، كما كان هناك نوع من التخصص ، فكان للشمع سوق عرفت بسوق الشماعين ، وسوق للطيور عرفت بسوق الدجاجين ، وسوق الجوخيين التي تخصصت في بيع الجوخ ، وسوق الحلاويين التي تخصصت في بيع الحلوى ، وسوق الفرايين التي تخصصت في بيع الفراء والتجارة فيه ، هذا

بالاضافة الى الاسواق التى تخصصت فى بيع المواد الغذائية(٢١٣)، ومن بين الأسواق التى نشطت فيها الحركة التجارية فى عصر اسرة قلاوون سوق السلاح الذى اختص بتجارة القسى والنشاب والآلات الحربية(٢١٤) .

ومن حركة البيع والشراء فى الاسواق ، فقد حرص سلاطين المماليك على مراقبتها ، فعهدوا الى المحتسبين بالطواف ليلا ونهارا للتفتيش على الباعة وضبط من يحاول التلاعب فى الأسعار او الأوزان او اصناف البضائع(٢١٥) .

وبالنسبة للتجار فقد لعبوا دورا مهما فى اقتصاد الدولة ، وكانت تستفيد منهم عن طريق الضرائب المفروضة عليهم ، وان تعرضوا فى بعض الاحيان للتعسف فى فرض الضرائب وجمعها مما يدعوهم للشكوى للسلطان عسى أن يستجيب ويصدر أوامره لرفع أسباب الشكوى(٢١٦) .

ومما يذكر أن طبقة صغار التجار فى القاهرة فى العصر المملوكى كانوا يندرجون ضمن الطبقات الشعبية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فهناك من كانوا يمارسون تجارتهم داخل الحوانيت فعرفوا بأصحاب الحوانيت او الدكاكين ، وغالبا ما كان هؤلاء يزيدون فى أسعار المواد الغذائية(٢١٧) ، وهناك من كان يعرض بضائعه على المصاطب ، فقد وجدت بعض المصاطب التى كانت تؤجر لأكثر من تاجر فى اليوم الواحد ، وقد بلغت أجرة مصطبة كانت مقامة خلف مسجد احمد بن طولون اثنى عشر درهما فى اليوم ، وتنافس التجار عليها ، فكانت تؤجر فى الصباح لبائع يتاجر فى الغزل ، وفى الظهر كانت تؤجر لخباز ، أما عند العصر فكانت لتاجر يتاجر فى الحمص والفول(٢١٨) .

وهناك بعض التجار لم يكن لديهم دكاكين فمارسوا تجارتهم في الشوارع عن طريق عرض بضائعهم على الطبليات والدكك فاطلق عليهم اصحاب الطبليات والدكك(٢١٩) . والبعض الآخر كان يجلس تجاه شبابيك القبة المنصورية(٢٢٠) . لعرض تجارتهم على اقفاص صغيرة وقد شبك عليها اساور النساء وغير ذلك من الحلى التى كانت تستخدمها المرأة فى ذلك العصر(٢٢١) ، وقد عرفوا باصحاب القفيصات(٢٢٢) . ومنهم ايضا من كان يطوف بمراكب فى برك القاهرة لبيع بضاعته لسكان البيوت المقامة على شواطئها، ففى عام ٩٢٢ هـ/١٥١٦م منعت المراكب من الدخول فى بركة الرطلى لممارسة التجارة ، ثم بعد فترة شفع لهم بعض القضاة فعادوا مرة ثانية لممارسة تجارتهم ، فوجد الحلوانى والفاكهانى وغير ذلك من التجار(٢٢٣) . ويروى ابن اياس ان الناصر محمد بن قايتباى كان ينزل بنفسه فى المراكب ويبيع كما يفعل التجار فى بركة الرطلى(٢٢٤) .

وهناك نوع آخر من صغار التجار ، كان لا يستقر فى مكان واحد بل كان جوالا فى مختلف انحاء القاهرة ، والبعض كان يطوف على البيوت ويدخل الازقة ويسلك المواضع البعيدة عن السوق (٢٢٥) . وهناك تاجر « الكتاكيت » الذى كان يبيع بضاعته بالكيل لا بالواحدة ، ويبدو أن ذلك كان من عادة سكان القاهرة فى طريقة البيع(٢٢٦) .

اما عن تجارة الصابون ، فقد وجد بجانب وكالة الصابون بباب النصر شخص يبيع الصابون ، فقد كان صغار التجار يقومون بشراء الصابون من وكالة الصابون بسعر زهيد ثم يقومون مرة ثانية بالاتجار فيه ليحصلون على المكسب(٢٢٧) .

وهناك ايضا تجار الفاكهة ، الذين كانوا يقومون بشرائها من فندق دار التفاح(٢٢٨) ، الذى يعتبر من الاسواق المركزية ،

ترد اليه الفاكهة على اختلاف اصنافها ، من بساتين القاهرة ثم يعاد توزيعها على تجار الفاكهة ، ويبدو ان تجار الفاكهة فى العصر المملوكى تفننوا فى عرض تجارتهم بشكل يجذب المشترى ، فقد كانوا يحرصون على ترتيبها فى شـــــكل منظم وأنيق واحاطتها بالرياحين والأزهار ، هذا بالاضافة الى عمل مظلة منعا لوصول حرارة الشمس الى الفاكهة وبالتالى تظل دائما طازجة(٢٢٩) . كما يبدو أن تجار الفاكهة كانوا يقومون ببيع بضاعتهم بزيادة عن السعر الذى حدده المحتسب ، فقد تعرض بعض تجار العنب للضرب من المحتسب وذلك فى عام ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م واشهروا فى القاهرة، وفى عام ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م تعرض تاجر آخر للضرب لبيعه التين بأزيد من التسعيرة واشهر عاريا مكشوف الرأس ، ثم رسم بصلبه ولطخ بالعســـل واوقف فى الشمس ، متســــلط عليه النحل والذباب(٢٣٠) .

وصغار التجار من البزازين(٢٣١) ، فالبعض يزاول مهنته فى الدكاكين والبعض الآخر يطوف على المنازل ، وعلى تاجر البز ان يظل واقفا فى دكانه لا ينادى على المشترى اذا مر عليه دون ان يقف للشراء ، واذا رأى احدا يشترى من غيره فلا ينظر له بل ينتظر ويصبر حتى يأتى اليه المشترى ، وكان دكان البزاز دائما مضاء ليتسير للمشترى مشاهدة القماش ، فربما وجدت بعض العيوب غير الظاهرة(٢٣٢) وفى هذه الحالة على التاجر ان يظهر جميع عيوب السلعة(٢٣٣) .

ويبدو أن تاجر البز فى العصر المملوكى ، كان لديه رجل تقوم وظيفته على زيادة ثمن السلعة امام المشترى حتى يحفز المشترى على الشراء(٢٣٤) . ومن مظاهر الغش لدى البزازين ان يدعى البزاز ان بضاعته من صنع يده لايهام المشترى بجودتها ، وكان

البعض الآخر يقوم بشراء البضاعة بسعر معلوم ، فاذا انخفض سعرها لا يعلن من ذلك المشترى(٢٣٥) .

وكان المحتسب يتفقد دكان البزاز ، ويتفق معه على ثمن محدد لبيع السلعة ، ومن وجده يخالف ذلك تعرض للعقوبة(٢٣٦) .

وهناك التاجر الذى كان مشهورا بالربا ، فقد وجد بسوق أمير الجيوش شخص من صغار التجار كان يتاجر فى الأرز ، وكان مشهورا بالربا والايمان الباطلة ، وقد تعرض من جراء ذلك للعقوبة، وكان ذلك فى عام ٨٨٥ هـ/١٤٨٠ م(٢٣٧) .

أما عن تجار الخضروات فبعضهم كان يلجأ الى وسائل كثيرة للغش ، ومن أمثلة ذلك غش الملوخية فيلجأ التاجر الى وضعها فى حزم وكل حزمة يربطها بالقش ، ويتيها من الطين والماء ما يزيد فى وزنها ، وعند بيع الخضروات يقوم البائع بتغير اسم السلعة التى ينادى عليها باسم بعيد عنها ، والبعض أيضا تكون سلعته رديئة فيمدحها بصفات ليست فيها(٢٣٨) . ويبدو أن تجار الخضروات فى العصر المملوكى تفننوا فى عرض تجارتهم ، فكانوا يعرضونها على هيئة أكوام تحاكى الأهرام ، كما كان هناك تجار الطيور ؟ الذين يبيعون الأوز والحمام وغيرها من أصناف الطيور والدواجن ، وكذلك تجار طيور الزينة كالببغاء والكناريا ، والتى كانت تباع بأقفاصها(٢٣٩) . هذا عن طبقة صغار التجار من الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى ، ومن أنواع التجارة التى مارسوها وأسلوب تعاملهم مع الناس ، والصفات التى يجب ان يتحلوا بها .

وهناك فئة أخرى من الحرفيين الذين زاولوا مهنا أخرى الى جانب حرفتهم الرئيسية ، فلجئوا الى قرض الشعر كوسيلة للكسب

فاطلق عليهم شعراء الطبقات الشعبية ، فقد استطاعوا أن يثبتوا وجودهم فى الشعر وفى حرفتهم ، ولهذا وجدنا شعرهم صورة حية تعبر عن حياتهم اليومية وايضا كان شعرهم نوعا من انواع التجارة ووسيلة من وسائل الكسب ، وبالطبع فيها بعضد هذا امتلاكهم للموهبة الشعرية ، التى تعينهم فى التكسب عن طريق قرضـــــه .

واول هؤلاء ابو الحسين الجزار (٦٠١ ـ ٦٧٩ هـ/ ١٢٠٠ ــ ١٢٨٠ م) وكما يفهم من اسمه كان يعمل بالجزارة ، ولكن اجره كان لا يكفى معيشته ، بل لم يكن يحصل على نصيبه من اللحم الذى يقوم ببيعه للناس ، فاتخذ من الشعر حرفة أخرى الى جانب حرفته الاصلية كوسيلة للكسب ، وراح يطرق الأبواب المغلقة ويقدم ابياتا يصف فيها بؤسه ، ولكن لم يفلح فى الحصول على ما يريد ، فعاد الى حرفته الأولى وهى الجزارة(٢٤٠) .

يقول ابو الحسين فى حرفته :

اعمــــل فى اللحـم للعشـــــا ولا

انال منه العشاء ،، فما تعبى(٢٤١)

وقال فى زوجة ابيه :

تزوج الشيخ ابى شــــيخه   ليس لهــا عقـــــل ولا ذهن

لو برزت صورتها فى الدجى   ما جســـــرت تنظـرها الجن

كأنها فى فرشــها رمـــــة   وشــــعرها حــــولها قطن

وقائل قـــال ما ســــنها   فقلت ما فى فيها سـن(٢٤٢)

ومن الأبيات التي تصف بؤسه :

سقى الله اكناف الكنانة بالقطر
وجاد عليها سكرا دائم الدر

وتبا لأوقات المخلل انها
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

واشتاق ان هبت نسيم قطائف
السحور وسحيرا وهى عاطرة النشر

ولى زوجة ان تشتهى القاهرية
اقول لها ما القاهرية فى مصر(٢٤٣)

واذا عتب عليه بعض القضاه أن عاد الى الجزارة وترك الشعر اجابه بقوله :

لا تلمنى يا سيدى شرف الدين
على لن رايتنى قصابا

كيف لا اعشق الجزارة ما عشت
حياتى وارفض الآدابا

وبها صارت الكلاب ترجينى
وبالشعر كنت ارجو الكلابا(٢٤٤) !

وعن السراج الوراق (٦١٥ هـ/١٢١٨ م — ٦٩٥ هـ/١٢٩٥ م) لقبه سراج الدين وحرفته الوراقة(٢٤٥) ، تلمح فى شعره الصفات المصرية وخفة الروح ، اتصل السراج بكثير من أعيان عصره ، وقد وصف حالة اولاده ، وما يعانونه من بؤس بقوله :

قد اقبل العيد وماعنـــدهم قمح ولا خبز ولا فطـــره

فارحمهم ان عـــاينوا كعكة في يد طفـــل او راوا تمره

تشـــخص ابصـــارهم نحوها بشـــهقة تتبعها زفرة(٢٤٦)

عاش سراج بالقاهرة ما يقرب من تسعين سنة ، لقى خلالها صعوبات كثيرة ، وخلف لنا الكثير من الوان شعره منها قوله :

ربه سامح ابا الحسين وسامحني
فشـــأني وشـــانه الاســـلام

فذنـــوب الـــوراق كل جـــريح
وذنوب الجـــزار كل عظـــام(٢٤٧)

. ومن الشعراء اصحاب الحرف أيضا ابن دانيال الكحال(٢٤٨) (٦٤٦هـ / ١٣٤٨ م) ، كان كالسراج الوراق يتميز بخفة الروح ، اتخذ دكانا بباب الفتوح يزاول فيها مهنته(٢٤٩) ، ويبدو أن هذه الحرفة لم تكن تدر عليه دخلا مناسبا يمكنه من العيش الذى كان يأمله فيقول فى حرفته :

ياسائلى عن حرفتى فى الورى واضـــيعتى فيهم وافلاسى

ما حال من درهم انفـــاقه يأخذه من اعين الناس(٢٥٠)

ولذلك نجد ابن دانيال ينصـــرف الى مهنته المخايلة وقرض الشعر ، فكان يزاول مهنته فى النهار لينصرف بعدها الى اللعب بخيال الظل(٢٥١) ، وكان يحكم مصر فى ذلك الوقت السلطان بيبرس الذى اصدر فى عام (٦٦٥ هـ/١٢٦٦ م) امرا يحظر فيه بيع الخمور(٢٥٢) ، الامر الذى جعل ابن دانيال ينظم قصيدة فى ذلك :

لقد كان حد السـكر من قبل صلبه
خفيف الأذى اذ كان فى شرعنا جلدا

فلما بدا المصـلوب قلت أصـحابى
الا تب فان الحد قد جاوز الحـدا(٢٥٣)

وقد امتاز ابن دانيال فى كثير من شعره بخفة الروح والدعابة، كما اشتهر بالظرف وسرعة البديهة والسخرية اللاذعة حتى شاعت عنه كثير من النوادر والحكايات ، ومن شعره :

يـا سائلى عن حرفتى فى الورى
واضيعتى فيهم وافلاسى

ما حال من درهم انفاقه
يأخذه من أعين الناس(٢٥٣)

وقد امتاز ابن دانيال فى كثير من شعره بخفة الروح والدعابة،

يـا عيبنت عيشـاى فى عطلتى
ايشـم مـن حظى ومـن بختى

قد بعت عبـدى وحمـارى وقد
اصـبحت لا فوقى ولا تحتى(٢٥٤)

أما النصير الحمامى(٢٥٥) (٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) فهو نصير ابن أحمد بن على المنازى المصرى كان يعمل بأحد حمامات القاهرة الى جانب اشتغاله بالأدب ، واستطاع ان يحصل على الكسب من صناعته وقرضه للشعر ، وكان على صلة وثيقة بشعراء الشعب من أمثال السراج والجزار وابن دانيال(٢٥٦) ، عاش النصـير الحمامى فى حمامة ، يرتزق من مهنته حتى تقدم به السن وعاقه ضعفه من القيام بهذه الحرفة(٢٥٧) . وهكذا يتبين كيف كان هؤلاء يتكسبون من قرض الشعر الى جانب مزاولتهم حرفتهم الأصلية وكما ذكرنا آنفا فقد امتلك هؤلاء الموهبة الشعرية التى ساعدتهم على قرض الشعر والتكسب منه .

وهناك فئة من الطبقات الشعبية لعبت دورا مهما فى أوقات الحروب والفتن ، وان كان دورها يزداد أهمية فى اثناء الأزمات ،

فقد كانت نواب السلاطين على بعضهم البعض ، وهذه هي فئة الشطار(٢٥٨) وفئة العيارين(٢٥٩) . والعيارون جماعة من عامة الأسواق الفقراء ظهروا منذ أواخر القرن الثاني الهجري(٢٦٠) في بغداد ، ثم انضم اليهم أفراد من مختلف طبقات المجتمع ، وقد انتشر العيارون في سائر المدن الاسلامية ابان الحروب الصليبية ، وذلك لأن المناخ المناسب لهم دائما الحروب والفتن والمنازعات(٢٦١) ، يقاتلون عراة ، وفي أوساطهم المآزر ، وقد اتخذوا لرءوسهم دواخل من الخوص وسموها الخود ، ودرقا من الخوص قد قرنت وحشيت بالحصى والرمل(٢٦٢) ، وكان لهم نظام كالجند ، فعلى كل عشرة عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد أمير ، وقد وضعوا في أعناقهم الجلاجل والصوف الأحمر والأصفر(٢٦٣) .

أما الشطار فهم طائفة من أهل الدعارة والنهب واللصوصية كان لهم زيهم الذي يميزهم ولهم مئزر يأتزرون به على صدورهم يعرف بازار الشطار ، وكانوا يعدون اللصوصية صناعة وليست جريمة ، على اعتبار أن ما يستولون عليه من أموال التجار الأغنياء زكاة لتلك الأموال التي أوصى باعطائها الفقراء ، واذا وصل أحدهم لسن الشيخوخة استخدمته الحكومة في مساعدتها على كشف السرقات(٢٦٤) .

وقد كانت طائفة الشطار أكثر انتشارا في البلاد الاسلامية وبخاصة ابان الحروب والفتن ، من العيارين وأطول بقاء منهم ، وتمتاز طائفة الشطار بميلها للفكاهة والمرح واللهو فقد اشتهروا بالنوادر والطرف(٢٦٥) . ومع انتشار هذه الطائفة في البلاد الاسلامية فقد عرفوا في العراق والشام ومصر بالشطار وفي خراسان أطلق عليهم « سربداران »(٢٦٦) .

وفيما يختص بمساكن هؤلاء الشطار فقد كان مأواهم الحمامات والمساجد والطرقات هدا بالاضافة الى الأسواق والمقابر(٢٦٧) ؛ اى ان العيارين والشطار لم يكن لهم منازل او بيوت بالمعنى المتعارف عليه .

وبالنسبة لأخلاق العيارين والشطار(٢٦٨) ، فقد اتصفوا بالصبر على الشهوات وتحمل الأذى كالضرب بالسوط وتقطيع الأعضاء ، والصلب وسمل العيون ، وقطع الأيدى والأرجل(٢٦٩) . كماكانوا أمناء على أسرار أصدقائهم ويحافظون على المحارم ، ولا يتعرضون للنسوة ويقدسون شرف الكلمة فضلا عن أنهم كانوا يتجنبون الكذب(٢٧٠) . ولا شك أن هذه الأخلاق والصفات تدل على الشجاعة والقوة والأمانة وتبعد كل البعد عن الذم .

ومن الجدير بالذكر ان مؤرخى(٢٧١) العصر المملوكي اطلقوا على أصحاب الحركات الشعبية اسم الحرافيش(٢٧٢) والزعار(٢٧٣) والعياق (٢٧٤) . وقد اتخذ بعض الحرافيش التسول مهنة له فيذكر السبكي ان كثيرا من الحرافيش اتخذوا السؤال صنعة ، يقعدون على ابواب المساجد يشحذون ولا يدخلون لتأدية الصلاة(٢٧٥) . وقد وصفهم ابن بطوطة « بأنهم طائفة كبيرة أهل صلابة وقوة »(٢٧٦) .

وقد لعب الحرافيش دورا مهما في الحياة السياسية في تلك الآونة ، فقد ثاروا على الملك الناصر محمد في عام ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م حين سجن الأمير طشط المعروف بحمص أخضر(٢٧٧) ، حيث أجتمع آلاف من الحرافيش ووقفوا أسفل القلعة ، ونادوا ملسان واحد « يا اعرج النحس » (بعنوان الملك الناصر) أخرجه ، فما كان من الناصر الا ان استجاب لهم فأخرجه من سجنه(٢٧٨) .

كذلك كان للحرافيش سلطان ففى حوادث ٧٩٣ هـ/١٣٩٠ م توفى الشيخ على بن على الجميدى سلطان الحرافيش ، الذى كانت له كلمة مسموعة على الحرافيش لم تتوافر لأحد من بعده(٢٧٩) . وفى حوادث ٨٩٥ هـ/١٤٨٦ م دخل من القاهرة الى دمشق سلطان آخر للحرافيش يدعى ابن شعبان التف الاوباش حوله والصنقات والطبول تضرب بين يديه ، ثم رجعوا واستقبلوا زوجته باستقباله نفسه فخرج نحو مائتى امراة بخرق صفر ملفوفة على عصابهن ومن ركوب حولها ، الى ان وصلت الى بيتها(٢٨٠) . يتبين لنا مما سبق انه قد وجد للحرافيش مشيخة لها تقاليدها ونظامها ولها سلطان يرجع اليه وقت الحاجة واوامره مطاعة .

ويرجع السبب فى كثرة عدد هؤلاء الحرافيش فى القاهرة الى وجود عدد من الفلاحين لا يملكون أرضا ومن ثم لجئوا الى القاهرة(٢٨١) ، ونتيجة للأوبئة والمجاعات التى تعرضت لها القاهرة تدهور الوضع الاقتصادى فى الصناعات الحرفية والتجارة الداخلية فلم يجد هؤلاء المهاجرون صناعات أو اعمالا يؤدونها وبالتالى اصبحوا عبئا زائدا على القاهرة(٢٨٢) ، وكثيرا ما صدرت الاوامر من سلاطين المماليك بعودتهم الى بلادهم ولكن دون جدوى، وبالتالى فقدوا ارتباطهم بالأرض ولم يعودوا منتجين بل ظلوا هكذا بدون عمل ، وكانت انتفاضات الحرافيش فى القاهرة عبارة عن اعمال غوغائية مضطربة تخيف السلاطين ولكنها لا تغير شيئا فى الأوضاع القائمة(٢٨٣) .

وان كنت أرى ان وضعهم الطبقى وبخاصة حالتهم الاقتصادية والتى تعتبر المحرك الأول والمهم فى انتفاضاتهم ضد السلاطين والامراء لم يكن من القوة بحيث يؤثر فى تغيير الأوضاع . فقد نظر السلاطين الى هؤلاء الحرافيش نظرة احتقار وتعال وعلى انهم

طبقة لا يهتم بها أو ينظر اليها ، فقد كان جل اهتمامهم بأنفسهم ومماليكهم ومتعتهم دون مراعاة هؤلاء الحرافيش ونسوا تماما انهم جزء لا يتجزأ من الشعب المصرى .

وقد شاركت الدولة ممثلة فى شخص السلطان الطبقات الشعبية فى بعض مظاهر التكافل الاجتماعى والاقتصادى خاصة فى فترات وقوع الازمات ، وقد جاء هذا التصرف من السلطة المملوكية فى محاولة منها لدرء خطر الثورة الشعبية ، فحينما شح النيل وعدمت الاقوات فى عام ٦٦١ هـ/١٢٦٢ م أمر السلطان بيبرس بجمع الحرافيش وغيرهم من المعدمين من أهل القاهرة فأخذ جزءا منهم ، ووزع بعضهم على الأمراء والأثرياء لاعالتهم طوال فترة هذه الأزمة(٢٧٤) .

ويبدو أن تصرف بيبرس ومن حذا حذوه قد قصد منه أيضا الحد من ثراء الأمراء المماليك ، واشعارهم بالمشاركة فى المسئولية العامة وانه لما كانت لهم الحقوق فان عليهم الواجبات . ومن السلاطين الذين كانوا يقربون الحرافيش ويعطفون عليهم السلطان المنصور لاجين(٦٩٦ — ٦٩٨ هـ/١٢٩٧ — ١٢٩٩ م) الذى كان على علاقة وثيقة بهم وقد بادلوه التأييد والثقة(٢٨٥) . وعندما وقع القحط بالقاهرة وارتفعت الاسعار واشتد الغلاء على الناس عام ٧٧٥ هـ/١٣٧٢ م امر السلطان الأشرف شعبان بن حسين (٧٦٤ — ٧٧٨ هـ/١٣٦٣ — ١٣٧٧ م) بفتح عدد من شون القمح والغلال وقام بتوزيعها على الفقراء والمساكين ثم أمر بأن يوزع الفقراء والحرافيش على الأمراء وأعيان التجار لحين زوال هذه الضائقة(٢٨٦) ، واقتداء بما فعله السلطان الظاهر بيبرس والاشرف شعبان خصص السلطان برقوق فى عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م للفقراء والحرافيش فى القاهرة عشرين اردبا من الدقيق توزع عليهم لمواجهة موجة الغلاء وندرة القمح فى تلك الآونة(٢٨٧) .

ولم تقتصر علاقة سلاطين المماليك باهل القاهرة من الفقراء والحرافيش على مثل هذه المظاهر من التكافل الاجتماعى والاقتصادى الوقتى المرتبط بفترات الازمات ، بل كانوا يتقربون الى الطبقات الشعبية فى بعض الاحيان خاصة فى بعض المناسبات مثل يوم عاشوراء الذى امر فيه السلطان الغورى فى عام ٩١٢ هـ/١٥٠٦م بان يجمع الفقراء والحرافيش وقام بنفسه بتوزيع عطايا من الذهب عليهم(٢٨٨) ، كما قام فى عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م بجمع هؤلاء الحرافيش ووزع عليهم عطايا من الفضة ايضا(٢٨٩) . وربما كان السبب فى هذه المحاولات للتقرب من هؤلاء الحرافيش هو محاولة تفريغ مشاعر السخط والتمرد الكامنة فى نفوسهم قبل ان تتحول الى رغبة فى الثورة ضد رموز السلطة فى تلك الفترة خاصة وأن ما سبق عرضه من بعض مظاهر التكافل الاجتماعى والاقتصادى الرسمى لا يمثل سياسة اقتصادية واجتماعية ثابتة تجاه هذه الفئة من الطبقات الشعبية ولا يتجاوز دور مثل هذه المظاهر مجرد محاولة التخفيف الوقتى لما يثقل كاهل الطبقـــات الشعبية من أعباء اقتصادية واجتماعية متعددة .

وكانت السياسة التى درج عليها المماليك حيال الطبقـــات الشعبية كانت سياسة القهر ومن ذلك ان الأمير قوصون(٢٩٠) قد أمر بتسمير بعض الطبقات الشعبية فسمر منهم تسعة على بابه زويلة ثم امر بتتبع الطبقات الشعبية والقبض عليهم ، وفى يوم آخر سمر قوصـــــون ايضا ثلاثة من الطواشية(٢٩١) وعدداً من الحرافيش على باب زويلة(٢٩٢) . وفى نطاق الصـراع السياسى والاجتماعى فى العصر المملوكى تودد بعض الأمراء من الحرافيش واستخدموهم فى اعمال السلب والنهب ضد بعضهم البعض ، ويروى فى ذلك أنه فى اثناء فتنة قوصون(٢٩٣) ايضا اباح بعض الأمراء للطبقات الشعبية نهب بيت الأمير قوصون فاقبلت الطبقات

الشعبية كالجراد المنتشر لما فى نفوسهم من كره لهذا الأمير ونودى لهم « يا كسلبة(٢٩٤) عليكم باسطبل قوصون خانهبوه »(٢٩٥) .

وقد تزايد عدد الحرافيش فى شوارع القاهرة بصورة واضحة فى أواخر العصر المملوكى(٢٩٦) ، فكان المار فى هذه الشوارع يجد بعضهم وقد غطت أجسامهم الهلاليل والأتربة وتبادلوا الشتائم والصيحات ، العنيفة ، ويهدد بعضهم بل يصل الأمر لحد الاشتباك بالأيدى وتنتهى المشاجرات ويتفرقون دون نتائج(٢٩٧) .

واستعان السلاطين أيضا بالزعار(٢٩٨) ففى عام ٧٦٩ هـ/ ١٣٦٧ م حدثت فتنة « المماليك اليلبغاوية »(٢٩٩) الذين كانوا يتعرضون الناس ويهجمون على النساء فى الحمامات ويخطفون الصبيان والأقمشة والبضائع من الدكاكين فكان ذلك من أسباب تذمر الناس عليهم ، ولما شرع المماليك اليلبغاوية للقتال تصدى لهم الزعر بالحجارة والمقاليع وقبضوا عليهم وأحضروهم للوالى ، ثم نودى بعد ذلك بالأمان والبيع والشراء ففرح الناس بزوال مماليك يلبغا وخروجهم من القاهرة(٣٠٠) .

ونلمس مشاركة الزعر السياسية أيضا فى الفتنة التى حدثت فى عام ٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م والتى كانت بين السلطان برقوق ونائبه يلبغا الناصرى والتى انتظر الزعر قيام الفتنة على أثرها للقيام بأعمال النهب كما هى عادتهم إبان الفتن والمنازعات ، ولما تخاذل الأمراء المماليك عن نصرة السلطان برقوق ، حاول برقوق التودد والتقرب من الزعر ففرق عليهم أموالا كثيرة فعظم أمرهم وتعطلت الأسواق وأخذ الناس فى شراء القوت اللازم لهم خوفا من الفتنة وما يترتب عليها من نتائج وعندما تقدمت عساكر الناصرى من القاهرة أغلقت الأبواب كلها إلا باب زويلة وانتشرت الزعر

وامتلأت بهم القاهرة واشتد فسادهم وسلبهم ونهبهم(٣٠١) ، وقد تفرق الزعر على بيوت الأمراء ، فنهبوا ما وجدوا حتى خربوا البيوت واخذوا ابوابها وخشبها ، وهاجموا منازل الناس خارج القاهرة واستمروا على ذلك ، وصارت القاهرة غوغاء ، واهلها رمية بلا راع على حد قول ابن تغرى بردى(٣٠٢) .

ونلاحظ مشاركة الزعر أيضا فى فتنة يلبغا الناصرى(٣٠٣) ومنطاش(٣٠٤) والتى حدثت فى عام ٧٩١ هـ/١٣٨٨ م ، فقد خرج منطاش وتقرب من الزعر واعطاهم الاموال والذهب فتعصبوا له ووقفوا ضد الناصرى ، وكان الواحد يثب فى الهواء حتى يخطف السهم قبل ان يأخذه غيره ويأتى به الى منطاش وطائفة اخرى تقوم بنقل الحجارة(٣٠٥) . وقد كان للزعر فى هذه الفتنة دور كبير مما ادى الى هزيمة الناصرى ، ولما تأكد منطاش من هزيمة الناصرى أباح للزعر بالنهب والسلب فتفرقوا الى بيوت المنهزمين فنهبوا واخذوا ما استطاعوا(٣٠٦) ، وفى الفتنة التى حدثت فى عام ٨٠٢ هـ/١٣٩٩ م امتدت الأيدى الى بيوت الأمراء المنهزمين بالسلب أيضا ، فنهبوا جميع ما كان فيها(٣٠٧) ، كما نهبوا بعض المساجد ثم نهبوا مدرسة السلطان حسن وهدموا السجون واخرجوا من فيها من ارباب الجرائم ، وانتشرت الفوضى فى القاهرة فى تلك الآونة(٣٠٨) . ولا يغيب عن اذهاننا ان أعمال السلب والنهب التى قام بها الزعر ترجع فى المقام الاول لما كان يحيطهم من بؤس وفقر وحرمان ومعاناة من الجوع ولهذا امتدت أيديهم الى كل شيء حتى المساجد لم تخل من عبثهم .

فضلا عن ذلك نجد ان بعض السلاطين حاولوا التودد والتقرب من الزعر فكان يشاركهم الطعام الامر الذى كان يؤدى فى كثير من الاحيان الى غضب الامراء عليه لان ذلك من شأنه الاستهانة

بالسلطان والأمراء ، ففى أيام الملك الكامل شعبان وفى عام ٧٤٦ هـ/١٣٤٥ م كثر لعب النلس بالحمام وتزايد شلاق الزعر(٣٠٩)، ثم نودى بالقاهرة بعدم التعرض لاحد من ارباب الملاعيب وبخاصة لاعبى الحمام ، فتزايد الفساد وذلك بسبب حب السلطان شعبان لهذه الالعاب وشغفه بها ، ثم لصدر السلطان أوامره بإحضار الاوباش فلعبوا امامه بالليخة(٣١٠) وفى اثناء اللعبة قتل رجل رفيقه فخلع السلطان على بعضهم ، واستمر السلطان على ذلك واعرض عن تدبير الامور(٣١١) .

كذلك كان المظفر حاجى (٧٤٧ هـ/١٣٤٦ م) اكثر شغفا من السلطان شعبان بأرباب الملاعيب فضلا عن اجتماعه بالأوباش فيذكر ابن تغرى بردى فى عام ٧٤٧ هـ/١٣٤٦ م ان الملك المظفر حاجى أمر بإعادة أرباب الملاعيب ، ونطاح الكباش ، ومناقرة الديوك ونودى فى القاهرة بذلك ، وكان السلطان اذا لعب مع الاوباش يتعرى ويلبس تبان الجلد ويصارع معهم ويلعب بالرمح والكرة ويظل طوال النهار هكذا(٣١٢) . هؤلاء هم الزعر وهذا هو دورهم سواء فى حالات الفتن والمنازعات بين السلاطين بعضهم البعض او بين الأمراء ، كذلك دورهم فى فترات السلم حيث يتضح كيف كان بعض السلاطين يتقربون اليهم ويجزلون العطاء لهم ، نحو السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذى كان ينظر فى المظالم المقدمة من الطبقات الشعبية يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع فيما عدا شهر رمضان(٣١٣) . الامر الذى حدا ببعض الامراء الى الحنق على بعض السلاطين بسبب معاملتهم الكريمة لهم ، كذلك يتبين لنا ان ما قام به الزعر من سلب ونهب وتخريب كان موجها فى المقام الاول نحو من كان يسيء معاملتهم من الامراء والسلاطين ولذلك نجدهم يسلبون بيوت هؤلاء الأمراء فضلا عن القيام بتخريبها ، اى

أن حركتهم لم تكن موجهة نحو الطبقات الشعبية التي كان بعضها يعاني من الفقر والفاقة والعوز وتدهور الأحوال الاقتصادية .

وهناك طائفة أخرى وصفها المقريزي بالزعارة والشجاعة يقال لهم « السحورة » او « الأويراتية »(٣١٤) ، ويرجع بعض الباحثين أن هؤلاء هم أصل فتوات الصينية الذين اشتهروا بالزعارة والشجاعة الى جانب القوة الجسدية والجمال(٣١٥) .

والعياق(٣١٦) يأتي ذكرهم في حوادث عام ٧٨٧ هـ/١٣٨٥ م حيث أمر السلطان برقوق بمنع ما كان يحدث في يوم النوروز من مساد وفوضى(٣١٧) . فقد كان السواد الاعظم من العياق يقفون في الطرقات ويتراشون بالماء المتنجس ويقطعون الطريق ، فكان هذا اليوم من الأيام التي يمتنع فيها أهل القاهرة عن الخروج الى الشوارع والأسواق حيث تغلق الحوانيت أبوابها وتتعطل حركة البيع والشراء(٣١٨) .

وهناك المناسر (السراق) الذين كثروا في القاهرة في أثناء الفتنة التي وقعت في عام ٨٠٢ هـ/١٣٩٩ م حتى صار في كل حارة مركز لهم ؛ وكان نشاطهم موجها نحو الأسواق والأمراء والتجار ، والمنسر الواحد يتكون عادة من مائة نفر ما بين مشاة وراكب ومعهم قسي ونشاب وهذا يعني أنهم تجمعوا في شكل طوائف منتظمة(٣١٩) وقد أصدر السلطان الأشرف قايتباي اوامره بتوسيط شخص من كبار المنسر يقال له احمد الحنف وذلك في عام ٨٩١ هـ/١٤٨٦ م(٣٢٠)

وانتهى الأمر بالحرافيش الى اللحاق بالخوانق والربط والزوايا وذلك بحثا من الطعام والمأوى والملبس وان كان ذلك لم يمنع قيامهم بأعمال اللصوصية والنهب والمشاركة في بعض الأحداث السياسية(٣٢١) ، وفيما يتعلق بالزعار فقد ظلوا عاطلين أو شبه

سلاطين الا من بعض المهن المتدنية ، كما كان بعضهم اما من ارباب السجون او بقايا الجند المتطوعة(٣٢٢) . هكذا نلاحظ مشاركة الطبقات الشعبية في الفتن والثورات التي لم تكن من ارادة تلك الطبقات ولم يكن اشتراكها في هذه الأحداث من تلقاء نفسها وانما بوازع من المماليك الذين عملوا على تصمية بعضهم البعض لاغراض سياسية ترمى الى الاستحواذ على السلطنة .

والفتوة(٣٢٣) جماعة يمكن أن تقترن بالطبقات الشعبية من المجتمع المصرى ، وقد أخذت الصوفية كلمة الفتوة وما تدل عليه من معانى النبل والسماحة وادخلتها فى معجم كلماتها(٣٢٤) فيقول الحارث المحاسبى(٣٢٥) « ان الفتوة هى ان تنصف ولا تنتصف » ويعرف الجنيد(٣٢٦) الفتوة بأنها « كف الأذى وترك الشكوى والفتوة اتباع المكارم واجتناب المحارم »(٣٢٧) ، كما تعرف « بأنها اظهار النعمة واسرار المحنة ، وترك ما تهوى لما تخشى »(٣٢٨) .

والفتوة(٣٢٩) ذات صلة مباشرة بالطبقات الشعبية فى القاهرة فى العصر المملوكى ، فقد شاع نظام الفتوة العسكرية فى بداية الامر ، وورث هذه الفتوة بعض المماليك فى القاهرة فتعلموا الاعمال الحربية وتمرنوا عليها ، واتخذوا من الصيد وسيلة لتعلم الفروسية(٣٣٠) ، وكان سقوط الدولة العباسية فى عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م ركودا للفتوة ثم ظهرت الدولة العباسية الاسمية فى القاهرة فعادت معها الفتوة ، ففى عام ٦٥٩ هـ/١٢٦٠ م وفى يوم عيد الفطر ركب السلطان الظاهر بيبرس مع الخليفة المستنصر بالله وصليا صلاة العيد بالقاهرة ثم حضر الخليفة الى خيمة السلطان والبس بيبرس سراويل الفتوة بحضور الامراء(٣٣١) ، وهذا دليل على اهمية دور الفتوة فى عصر المماليك فى القاهرة واستمرار قوتها من أيام الايوبين وحتى عصر المماليك(٣٣٢) ، وقد اعتاد

سلاطين المماليك فيما بعد حتى القرن (٨ هـ/١٤ م) على منح سراويل الفتوة للأمراء والاعيان المصريين فى معض الأحيان ، وهو النظام الذ ى يضم فى جانبه الشعبى أرباب الحرف وأهل الصنايع وغيرهم من الباعة والسوقة والمعدمين وأشباه المحمين والماطلين(٣٣٣) . وقد لعبت بعض هذه التنظيمات الحرفية دورا ثوريا متميزا فى التاريخ المصرى عن طريق انضمامهم لثورات او تمرد الطبقات الشعبية ضد المماليك(٣٣٤) . هذا وقد تدهورت أحوال الفتوة فى عصورها الأخيرة ونجم عن ذلك خروجها عن المكارم والفضائل والشهامة والمروءة التى اسست عليها ، فأصبحت خطرا على المجتمع ولاقت مقاومة شديدة واتبعها الأشرار والعيارون والزعر ، حتى اطلق على العيارين فى القاهرة فى العصور الأخيرة اسم « الفتوات »(٣٣٥) .

وكان فى كل حى من احياء القاهرة جماعة من الفتوات أرباب الصنائع والمهن المتدنية ولهم زى خاص ، وغالبا ما كانت تنشب بينهم وبين فتوات الاحياء الأخرى منازعات ومشاجرات ، فقد يخرج فتوات المنشية لمشاجرة فتوات الصبنية فى حى المتطم بالطوب والحجارة والعصى ، وكان من الطبيعى ان يسقط بعض الجرحى والقتلى(٣٣٦) .

وهناك ظاهرة واضحة اتصفت بها الحياة فى عصر سلاطين المماليك ، وهى انتشار التصوف على نطاق كبير(٣٣٧) . والتصوف معناه تجربة روحية خاصة يعانيها الصوفى(٣٣٧) .

وقد زاد نطاق التصوف فى القرن السادس الهجرى اذ انتشر بين مختلف طبقات الشعب آنذاك وترددت مبادئة واصوله على السنة الشعراء ، واصبح للصوفية تأثير على المجتمع بحيث

حد التصوف من النزاع القائم بين مذهبى أهل السنة وأهل الشيعة وقرب بينهما(٣٣٩) . وفى منتصف القرن السادس الهجرى أرسى صلاح الدين حجر الأساس للخوانق فى مصر ، وتعتبر خانقاه سعيد السعداء(٣٤٠) اول خانقاه انشئت على يديه فى عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣ م(٣٤١) .

وانتشر التصوف فى القرن السابع الهجرى فى القاهرة ابان عصر سلاطين المماليك بين طبقات الشعب بمختلف مستوياتهم الاقتصادية ومذاهبهم العقائدية(٣٤٢) . ومن العوامل التى ادت الى انتشاره على هذا النحو كثرة الوافدين على مصر من مشايخ الصوفية المغاربة والاندلسيين ، حيث ضاقوا بالحالة التى وصل اليها المسلمون فى المغرب والاندلس فانتقلوا الى مصر حيث لاقوا قبولا كبيراً فيها(٣٤٣) ، وكذلك الحروب الطاحنة التى تعرضت لها مصر من جانب الصليبيين ثم التتار(٣٤٤) . هذا بالاضافة الى انفصال المماليك عن اهل البلاد واستئثارهم بالمناصب المهمة فى الجيش(٣٤٥) ، هذا الى جانب تعرض القاهرة للأوبئة والمجاعات التى حصدت طائفة كبيرة من الطبقات الشعبية . ولكل هذه العوامل حظى التصوف بقبول مختلف طبقات الشعب حيث وجدوه ملاذا الى الله عز وجلا يخففون به من آلامهم وخاصة ابان الازمات التى تعتريهم(٣٤٧) .

وللصوفية آداب تحدد العلاقة بين الشيخ والمريد(٣٤٨) ، ويبدو ان الخوانق ضمت ايضا الاطفال ، فكان من ضمن آداب الصوفية تقسيم المريدين الى ثلاثة اقسام : كهول وشباب واطفال وكان لكل فئة قسم خاص وتجتمع يوما واحدا فى الاسبوع للتحاور(٣٤٩) .

واول الطرق الصوفية التى وجدت فى العصر المملوكى كانت الطريقة الاحمدية نسبة الى السيد احمد البدوى(٣٥٠) الذى جاء

مصر عام ٦٣٤ هـ/١٢٣٦م وقد عرف بابى الفتيان لملازمته اللثامين صيفا وشتاء(٣٥١) ، وقد اعتاد البدوى أن يجلس على سطح منزله ، ويرنو ببصره الى الشمس ، وكان يقضى ما يقرب من اربعين يوما صائما عن الطعام والشراب(٣٥٢) . وقد عرف أتباع البدوى الاوائل باسم « السطوحية » نسبة الى سكن السطح(٣٥٣) وكان من شعائر البدوى البشت(٣٥٤) الصوف والعلم الأحمر و « البشت » هو خرقة التصوف ، والخرقة هى زى الفقراء ، والعلم الاحمر شعار أحمد البدوى(٣٥٥) ، وعليه فقد كان شعار الطريقة الاحمدية اللون الاحمر . وللسيد البدوى كرامات كثيرة منها : احضار الأسرى من بلاد الافرنج وقد ذكر الرواة قصة امراة اسر الصليبيون ولدها ، فلاذت بالسيد أحمد البدوى تطلب منه احضاره . وما هى الا لحظات حتى جاء الأسير فى قيوده فأخذته أمه وانصرفت ، وهذه كرامة كبرى اعتبرها اتباع السيد أحمد البدوى من اعظم كراماته وصاروا يتحدثون بها . بل ان الطبقات الشعبية فى القاهرة اخذوا يتغنون بقدرة السيد البدوى على احضار أسرى المسلمين ، فصاروا ينشدون العبارة المعروفة .. الله الله يابدوى جاب اليسرى » ، واليسرى هنا تحريف اللفظ « الاسرى »(٣٥٦) ، ومن كراماته أيضا علم الغيب ومن ذلك ان رجلا مر بالسيد البدوى يحمل قربة لبن فاوما اليها باصبعه ، فتحطمت وانسكب اللبن ، وخرجت منه حية كبيرة . فحمى بذلك الناس من سمها . وقبل ان يقع غلاء ويشتد القحط كان السيد البدوى يعلم ذلك ويحذر الناس ليحتاطوا(٣٥٧) . كذلك نسب الى السيد البدوى قدرته على احياء الموتى وشفاء المرضى ، فكان المرضى يستنجدون به وهو فى قبره فيلبى نداءهم ويشفيهم وبفضل كرامة السيد احمد البدوى كان الشيخ محمد المران الذى يخبز له الخبز يحرك النار بيده ويدخل

يده فى الفرن لاخراج الخبز الذى يخبزه للسيد البدوى ... دون أن يصاب بسوء . كذلك كان السيد أحمد البدوى يقبض يده على الهواء فيحس بأثر هذه القبضة الناس بعيدون وايضا ايذاء من يتعرض لسيرته بسوء(٣٥٨) ومن كراماته ايضا عندما حاول البعض القاء مولده رضى الله عنه فلحق بهم ضرر كبير مثل عزل البعض من منصبه ونفى البعض الآخر ، وتعرض بعضهم للحبس(٣٥٩) . وبعد وفاة السيد البدوى عام ٦٧٥ هـ/١٢٧٦ م صار أتباعه على طريقته ونهجه ، ومن هؤلاء عبد الله صالح(٣٦٠) .

كما انتشرت الطريقة الشاذلية(٣٦١) فى القاهرة المملوكية وتقوم من الناحية السلوكية على العمل بالكتاب والسنة(٣٦٢) ، وتنسب هذه الطريقة الى الشيخ ابى الحسن الشاذلى شيخ الطائفة الشاذلية(٣٦٣) ، الذى وفد من المغرب الاقصى الى القاهرة وكان زاهداً ضريرا(٣٦٤) . وبرغم كونه كفيفا فقد حضر موقعة المنصورة عام ٦٤٨ هـ/١٢٥٠ م وكان يلتقى بالناس على اختلاف طبقاتهم ، كما كان يجالس السلاطين والامراء(٣٦٥) .

ومن شهر أولياء العصر المملوكى فى القاهرة والذين ذاع صيتهم بالكرامات ابراهيم ابن على بن عمر المتبولى الانصارى الاحمدى الذى كان يبيع الحمص المسلوق بحى الحسينية بالقاهرة(٣٦٦) ، ومن كراماته رؤيته للرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المنام وايضا عندما اشتهى اصحابه سماطا يحتوى على مختلف الاطعمة امرهم الشيخ المتبولى بالانتظار ليتطهروا ثم يعودون مرة ثانية ففعلوا ما امرهم به فوجدوا سماطا ممدودا كما اشتهوا ، ومنها انه اذا جلس لأحد لاول مرة فكانت لديه القدرة على معرفة ما ارتكبه هذا الشخص من المعاصى والذنوب . وفى عهد السلطان قايتباى (٨٧٢ — ٩٠١ هـ/١٤٦٨ — ١٤٩٦ م) وقع غلاء كبير فاجتمع عند

الشيخ كثير من الطبقات الشعبية ، فصار يطعمهم خبزا خالصا ولما ارادوا أن يأتى لهم بشىء مع الخبز اشار على احدهم بأن يذهب الى مكان ما وهناك وجد ذهبا كثيرا اشترى به ما يحتاجونه ولما ذهب احدهم بغير علم الشيخ وجد المكان خال من الذهب(٣٦٧) .

ومن كراماته ايضا أنه حضر وليمة عند أحد الرجال وفى أثناء انشغال الرجل باعدادها سقط ابنه فى مياه الخليج ولم يعرفه احد بذلك الا فى نهاية الوليمة ، فلما علم الشيخ المتبولى بذلك أشار عليهم بالذهاب الى القنطرة تجاه جامع الظاهر وهناك وجدوا الصبى حيا يرزق وعاش بعد ذلك طويلا(٣٦٨) .

والشيخ ابراهيم أبو لحاف المجذوب الصالحى كان حافيا مكشوف الرأس متلحفا بملاءة حمراء وبيده عصا غليظة(٣٦٩) ، وكان يقيم فى برج بقلعة الجبل ولما قرب زوال دولة المماليك الجراكسة تقابل مع السلطان الغورى واراد أخذ مفاتيح القلعة منه بقوله « أعط مفاتيح القلعة لأصحابها » فقال الغورى هذا مجذوب اتركوه فذهب الشيخ ابراهيم ابو لحاف وسكن القاهرة وتحقق ما قاله من زوال دولة المماليك الجراكسة(٣٧٠) .

ومن الاولياء اصحاب الكرامات ايضا الشيخ ابراهيم بن محمد برهان الدين بن ابى شريف احد نواب القضاء بالقاهرة ابان العصر المملوكى ، وكان يقرأ القرآن فى الليلة الواحدة خمس عشرة مرة وتوفى فى عام ٩٢٣ هـ/١٥١٧ م(٣٧١) .

والشيخ ابراهيم بن عصيفير الذى كان يأتى القاهره راكبا الذئب او الضبع . وكان هناك شخص دائم الأذى له فدعا عليه ببلاء لا يخرج من بدنه الى أن يتوفى فتورمت رجلاه والتهبت وخرج منهما الصديد وترك الصلاة واصبح كالأطفال ، ومن كراماته ايضا

انه كان يتألم مع الثعالب واذا توقع شيئا حدث فى الحال نحو توقعه لحدوث حريق فى مكان ما . ومر عليه شخص باناء فيه لبن ، فرماه منه فكسره فاذا فيه حية ميتة(٣٧٢) .

هذا وقد تطوع بعض رجال العلم من الصوفية لالقاء المواعظ والدروس على الطبقات الشعبية فى الطرقات ، غير مقيدين بمكان أو موضوع معين ، وكان يطلق على هؤلاء فى الشـــرع اســم القاص(٣٧٣) .

وبالنسبة لموقف سلاطين المماليك من التصوف فقد عرف عن بعض سلاطين المماليك احترامهم للفقراء « الصوفية » او على الاقل تظاهرهم بذلك الاحترام كسبا للرأى العام فى البلاد وللحصول على محبة الطبقة الشعبية(٣٧٤) ومنهم السلطان الظاهر بيبرس الذى اهتم بالتصوف والمتصوفة(٣٧٥) ، وقد بلغ من احترامه لهم انه كان يدعوهم الى حضــــور حفلاته الرسمية(٣٧٦) ، كما انه كان معاصرا للسيد احمد البدوى(٣٧٧) . كذلك احب السلطان لاجين الفقراء وعطف عليهم ، وكان يعتقد فى رجال الصـــوفية ومنهم الشيخ محمد بن مسعود الصوفى شيخ الصوفية فى رباط خانقاه ســعيد الســعداء ، وكان يعظمه كما كا نيجمع الفقراء حول مائدته(٣٧٨) . اما السلطان برقوق فقد رتب للمدرسة التى انشأها فيما بين القصرين عددا من الصوفية وأجزل لهم فى المرتبات(٣٧٩)، بل ان زوجة السلطان خشقدم غلب عليها التصوف فاتبعت الطريقة الأحمدية ونسبت اليها ، وذهبت اكثر من مرة لزيارة ضريح السيد البدوى بطنطا(٣٨٠) وقد وردت اسماء بعض الصوفية فى بعض الكتابات المملوكية منهم ابو بكر بن يونس الصوفى خادم السيدين الشافعى والليث بن سعد ، ومنهم ايضا ابو الخير محمد الصوفى الشافعى وكيل السلطان جقمق(٣٨١) .

هذا عن موقف سلاطين المماليك تجاه التصوف والمتصوفة ، ومع تدهور الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى أواخر العصر المملوكى تدهورت أحوال التصوف والمتصوفة ، فأصبحت حياتهم مليئة بالفساد والرذائل الخلقية ، فضلا عن أنهم تخلوا عن النظم والآداب التى عرموا بها بين الناس(٣٨٢) ، ونتيجة لذلك فقد احترف كثير من الادعياء التصوف واتخذوه اداة للكسب ، فاحترف التصوف أهل الغفلة من الناس وبالتالى أختلط الدخلاء بالصادقين من أهل الطريق(٣٨٣) وصبت الخوانق كثيراً من الدخلاء الذين لم يقبلوا هذه الحياة رغبة فى الزهد وانما هروبا من قسوة الحياة ، الى جانب حياة الفقر والفاقة التى كانت تحياها الطبقات الشعبية فتمتعوا داخل الخوانق بحياة رغدة ، وقد شغلت الدنيا أذهانهم فانصرفوا عن الذكر والعبادة الى البحث عن المال والمتعة ، حتى أنه الحق بعض الصوفية بأكثر من خانقاه طمعا فى المال(٣٨٤) ، وهو الأمر الذى دفع الذين يتولون أمر الخوانق باعادة النظر فيمن يلحق بها ، وكان من نتيجة ذلك استبعاد من ازدادوا ثراء من الشيوخ نتيجة وجودهم فى هذه الخوانق(٣٨٥) .

وقد اشتهر الصوفية فى عصر المماليك بأفعالهم الغريبة التى نسبوها للدين ، فحلق بعضهم رأسه ولحيته وحاجبيه ورموشه ، وعاش حياة تشبه المجانين زاعما أن ذلك تطهرا ، وقد كان البعض واضعا القرون والبعض الآخر يلطخ نفسه ويضع الريش ، ويحمل غيرهم اعمدة تنتهى بمصابيح تتدلى منها الاضواء(٣٨٦) ، ومن افعال المجاذيب أن يركب الواحد منهم فى قفص على رأس حمال ويزعمون أن ذلك ضرب من التقوى والعبادة ، وقد يتمادى بعض المتصوفة ويدعى النبوة(٣٨٧) وقد وصف البعض هيئة أحد رجال الصوفية فى تلك الآونة بقوله « شيخ ممن فقير حرفوش مكشوف الراس منفوش الشعر ، عليه دلق دقيق ، بالى الخلقة رقيق ، قد

تمكن منه الوسخ ، وثبت فيه ورسخ قد جمعه من عدة رقاع ، له مدلاة يستدعى بتارها »(٣٨٨) .

وقد فتح بعض المتصــــوفة دكاكين للكوبة(٣٨٩) والبطالة واشتغلوا بالأكل والشرب والغناء ، وكانت هذه الطائفة من المتصوفة تتواجد حيث تسمع الغناء فتصفق وتصيح وتمزق ملابسها ، واذا تمكن الطرب منها فى حالة رقصها جذب احدهم بعض الجالسين ليرقص معه ، واذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقون رءوسهم موافقة له(٣٩٠) . وكانت عادة النساء ان يشاهدن غناء الدراويش من فوق الأسطح ، وقد نسب لبعض الصوفية قوله : « ان فى الجنة كراسى يجلس عليها الصوفية وهى تميل بهم وتدور كأنهم يرقصون(٣٩١) » بل وقد سادت مثل مظاهر اللهو هذه حتى ان بعض السلاطين أصدر اوامره فى عام ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م بإقامة المزمار والرقص والغناء فى بعض الزوايا وذلك بمقتضى مرسوم ، ومن الأشعار التى قيلت :

الضرب بالطار والتشبيب بالقصــــب
شـــيئان قد عرفا باللهو والطـــرب

انى لأعجب من قوم وطيشــــــهم
وان لمـــــرهم بن اعجب العجب

ومطربانين لا نصــــغى لقولهمــــا
فالشرع قد حرم الاصـــغاء للطرب

وان نقروا الطار ابوا يرقصـــون له
شـــبه القرود الأســـحقا المرتكب

صـــــوفية احدثوا فى ديننا لعبــــا
وخالفوا دين المصـــطفى العـــربى

لعـــل المراقص لا تلخـذ بمذهبهم
قد تملقوا على التمويه والـــكذب

من اقتدى بهم قد ضـــل مثلهم
ســحقا لمذهبهم لو كان ذهب(٣٩٢)

والبعض الآخر أباح اختلاط الرجال والنســاء والخلوة بهن والفسق بالاولاد(٣٩٣) ، كما شاع أكل الحشيشة بين مدعى الصوفية وقد أطلق عليها اسم « حشيشــة الفقراء »(٣٩٤) ، وكان تاثير ذلك على الطبقات الشعبية كبيرا حتى وصل الامر بالطبقات الشعبية انهم كانوا يقدمون المتزهدين على العلماء فلو راوا جبة صوف على جاهل عظموه لدرجة وصلت بهم الى تصديق اولئك المدعين فيما يقولونه حتى ولو خرجوا عن حدود الشرع(٣٩٥) . كذلك زينوا للناس حياة الفقر والقذارة والتسول والرضا بالعيش من الصدقات والنذور التى كانت قوام المعيشــة لاولئك الدراويش(٣٩٦) . وربما كان ذلك أحد أوجه التأثير السلبى للصوفية في تلك الفترة ، فقد خلقوا لديهم حالة من القناعة بأحوالهم المتدنية الامر الذى عطل لديهم الرغبة فى تغير تلك الاحوال .

وقد وصل بهم الأمر الى تحريف جوانب جوهرية فى الاسلام ومن ذلك قيام البعض بقراءة ما يزعم انه قرآن كريم(٣٩٧) ، وصعود بعضهم الى منبر المسجد عاريا ليخطب فى الناس ، يضاف الى ذلك التهاون فى فرائض الدين فالبعض كان يظل على وضوئه ســبعة أيام امتدت الى احد عشر يوما ، والبعض الآخر كان يتوضا أول رمضان فلا يتوضا ثانية الا بعد العيد بستة أيام(٣٩٨) .

ولجا بعض من ادعى الصوفية الى السرقة ومن ذلك انه قبض على صوفى من خانقاه سعيد السعداء لقيامه بفتح مخزن

القمح المخصص للخبز وسرق بعضه ، غامر الوالى بضربه بالمقارع واشهر على حمار فى الأسواق(٣٩٩) . هذا عن اهم انحرافات مدعى الصوفية فى أواخر العصر المملوكى وتدهور احوالها وقد صدق عليهم قول المقريزى « لا ينسبون الى علم ولا ديانة والى الله المشتكى »(٤٠٠) .

ومن الأهمية ان نشير الى انه الى جانب سكن الصوفية فى الخوانق والربط والزوايا فان جزيرة الروضة(٤٠١) كانت من الأماكن التى سكنها المتصوفة والزهاد ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن موسى الصالح الخير(٤٠٢) والشيخ محمد بن وفا(٤٠٣) ، وكذلك سكن الروضة أيضا الشيخ الكازورنى(٤٠٤) الذى ظل مقيما فيها حتى توفى عام ٧٧٤ هـ/١٣٦٣ م(٤٠٥) .

وقدن كان للمرأة دور كبير فى التصوف ، وكانت هناك نساء متصوفات شهيرات(٤٠٦) ، فقد سلكت بعض النساء فى عصر المماليك طريق التصوف ، فلبسن الخرق كما يلبسها المتصوفة من الرجال واطلق عليهن الشيخات أو الفقيرات(٤٠٧) . وقد نقد ابن الحاج سلوك المتصوفات ورفع أصواتهن بالذكر(٤٠٨) ، وكانت غالبيتهن من بين الارامل والمطلقات اللاتى اقمن فى الاربطة(٤٠٩) والخانقاوات لما اشتهرت به من شدة الضبط ، وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات تحت رئاسة شيخاتهن اللاتى حرصن على الباس الصوف لمن تتوب على أيديهن وادخالها فى طريقتهن مثلما يفعل مشايخ الصوفية من الرجال(٤١٠) .

وكان للخانقاوات والربط والزوايا دور سياسى واقتصادى مهم ، فقد اهتم السلاطين ببنائها ومعاونة من يقيم فيها من المتصوفة وذلك لتصبح ملجأ لاهل القاهرة من الطبقات الشعبية ، وللالهاء مثل

هذه الفئة ولفت أنظارها عن أحوالها الاقتصادية المتدهورة ، خاصة وانه كان لأهل التصوف مكانة مرموقة لدى الطبقات الشعبية اتخذت لها مظهرا من الطاعة والامتثال لما يأمرون به . كما استخدم السلاطين متصوفة هذه الخانقاوات في عزل الخلفاء والحد من نفوذهم اذا طمعوا في تولى السلطنة(٤١١) .

ولعل من الأسباب التى أدت الى اقبال الناس فى القاهرة على الخوانق وتهافتهم على سكناها ، الى جانب ازدياد الشعور الدينى ، كثرة ما أوقف عليها من أوقاف ، فيحدثنا المقريزى(٤١٢) من الامتيازات التي كان يحصل عليها ساكن الخانقاه فيقول « انه رتب للصوفية فى كل يوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة ارطال خبز وقطعة لحم زنتها ثلث رطل فى مرق ، ويعمل لهم الحلوى فى كل شهر ويفرق فيهم الصابون ، ويعطى كلا منهم فى السنة ثمن كسوة قدر اربعين درهما، ومن اراد السفر منهم يعطى تسفيره واذا مات احد الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء »(٤١٣) وكانت المتصوفة من أهل الخوانق والربط على عهد السلطان الظاهر برقوق يفطرون فى شهر رمضان على رطل لحم مطبوخ لكل واحد منهم ، ويفرق عليهم نحو مائة ألف درهم فضة على كل عشرين زاويه الى جانب خمسين رطلا من اللحم وعدة أرغفة(٤١٤).

كما كانت الخوانق مأوى لطوائف المريدين يقيمون فيها ليلهم ونهارهم ، كما اتخذت كذلك مأوى لأصحاب العاهات وكبار السن والعميان ، فضلا عن المطلقات من النساء(٤١٥) .

ومما يلاحظ أن المصادر المملوكية لا تكاد تروى فى عرضها لتمرد الطبقات الشعبية أن صداما حقيقيا قد وقع بين «الفقراء» من أهل الخوانق والربط والزوايا وسلاطين المماليك مما يوضح

امرين : الاول مدى هيبة الصوفية فى نفوس الطبقات الشعبية والتى تجاوزت هيبة العلماء والفقهاء وهو ما أشار اليه احد العلماء فى القرن السادس الهجرى بقوله : « ومن فرق الصوفية من ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء ، وكثيرا ما كان العوام يتركون أعمالهم ، ويلازمون هؤلاء أياما معدودة»(٤١٦) والأمر الثانى هو أن الأسباب التى قام عليها تمرد الطبقات الشعبية فى القاهرة لم تكن موجودة لدى هؤلاء الصوفية أساسا فى ظل الرعاية الاجتماعية لهم من جانب السلاطين ومن ثم كان من اليسير ان تستخدم هذه الفئة فى خدمة سلاطين المماليك لشغل الطبقات الشعبية عن مشكلات حياتهم اليومية والتحدث لهم عن الفضائل والقيم المعنوية ، فضلا عن نشر ما يدعون له فى ظل المجاعات والمظالم والأوبئة المستمرة(٤١٧) . وهكذا نجد ان السلطان والأمراء استطاعوا امتصاص تذمر الفقراء والمحتاجين الذين كانوا يشكلون خطرا كبيرا على حكمهم باقامة الخوانق والربط والزوايا .

هوامش الفصل الثانى

(١) تحولت الدولة الاسلامية من مجتمع عربى معتمد فى أساسه على التجارة لا الزراعة دون أن يعرف شيئا من الاقطاع ، وقد تطور الاقطاع فى عهد البويهيين واستقر كنظام حربى الى جانب كونه اقتصاديا فى عهد السلاجقة ، ويعتبر عصر سلاطين المماليك العصر الذى اكتملت فيه النظم الاقطاعية الحربية ، وقد اتسم المجتمع الاقطاعى المملوكى بتفاوت كبير بين الطبقة الحاكمة والطبقات المحكومة ، فنجد مظاهر البذخ على أوجها فى قصور السلاطين ، ويقابل هذا الثراء الفاحش الطبقات الشعبية من صغار التجار وأرباب الحرف كالخضار وغاسل الموتى والنطور وغيرهم الذين كانوا على النقيض من سابقيهم ، فيعتبر ثراء أولئك كان فقر هؤلاء ، بل لقد عمل سلاطين المماليك على أن يظل الفارق بينهم وبين الطبقات الشعبية ثابتا ، فكان يحرم بيع المماليك لأحد الطبقات الشعبية فاذا لم يلتزم هؤلاء بذلك تعرضوا للعقاب الصارم ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٩٢ ، خليل بن شاهين زبدة كشف الممالك ، ص ٢٤ ، ص ١٢٥ ، ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٥ ، ص ٦ ، ص ٦٢ ، احمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ٢٢١ ، ص ٢٣٢ .

(٢) Holt (P.M.) scenes of daily life From Mamluk miniatures, the eastern Mediterranean lanos in the period of the Crusades, worminster, England, 1977, P. 79.

Pollak (AN) : some notes on the Feudal system of the Mamluks, jras, 1937, P. 97 107, Poliak (N) . Feudalism in Egypt, Syria, Palestin, and the Lebanon, 1250 — 1900, the Royal

asiatic society, London, 1939, PP. 1 - 17, lane poole . history of Egypt P. 252 — 253.

(٣) محمد رجب النجار : الشعر الشعبي في عصور المماليك ، عالم الفكر ، م ١٤ ، العدد الأول ، ابريل مايو يونيو ، ١٩٨٣ ، ص ٢٠٦ .

(٤) Muir Sir William : The Mameluke or slave dynasty of Egypt, press, 1968, P. 4.

(٥) Sobernheim (M) : Mamluks, Encyclopaedia of Islam, Vol. 7. leiden 1987. P. 217.

سعيد عاشور : النشاط الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك في ضوء كتابات ابن اياس (٨٧٢ ــ ٩٢٢ هـ/١٤٦٨ ــ ١٥١٧ م) ، دراسات وبحوث التراث احمد عزت عبد الكريم ديسمبر ١٩٧٦ وللمؤلف نفسه أضواء جديدة على المؤرخ احمد بن على المقريزى وكتاباته ، مجلة عالم الفكر ، م (١٤) العدد الثاني ١٩٨٣ ، ص ٤٥٤ .

(٦) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties, P. 80.

(٧) انظر ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٤٤٢ .

(٨) انظر ص ١٢٧ من هذا الفصل وما بعدها .

(٩) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، من القسم الخاص بمصر طبعة ١٩٥٣ ، ص ٣١٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٨ ، ص ٨٣ ، ص ٨٤ ، جـ ٧ ، ص ٣٤٥ ، جـ ٩ ص ٢١٥ ، ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ٣٦٨ ، ص ٣٦٩ ، ص ٣٣٦ ، ص ٢٣٧ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ص ٣٦٤ ، جـ ٦ ، ص ٤٧ ، الشوكاني ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن التاسع طبعة ١٣٤٨ ، جـ ٢ ، ص ١٧١ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٤٣٤ ، عبد العليم القباني : مع الشعراء أصحاب الحرف ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤ ، احمد صادق الجمال : الأدب العامي في مصر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٩١ ، محمد زغلول سلام ، الأدب في العصر المملوكي القاهرة ١٩٧١ ، من ص ١٢٥ الى ص ١٥٠ .

(١٠) يقول الجزار عندما حل شهر رمضان وقد وقفه أملى (دكان الكنافة) :

ما رأت عيني الكنافة إلا   عند بياعها على الدكان
ولعمري ما عاينت مقلتي قطرا   سوى دمعها من الحرمان

وكم ليلة شبعت من الجوع ... مشاء اذا جئت بالحلوانى
حسرات يسوقها الطرف للقلب ... طويل التفكر عند الجيران

وهذه ابيات اختلطت فيها امانى الجياع بأحلام الفقراء :

قالوا تحب المشمش ... قلت بالمشلى
والبيض مشوى قديد ... قلت والمقلى

محمد رجب النجار : الشعر الشعبي فى عصور المماليك ، عالم الفكر ، ص ٢٠ .

(١١) انظر ص ١٤٠ وما بعدها ، ص ١٤٣ وما بعدها .

(١٢) علاء طه : العامة فى القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٨٦ .

(١٣) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٢٤٢ .

(١٤) المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٣١ .

(١٥) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٥ ، ص ١٧ .

(١٦) ابن اياس ، جـ ٤ ، ص ٢٤٣ .

(١٧) المصدر نفسه السابق والجزء ، ص ٤٨٥ .

(١٨) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (١) من ص ١٥٠ الى ص ١٥٣ .

(١٩) اطلق على بعض هذه الاموال اسم المشاهرة لأنها كانت تجبى منهم شهريا ، على حين اطلق على البعض الآخر اسم المجامعة لانها كانت تجبى منهم كل جمعة . قاسم عبده قاسم : اسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٤٢ ، ص ٤٥ .

(٢٠) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ ، ص ٣٢٨ .

(٢١) الزغل النقود المزيفة عامة ، ويسمى مزيفوها باسم الزغلية ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (١) حاشية (٤) ص ٢٠٥ .

(٢٢) النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب ، مخطوط مصور فى ٣٢ جزءا ، دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة ، جـ ٣١ ، ورقة (٢) .

(٢٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (١) ص ٢٠٥ ، ص ٢٠٦ .

(٢٤) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٠٥ ، ص ١٠٦ .

(٢٥) جماعة من الرجال الذين اصطنعهم هذا الوالى وجعل منهم عونا له على ما يريد من وسائل التجسس والمراقبة والتهديد . المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ٢٠١ .

(٢٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ٣٠١ .

(٢٧) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص ٣٧ ، ص ٣٨ .

(٢٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ص ٢١٠ .

(٢٩) انظر د/ احمد عبد الرازق احمد : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة) الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩ ، ص ٢٥ وما بعدها .

(٣٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٤ ق (١) ، ص ١١ ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ق (٢) ، ص ٧٤٣ .

(٣١) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٤٤ وما بعدها .

(٣٢) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٤٦ .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

(٣٤) Abd Al-Raziq (Ahmed) : Le vizirat et les vizirs D'Egypte au temps des Mamluks, Annales Islamologiques, T. XVI, 1980 PP. 235. 236.

ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٤) ، جـ ٣ ، ص ٢٢ ، محمد مصطفى : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ١٣٦ ، ص ١٣٧ .

(٣٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ .

(٣٦) المصدر السابق نفسه : جـ ٤ ، ص ٣٧٦ ، ص ٣٧٧ .

(٣٧) سيرة الظاهر بيبرس ، الطبعة الاولى خمســـــون جزءا ، مطبعة عبد الحميد حنفى بدون تاريخ م (١) ، جـ ٨ ، ص ٤٦٢ .

(٣٨) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٤ ، ص ٥٥ .

(٣٩) الشربينى : هز القحوف فى شرح قصيدة ابى شادوف ، دار الطباعة العامرة بولاق ١٢٧٤ هـ ، ص ١٦٨ ، حلمى سالم : اقتصاد مصر الداخلى وأنظمته فى العهد المملوكى ، الاسكندرية بدون تاريخ ، ص ٨٠ .

(٤٠) محمد محمود الجوهرى : شارع باب البحر منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثمانى ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة كلية الآثار ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٧ وما بعدها .

(٤١) بدايته من نهاية شارع سوق الخشب ونهايته شارع قنطرة الدكة ويقع به الجامع المشهور بجامع الشيخ محمد البحر ، على مبارك ، الخطط التوفيقية جـ ٣ ، ص ٧٧ .

(٤٢) هذا الباب هو أحد أبواب القاهرة الخارجية في سورها البحري الذي أنشأه صلاح الدين غربي الخليج المصري في المسافة التي بين الخليج وباب البحر بالقرب من الخليج . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١١ ، ص ٦٣ هامش (٣) .

ينقسم هذا الشارع الى قسمين شارع باب الشعرية الصغير ويبدأ من شارع الطنطلي بجوار قنطرة العدوي وينتهي بشارع باب الشعرية الكبير ، والذي يبدأ من أول شارع الشعراني وبداية شارع مرجوش ؛ علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، من ص ٧٥ الى ص ٧٧ .

(٤٣) يقع هذا الجامع بخط المقس خارج القاهرة ، أنشأه الشيخ المعتقد أحمد المعروف بالزاهد واكتمل بناؤه في عام ٨١٨ هـ/١٤١٥ م ، وكان الشيخ الزاهد هذا مشهورا بالخير ومن وعاظ الأزهر توفي في ٨١٩ هـ/١٤١٦ م ، المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٢٧ ، ص ٣٢٨ .

(٤٤) تقع بخط المقس بالقرب من باب البحر ، وقد عرفت باسم مسعود ابن محمد بن سالم العياط لسكنه بالقرب منها ، وهناك من يرجع سبب هذه التسمية الى أنه طرح ناظر الخاص أيام الناصر محمد بن قلاوون على أهل هذه السويقة كمية من عسل القصب والزيت بدفع عشرين درهما نظير كل قنطار ، فوقفوا بين يدي الناصر محمد بن قلاوون ووصل بهم الأمر الى أن عيطوا لقبول رجائهم بإعفائهم من هذا الالتزام فسميت هذه السويقة بعد ذلك باسم سويقة العياطين : المقريزي ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٠٣ .

(٤٥) المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٤٦ وما بعدها .

(٤٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٤٢٠ ، جـ ٥ ، ص ٢٨ .

(٤٧) هو منطاش الأشرفي نسبة الى الأشرف شعبان بن حسين كان اسمه تمربغا ، تنقل في المناصب الى أن ولاه برقوق نيابة السلطنة بملطية في عام ٧٨٨ هـ/ ١٣٨٦ م فجمع كثيرا من التركمان وأظهر العصيان ضد برقوق ، فلما علم برقوق بذلك جهز اليه عسكر ، فاضطر الى الفرار ، واتفق أن يلبغا الناصري عصى برقوق واستولى على المملكة وأعاد السلطان زين الدين حاجي واستقر منطاش أميرا كبيرا ، ثم استولى منطاش على المملكة ، وعندما علم بقدوم برقوق جهز له جيشا ولكن برقوق هزمه واستولى على السلطنة وقبض على منطاش وقتل في عام ٧٩٥ هـ/ ١٣٩٦ م ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ١ ، من ص ٣٦٤ الى ص ٣٦٦ .

(٤٨) يلبغا الناصرى سيف الدين من أتباع يلبغا الكبير الناصرى نسبه كنسبه ، وكان مشهورا بشجاعته وحكمته : وحينما تسلطن برقوق عزله من امرة حلب ، ثم افرج عنه واعيد الى امرة حلب ، وفى هذه المرة اصطدم بمنطاش ، ثم عصى يلبغا برقوق فجهز له عسكرا ولكن الناصرى هزمهم ووصل القاهرة واعاد حاجى الى السلطنة وارسل برقوق الى سجن الكرك الى أن تخلص برقوق من سجنه وجهز جيشا هزم منطاش ، واستولى على السلطنة مرة ثانية ففرح الناس بعودته ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٤ ، من ص ٤٤٠ الى ص ٤٤٢ .

(٤٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ٤٢٠ ، ج ٥ ، ص ٢٨

(٥٠) ترتبط وظيفة المحتسب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومراعاة الآداب العامة والاشراف على الأسواق، ويعتقد أنها امتداد لوظيفة Agoranomos فى الدولة البيزنطية . وظهرت وظيفة الحسبة فى القرون الأولى للعصر الاسلامى ، وقد تأخر ظهورها فى مصر الى القرن ٦ هـ/١٢ م وربما يرجع السبب فى ذلك أن مهام المحتسب كانت من اختصاص القاضى ، ويبدو أنها لم تكن موجودة فى عهد الطولونيين ولم تكن مستقرة فى عهد الاخشيديين والفاطميين . وأصبحت نظاما ثابتا ومنظما فى العصر المملوكى الأول ، ومع ازدياد الرشوة والبذل والبرطلة فى العصر الثانى تضاءلت مكانة هذه الوظيفة وأصبح الحصول على هذا المنصب مرتبطا بدفع مبالغ مالية محدودة وذلك فى عام ٧٧٦ هـ/١٣٧٧ م ، ومن هنا تولى هذا المنصب غير الأكفاء القادرين على دفع الأعباء المالية لهذه الوظيفة وقد كان العجز من الوفاء بهذه الأعباء المالية كفيلا بعزل المحتسب من منصبه ، ومن أشهر الأمثلة على ذلك حالة شمس الدين أحمد بن العجمى الذى عين فى هذا المنصب عام ٨١٥ هـ/١٤١٢ م بعد أن دفع للسلطان ألف دينار ولما عجز عن الدفع خلع من منصب الحسبة واضطر الى بيع أملاكه لدفعها عليه وبالتالى يفلت من العقوبة .
Ahmed Abd Al-Raziq : La Hisba le Muhtasib en Egypte au temps des Mamluks, annales islamologiques, TXIII, 1977. PP. 116, 118 126.

(٥١) انظر ص ٩٩ من هذا الفصل .

(٥٢) المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٤٤ .

(٥٣) ابن الحاج : المدخل ، ج ٤ ، ص ١٧٢ وما بعدها .

(٥٤) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٢٣ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٦٦ ، حلمى سالم : اقتصاد مصر الداخلى ، ص ٨٢ .

(٥٥) وكانوا يصون مع رقصهم انظر الفصل الثالث ص ٢٠٦ هامش (٢) .

(٥٦) ابن الحاج . المدخل ، حـ ٢ ، ص ١٧٣ ، ص ١٧٤ .

(٥٧) الكماج جمع كماجة ، وهي كلمة فارسية الأصل ومعناها الخبز شديد البياض ، المقريزى السلوك ، حـ ٢ ، ق (١) ، ص ١٩٦ ، هامش (٤) .

(٥٨) المقريزى : الخطط ، حـ١ ، ص ٤٥ .

(٥٩) آرثر كرول : المسابقات والصناع ، ترجمة موسى حمدى ، ط ١ ١٩٢٧ ، ص ٤٢ .

(٦٠) علاء طه رزق : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٤١ .

(٦١) المقريزى ، الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٧٣ .

(٦٢) محمود الجوهرى ، شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٤١ .

(٦٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ ٢ ، ص ٤-١ ، علاء طه ، عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير ، ص ٤١ .

(٦٤) محمود الجوهرى ، شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٢٨ وما بعدها .

(٦٥) ابن الحاج ، المدخل ، حـ ٤ ، ص ١٩٠ .

(٦٦) وقد وضح ابن الحاج ذلك بقوله « او يقدمون على عمله بمشقة تصدمهم في محاولته » المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٦٧) Wiet (G) . Les Mosques du Caire, 1932, P. 78.
Dopp : Op. Cit., P. 108.

المقريزى الخطط ، حـ ١ ، ص ٥٠ ليو الافريقي ، وصف افريقيا ، ص ٥٩٢ ، جاستون فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ٨-١ .

(٦٨) Wiet : Op. Cit., P. 78.

ليو الافريقي ، وصف افريقيا ، ص ٥٩٢ .

(٦٩) سعيد محمد مصيلحي : أدوات وأواني المطبخ المعدنية في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة كلية الآثار ، ١٩٨٣ ، ص ٢ ، ص ١٧٠ .

(٧٠) كما يفهم من ابن الاخوة انها كانت عبارة من السجق الذي يصنع من لحم الضأن ، ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٥٨ وما بعدها ، والنقانق مصارين المحشوة باللحم والتوابل والبصل . الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٢٨ .

(٧١) القبوقيين الذين يقومون بطهي الكبدة وبيعها للناس ، ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٥٩ .

(٧٢) البوارديين انظر الفصل الاول ، ص ٣٢ هامش (٧) .

(٧٣) الباز العريني : الحسبة والمحتسبون في مصر ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد (٣) عدد (٢) اكتوبر ١٩٥٠م ، ص ١٦٤ ، أما فيما يختص بمحتسب الفسطاط فقد كان يخضع لاشراف الخزانة العلية وكان نفوذه يمتد الى الناحية الشمالية في صعيد مصر ، ولا نجد معلومات تتصل بوظيفة محتسب الفسطاط فيما بعد عام ٨٤٢ هـ/١٤٤٠ م .

Ahmed Abd Al-Raziq . les Muhtasibs de Fustat au temps des Mamluks. annales islamologiques, XIV, 1978 P. 127.

(٧٤) وهي الجزاره ، ابن الحاج ، المدخل ، جـ ٤ ، ص ١٨٢ .

(٧٥) المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة .

(٧٦) كان يعين من قبل المحتسب لمعاونته في الاشراف على شئون مختلف الحرف والصناعات بشرط أن يكون ماهرا في حرفته بصيرا بوسائل الغش والتدليس مشهورا بالثقة والامانة ، ويقوم بملاحظة المحتسب علما بما يرد للسوق من السلع والبضائع الى جانب ما يطرأ على الاسعار من تغير أو ارتفاعا أو هبوطا . الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ١٢ .

(٧٧) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٦١ ، ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٣٤ ، السبكي : معيد النعم ، ص ١٤٢ وما بعدها .

(٧٨)بييت : القاهرة مدينة الفن ، ص ١٠٨ .

(٧٩) محمود الحويري : شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٥٣ .

(٨٠) اي القوالين ويفهم من كلام ابن بسام ان الناقلانيين هم العلافون . ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٥١ .

(٨١) المصدر نفسه والصفحة .

(٨٢) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٥٢ .

(٨٣) من يقومون ببيع الاكارع جمع لاكرع وكراع ، وهو الجزء المستدق العاري من اللحم من ساق البقر والغنم ، الشيزري : نهاية الرتبه ، ص ١٧٢ .

(٨٤) انظر الفصل الاول ص ٣٦ .

(٨٥) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٦١ .

(٨٦) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨١ وما بعدها .

(٨٧) القاهرية صنف من الحلوى يدخل فى صناعتها اللوز والعسل . ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٤٧ هامش (٤) .

(٨٨) القند لفظ فارسى معرب ، وهو عسل قصب السكر . الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٤١ هامش (٤) .

(٨٩) الخبايص جمع خبيصة ، وهى الحلوى التى تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز أو الشيرج ، ثم يضاف اليها بعد الطبخ شىء من السكر والعسل ، وترفع عن النار لتجمد . الشيزرى ، نهاية الرتبة ص ٤١ هامش (٤)

(٩٠) الصابونية نوع من الحلوى تصنع من الدقيق الذى يحمص بالسمن ، ثم يضاف اليها السكر واللبن ويعمل منه قوالب مثل الصابون . ابن الأخوة معالم القربة ، ص ١٨١ هامش (٣) .

(٩١) المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٩٢) المصدر السابق ، ص ١٨١ وما بعدها .

(٩٣) ابن اياس : بدائع الزهور : جـ ٣ ، ص ١٨٦ حوادث ٨٨٦ هـ .

(٩٤) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٤ ، ص ١٩٣ .

(٩٥) المزود شرابى وهو صانع الأشربة ، الشيزرى ، نهاية الرتبة ص ٥٦ .

(٩٦) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ١٨٦ هامش ٨ ، ٢ ، ١٤ ، ص ١٨٨ هامش (٥) (٦) (٧) .

(٩٧) حلمى سالم : حرف وصناعات الأطعمة والاشربة فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراه ، ص ١٥٠

(٩٨) ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، المطبعة العامرة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م ، جـ ٣ ، ص ١٦٤ ، ص ١٦٥ .

وقد تكلم أبو صالح الأرمنى عن طمى أسوان الذى يصنع منه بعض الأكواب للمشروب الذى عرف باسم القاع

Abu — Saleh : Op. Cit., P. 66.

راشد البراوى : اقتصاد مصر ، ص ١٦٧ .

(٩٩) الجوارشيات : هي الأدوية الهاضمة للطعام والتي لها فائدة للمعدة ، ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٩٢ هامش ١١ ، وهذه الكلمة فارسية الأصل كوارش وعربت الى جوارش وهو نوع من الحلوى يصنع من السكر ، وعند الأطباء نوع من الأدوية ، السيد أدى شير ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٤٠ .

(١٠٠) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٤ ، ص ١٤٥ وما بعدها .

(١٠١) محمد محمود : شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٥٤ .

(١٠٢) المرجع السابق نفسه والصفحة .

(١٠٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ .

(١٠٤) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٤ ، من ص ١٩٤ الى ص ١٩٦ .

(١٠٥) محمد محمود : شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٤٨ ، انظر نظام طوائف الحرف ص ١١٠ من هذا الفصل وما بعدها .

(١٠٦) قاسم عبده : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، ص ١٢٩ .

(١٠٧) السبكي: معيد النعم ، ص ١٣٤ ، علاء طه ، عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٤٥ .

(١٠٨) سيرة الظاهر بيبرس : م (١) جـ ٧ ، ص ٣٦٠ .

(١٠٩) المرجع السابق م (١) جـ ٦ ، ص ٣٧٨ ، علاء طه ، عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٤٥ .

(١١٠) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٤٢ .

(١١١) المأبونون الذين هم دون مراهقة البلوغ . ابن الحاج : المدخل ، جـ ٤ ، ص ١٠٦ وما بعدها .

(١١٢) ابن الحاج : المدخل جـ ٤ ، ص ١٠٦ ، ص ١٠٧ .

(١١٣) محمد محمود : شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٥٩ .

(١١٤) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧ ، ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٥٨ .

(١١٥) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٥٨ .

(١١٦) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٢٨ .

(١١٧) الأبارين جمع أبارى نسبة الى عمل الإبر . ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٢٠٠ هامش (٢) .

(١١٨) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٢٨ .

(١١٩) الزرمان لفظ فارسى الأصل (زرم آهن) ومعناه الحديد المطاوع ، المصدر السابق نفسه والصفحة .

(١٢٠) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٢٠٠ .

(١٢١) سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص ٣٦٦ ، ص ٤٠١ ، ص ٤٠٢ .

(١٢٢) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٣١ .

(١٢٣) المصدر نفسه والصفحة .

(١٢٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ .

(١٢٥) Lane (EW) : an account of the Manners and Customs of the Modern Egyption, London, 1871 Vol. II, P. 27.

(١٢٦) محمد عبد الستار عثمان : أسبلة القاهرة المملوكية ، القاهرة ١٩٨٧ ، المتحف العربى نشرة فصلية تصدر بالتعاون المتحف والآثار ، العدد الثالث ، ص ٨٦ .

(١٢٧) وحيد محمود : شارع باب البحر ، رسالة ماجستير ، ص ١٥٦ .

(١٢٨) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٢٤٩ ، الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١١٧ ، ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٢٥ .

(١٢٩) ابن الحاج ، المدخل ، ج ٤ ، ص ١٧٧ .

(١٣٠) ليو الافريقى : وصف أفريقيا ، ص ٦٩٢ .

(١٣١) الفلس : وجمعه فلوس ، عملة صغيرة وكانت فى القاهرة على نوعين أحدهما المطبوع بالسكة وثانيهما غير المطبوع ، وكان النوع الثانى عبارة عن قطع مكسرة من النحاس الأحمر او الأصفر ويعبر عنها بالعتق ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٣ ، ص ٤٤٤ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٤٢٨ .

(١٣٢) ليو الافريقى : وصف أفريقيا ، ص ٦٩٢ .

(١٣٣) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٢٥ ، ابن الاخوة : معالم القربة ، ص ٢٤٨ .

(١٣٤) ابن الحاج : المدخل ، ج٤ ، ص ١٤٢ .

(١٣٥) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، ص ١٢١ .

(١٣٦) ويت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ٩٧ .

(١٣٧) عبد الرحمن زكي : الأسبلة الأثرية في جبانة القاهرة ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الثاني ١٩٧٧ ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ .

(١٣٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٩٠ ، ص ٩١ .

(١٣٩) Lane-Poole : the Mohammadan Dynasties, P. 83.

(١٤٠) احمد عبد الرازق : الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٢٠٠ .

(١٤١) المزملة هي القدر من الفخار تكسى أو تلف أو تزول بالقماش المبلول لحفظ الماء دون عفن . مصطفى نجيب : المزملة كمورد لمياه الشرب منشآت القاهرة في العصر المملوكى ، مجلة كلية الآثار ، العدد الثاني ١٩٧٧ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٢ .

(١٤٢) المرجع السابق نفسه والصفحة .

(١٤٣) عبد الستار عثمان : اسبلة القاهرة المملوكية ، ص ٨٨ ، ص ٨٩ .

(١٤٤) الملب ضرب من الشجر يتبت متجليبا ويطول ويأخذ ويصل لم يشتق فتخرج معه مشاقة بيضاء كالليف واحيته سلبه وهو من أجود ما يتخذ منه الحبال . وقيل السلب ليف المقل وهو شجر معروف باليمن . ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٤٥٦ ، ابراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، جـ ١ ، ص ٤٤١

(١٤٥) سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ٩١ ، عبد الرحمن زكى : الأسبلة الأثرية ، ص ٥٩ .

(١٤٦) السبكي : معيد النعم ، ص ١٣٧ ، الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٨٨ ، احمد رمضان ، المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١١٧ .

(١٤٧) ابن الإخوة : معالم القربة ، ص ٢٣٢ ، ابن بسام : نهاية الرتبة ص ١٣٠ ، السبكي : معيد النعم ، ص ١٣٦ ، ص ١٣٧ ، الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٣٧ .

(١٤٨) انظر ص ١٢٤ من هذا الفصل وما بعدها .

(١٤٩) ابراهيم حماده : خيال الظل ، من ص ٢٠٥ الى ص ٢٠٧ .

(١٥٠) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨ .

(١٥١) احمد امين : قاموس العادات والتعابير المصرية ١٩٥٣ ، ص ٣٢١ .

(١٥٢) شابرول : دراسة فى عادات سكان مصر المحدثين : ترجمة زهير الشايب ، ط (١) ١٩٧٦ ص ١٢٧ .

(١٥٣) السبكي : معيد النعم ، ص ١٤٠ .

(١٥٤) خالف السبكي هذا الرأي بقوله « وأما ما تضعه المكارية من الجلاجل في رقاب الحمير فانه مكروه » : المصدر السابق نفسه ، ص ١٤١ .

(١٥٥) العراص : جمع عرصة ، وهي المكان الواسع الذي لا بناء فيه ، الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ١٣ ، هامش (٦) .

(١٥٦) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٦٥ ، الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ١١٧ ، ص ١١٨ .

(١٥٧) السبكي : معيد النعم ، ص ١٤٥ .

(١٥٨) المقريزي : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ ، هامش (١) ، سعيد عاشور العصر المماليكي ، ص ٤٤٤ .

(١٥٩) المصدر نفسه والصفحة ، كان الشيخ علي الخواص (شيخا صوفيا جليلا) يعظم أرباب الحرف النافعة في المجتمع كالسقاء والزبال والطباخ والفخراني والحلوانيين بالبضائع على رؤوسهم ، عبد الوهاب الشعراني : الطبقات الكبرى ، بدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ ، ص ١٣٦ .

(١٦٠) السبكي : معيد النعم ، ص ١٤٦ .

(١٦١) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ١١٢ ، ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٧٩ .

(١٦٢) الأضراء : جمع ضرير ، وهو الأعمى ، الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ١١٢ ، هامش (٣) .

(١٦٣) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ١٦٦ .

(١٦٤) ابن تغري بردي : النجوم ، طبعة ١٩٧١ ، جـ ١٥ ، ص ٩٣ ، ص ٩٤ .

(١٦٥) ابن الزيات : الكواكب السيارة ، ص ٣٢ .

(١٦٦) Abd Al-Raziq Ahmed : la femme au temps des Mamlouks, en Egypte, le Caire, 1973. P. 62.

(١٦٧) Lane (EW) Op. Cit., P. 509.

أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٢٥ ،

(١٦٨) Abd Al-Raziq : Op. Cit., P. 62.

Lane (EW) Op. Cit., P. 509.

(١٦٩) إبراهيم حمادة : خيال الظل ، ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ .

أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٣٢ .

Abd AlRaziq : Op. Cit., P. 80.

(١٧١) عن البلانات انظر أحمد أمين : قاموس العادات ، ص ٩٥ .

(١٧٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٨٧ .

(١٧٣) Abd Al-Raziq : Op. Cit., P. 82.

احمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٢٤ .

(١٧٤) Abd Al-Raziq : Op. Cit., PP 76. 77.

(١٧٥) ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ١٧٤ ، ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ .
Abd Al-Raziq : Op. Cit., 83.

(١٧٦) حسين ريحان : طوائف الحرفيين ، رسالة دكتوراه ، ص ٢١٧ وما بعدها .

(١٧٧) حرمت الشريعة الاسلامية الزنا وعاربته ، وبينت حدوده ودليل ذلك قوله تعالى : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » سورة الاسراء آية (٣٢) ففى هذه الاية يحرم للزنا لانه اثم كبير ويؤدى الى اختلاط الانساب . ابو عبد الله الانصارى القرطبى : الجامع لاحكام القرآن : القاهرة ١٩٦٧ م ، ج ١٠ ، ص ٢٥٢ الى ص ٢٥٤ ، انظر أيضا سورة النور آية (٢) وتفسيرها ج ١٢ ، ص ١٥٨ الى ص ١٦٧ ، وسورة الفرقان آية (٦٨) وتفسيرها ، ج ١٣ ، ص ٧٦ من القرطبى أيضا . وعن موقف الدولة المملوكية من البغاء فقد اباحه بعض السلاطين والبعض الآخر حرمه ودليلنا على ذلك فى عام ٦٦٥ هـ/١٢٦٦ م حين أمر بيبرس باراقة الخمور ومنع البغاء فى القاهرة . محمد بن محمد بن بهادر : فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر ، القرن التاسع ، تاريخ النسخ ٨٨٧ هـ بخط المؤلف ينتهى الى ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ولم تكمل حوادث هذه السنة ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٣٢٩ ، ورقة ١٠٨ ، وفى عام ٩١٠ هـ/١٥٠٤ م امر السلطان الغورى باراقة الخمور وحرق أماكن الحشيش ومنع البغاء . ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٧٦ ، ص ٧٧ ، وفى عام ٩٢٥ هـ/١٥١٩ م توقف النيل فأمر السلطان الغورى بابطال المحرمات من الخمور والبغاء ، وقبض على امرأة تسمى انس كانت تدير منزلها للبغاء وكان عليها مبلغ مقرر تورده كل شهر للوالى فأمر السلطان باغراقها فى النيل . ابن اياس بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .

(١٧٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٧٧ ، احمد عبد الرازق : المرأة زمن المماليك ، ص ٣٥ ، ص ٣٦ .

(١٧٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٧ .

(١٨٠) ابن ايلس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١١٨ .

(١٨١) انظر ص ٨٠ من هذا الفصل وما بعدها .

(١٨٢) انظر فرج عبد القادر طه ، نجيه اسحق عبد الله : سيكولوجية البغاء دراسة ميدانية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٤٦.

(١٨٣) حسين رمضان : طوائف الحرفيين ، رسالة دكتوراه ، ص ٤ .

(١٨٤) عبد العزيز الدورى : نشوء الأصناف والحرف فى الاسلام ، مجلة كلية الاداب جامعة بغداد ، العدد الأول ١٩٥٩ م ، ص ١٤١ .

(١٨٥) حسين رمضان : طوائف الحرفيين ، رسالة دكتوراه ، ص ٦ .

(١٨٦) ينفى Lapidus وجود النقابات فيذكر أن غياب دور النقابات والتنظيمات المهنية كان له اثره فى انشطة التجار والصناع .

Lapidus : the grain Economy of Mamluk Egypt, Journal of the Economic and Social History of the orient, Leiden 1969, P. 2

وقد اطلق البعض على الاصناف والطوائف لفظة نقابة مثل برنارد لويس فى بادىء الامر ثم عاد وسحب كلامه فى عام ١٩٦٨ م . وقد اشارت سيرة الظاهر بيبرس الى وجود نظام طوائف للحرف . سيرة الظاهر بيبرس ، م (١) جـ ٣ ، ص ٤٩٩ .

(١٨٧) المقريزى :اغاثة الأمة ، ص ١٨ .

(١٨٨) برنارد لويس :النقابات الاسلامية ، ترجمة عبد العزيز الدورى ، مجلة الرسالة الاعداد ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ١٩٤٠ ، ص ٧٣٥ ، ماسينيون : دائرة المعارف الاسلامية ، م (١٢) دار الفكر ، بدون تاريخ ، مادة صنف ، ص ٤٢٥، ويؤيد هذا الرأى ((كوردلفسكى) فيرى تأثير الطوائف بالنفوذ الاسماعيلى وخاصة خلال الآراء والبدع التى لا توافق قواعد الاسلام عند الأخوة ويرجع ذلك الى اخوان الصـــــفا .

اما (كوبرولو ا) فيرجع الى ابعد من ذلك فيقول ان الاخوة متطرفون ملحدون والهم من طراز القرامطة ا لتسمم فينفى اى أثر اسماعيلى فى حركة الاخوة ويعتبرها سنية قبل أى شىء . عن الدكتور أحمد رمضان .

(١٨٩) برنارد لويس : النقابات الاسلامية ، مجلة الرسالة ، عدد ٣٥٧ ، ص ٧٨٦ .

(١٩٠) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، ص ١١٢ ؛ والأبيار هم جماعة أحتفلت العرف بحسب تقاليدهم والفروع هم الحماة الثائرون للتعصب المتطفة لأصحاب الحرفة الواحدة ، برنارد لويس : النقابات الاسلامية ، مجلة الرسالة ، ص ٧٨٦ .

(١٩١) برنارد لويس ، النقابات الاسلامية، ص ٧٨٦ ، ص ٧٨٧ .

(١٩٢) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، ص ١١٣ ، الجوزى : نشوء الأصناف ، ص ١٤٦ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١ / ص ١٠٠ ، برنارد : النقابات الاسلامية ، ص ٧٨٧ .

(١٩٣) تقع هذه القيسارية بجوار سوق الوراقين . أنشأها الأمير طشتمر في عام ٧٣٠ هـ/١٣٢٩ م وكان يعلوها عدة رباع سكنها صناع الأزرار ، المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(١٩٤) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .

(١٩٥) الجوزى : نشوء الأصناف ، ص ١٤٦ .

(١٩٦) برنارد لويس : النقابات الاسلامية ، ص ٧٨٧ ؛ أحمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، ص ١١٣ .

(١٩٧) حلمي سالم : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة ، رسالة دكتوراة ، ص ٢٢ .

(١٩٨) منصور القلماوي : ألف ليلة وليلة ، طبعة دار المعارف ١٩٦٦ ، ص ٢٣٧ ، ماسنيون : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة صنف ، م ١٤ ص ٢٥١ ؛ حسنين مخلوف : دراسة لبعض الصناع والفنانين بمصر في عصر المماليك ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، العدد (١) ١٩٧٩ ، ص ٣٥٥ ، سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص ٣٨٤ ؛ جمال محمود مرسي : المنسوجات العربية في مصر المملوكية رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٣٩ .

(١٩٩) ليو الافريقي : وصف أفريقيا ، ص ٥٩٣ .

(٢٠٠) حلمي سالم : حرف صناعات الأطعمة ، رسالة دكتوراة ، ص ١٤ .

(٢٠١) هم كبار معلمي الطائفة الذين كانوا يعاونون الشيخ في ادارة شئون الطائفة : المرجع السابق نفسه والصفحة .

(٢٠٢) ماسينيون : دائرة المعارف الاسلامية ، م ١٣ ، مادة شد ، ص ١٨٠ .

(٢٠٣) H.A.R. Gibb and J. Hkramers : Shorter Encycl-opaedia of Islam London, 1958, P. 598.

(٢٠٤) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١ ، ص ١٠١ .

(٢٠٥) ماسينيون : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة شد ، ص ١٨٠ .

(٢٠٦) النويرى : نشوء الأصناف والحرف ، ص ١٤٢ .

(٢٠٧) أحمد صادق : تاريخ مصر الاجتماعى — الاقتصادى ، ص ٤٧٢ ، ص ٤٧٣ .

(٢٠٨) حسين رمضان : طوائف الحرفيين ، رسالة دكتوراه ، ص ٢٠٢ .

(٢٠٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٤٣٠ .

(٢١٠) برنارد لويس : التنظيمات الاسلامية ، ص ٩٧٥ ، أحمد رمضان ، المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١١٤ .

(٢١١) آمال العمرى : المنشآت التجارية ، رسالة دكتوراه ، ص ١٨ ، سعيد عاشور ، الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٣٥١ .

(٢١٢) عمر رضا كحالة : دراسات اجتماعية فى العصور الوسطى ، دمشق ١٩٧٣ ، ص ١٢٢ ، ص ١٢٤ ، ص ١٣٤ .

(٢١٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ الى ص ١٦٨ ، وللدكتور قاسم أيضا انظر أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك ، مكتبة سعيد رأفت القاهرة ١٩٧٨ م ، انظر دراستنا عن الأسواق الفصل الأول من ص ٣٠ الى ص ٤٨ ، انظر كذلك قاسم عبده : الأسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلدان السادس والثلاثون والسابع والثلاثون ، جـ ١ ، جـ ٢ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، القاهرة ١٩٨١ م .

(٢١٤) رضا كحالة : دراسات اجتماعية ، ص ١٣٤ .

(٢١٥) سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٢٩٧ ، ص ٢٩٨ .

(٢١٦) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١٠٧ ، وعن عرض القراءات انظر ص ٨٢ وما بعدها من هذا الفصل .

(٢١٧) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠٥ .

(٢١٨) المصدر السابق نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٦ .

(٢١٩) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٧٦ .

(٢٢٠) انظر الفصل الأول ص ٣٥ هامش (٤) .

(٢٢١) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥٧ .

(٢٢٢) انظرالفصل الأول ص ٣٥ هامش (٣) .

(٢٢٣) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٣٥٦ .

(٢٢٤) وفى ذلك قال بعض الشعراء :

كان بها (يقصد بركة الرطلى) للقلندرى حلاوة

بشبكها يشفى من المسك والعطر

وكان بها الفكاه بمسمى مركب | بقوخ ورمان يشتر بالقشر
وكان بها الجبال بثلى بمركب | فيجمع بين النار والماء فى البحر
وكان بها للاكلين طلاقة | بها عطش تسقى من الغيث بالقطر

ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ .

(٢٢٥) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ١٠١ .

(٢٢٦) ابو الافريقى : وصف أفريقيا ص ٥٩٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ ، بيت القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ٩٧ ، ص ٩٨ .

(٢٢٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٣٣٣ .

(٢٢٨) انظر الفصل الأول ص ٤٧ هامش (٨) .

(٢٢٩) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥١ ، ص ١٠٢ ،

Wiet (G.) Op. Cit., P. 78.

(٢٣٠) ابن الصيرفى : ابناء العصر ، ص ١٢٥ ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ .

(٢٣١) البزازون : مفردها بزاز وهم بائعو الثياب ، الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٦١ ، هامش (١) .

(٢٣٢) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٤ ، ص ٢٨ .

(٢٣٣) ابن الاخوة : معالم القربة ص ٢١٦ .

(٢٣٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٦١ .

(٢٣٥) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٤ ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٢٣٦) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٨٠ ؛ وعن العقوبة التي يوقعها المحتسب على المخالف انظر ص ٩٩ من هذا الفصل .

(٢٣٧) ابن الصيرفي : ابناء العصر ، ص ٢٩٨ ، ص ٢٩٩ ، ص ٣٠٠ .

(٢٣٨) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٤ ، ص ٩٩ ، ص ١٠٠ .

(٢٣٩) Wiet (G) . Op. Cit., P. 76.

(٢٤٠) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٣٦٤ وما بعدها ، ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، ص ٣١٦ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ ، ص ٢٩٩ ، ابن تغري بردي : النجوم ، جـ ٧ ، ص ٣٤٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٧ ، أحمد صادق الجمال : الأدب العامي في مصر ، ص ١٩٠ ، ص ١٩٢ ، عبد العليم القباني : مع الشعراء لمحترفي الحرف ، ص ٤ ، ص ٦ ، مكتبة د. محمد زغلول سلام : الأدب في العصر المملوكي ، ص ١٤٥ ، ص ١٣٦ .

(٢٤١) أحمد صادق : الأدب العامي ، ص ١٩٢ ، عبد العليم القباني : مع الشعراء ، ص ٤ — ص ٦ .

(٢٤٢) ابن شاكر : فوات الوفيات ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ ، ص ٢٩٩ ، أحمد صادق : الشعر العامي ، ص ١٩٧ ومن شعر أبي الحسين الجزار أيضا :

نقلت لقلبي ما يجنيك من كسر ... وعلمت جسمي بالضنافة الخصر

وفاخرت دمعي فوق خدي كأنه ... ثقيلة لا تحتاج منه مبتسم الثغر

خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ، صلاح الدين ، كتاب تشنيف السمع في انسكاب الدمع ٦٩٦ هـ - ٧٦٤ ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ أدب ميكروفيلم ١٠٦٢٢ .

(٢٤٣) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٧ .

(٢٤٤) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٣١٦ ، القباني مع الشعراء لمحترفي الحرف من ص ٤١ الى ص ٤٥ ، أحمد صادق ، الأدب العامي ، ص ١٩٢ .

ومن شعر أبي حسين الجزار في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام :

امام الورى المبعوث من آل هاشم ... لنا وارتضى الله دينه دينا

اذا نظرت عيناي تربة احمد ... فمستشفى منها العليل شفا

وعــاني اشـــتياقي للنبي محمد ... فلبلة إذا دعـتـاني علي بعـــد
هواي من دا الجوى لتم صـــبرة ... عس لي لو قصرت في تربة خـــدق
زيارة قبر المصـــطفى غـاية المنى ... لو لتي بهـــا عل الملك المـــوز

ابو الحسن الجزار : فاكهة الناحمة والبسامة الرائجة ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١١٤٦ ، شعر تيمور ميكروفيلم ٩-٢٤ ورقة ٤ ، ٨ ، ١١ .

(٢٤٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ٨٣ ، ص ٨٤ ، الوراق هو الذى يقوم بصناعة الورق ، ويعده للكتابة و يؤلف منه كراريس ليجمع منها كتبا ، ثم يبيعها للناس منسوخة أو غير منسوخة ، العبقى : مع الشعراء أصحاب الحرف ، ص ٦٧ .

(٢٤٦) العبقى : مع الشعراء ، أصحاب الحرف ، من ص ٧٤ الى ص ٧٦ .
(٢٤٧) ابن شاكر : فوات الوفيات ، جـ ٢ ، ص ٣٦ .
ومن شعر السراج الوراق أيضا بقوله :

علبا وقفنـــا للوداع عشـــية ... تعلق حتى دمع عيني وعينهـــا
فليت الهوى يُبقي لدمع تهيـــــة ... ليبكي لها من بعـــد عـــزة ريعها

الصفدى : تشنيف السمع ، الباب الثامن والعشرون مخطوط .

(٢٤٨) هو شمس الدين محمد بن دانيال ولد بالموصل في عام ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م ، وحفظ القرآن وبعض الحديث والتفسير وتدرب على الادب والكتابة . وهاجر ابن دانيال من الموصل بعد أن احتلها المغول وذلك في عام ٦٦٥ هـ/١٢٦٦ م الى القاهرة واستقر بها حيث أكمل فيها دراسة الطب الذى كان يحقق منه وجوده المادى ، وكانت نفسه نزاعة الى الادب فتخرج على ادبائهم وشعرائهم . وقد نبغ ابن دانيال كشاعر ساخر ومؤلف للتمثيليات الهزلية ، ورغم مجونه وخلاعته اشتهر باسم الحكيم لأنه كان طبيبا ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ، ابن اياس بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ٣٤ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٤٣٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٦ ، ص ٢٧ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، الحج صادق ، الادب العامى ، ص ٢٠ ، ص ٤١ ، والكحالون هم أسلاف اطباء العيون ، وكانوا يجمعون بين تحضير الدواء والمداواة به ، وكان الكحل هو أغلب الدواء عندهم ، يحضرون مفرداته ويدقونها دقا ناعما ويكحلون به العيون المصابة بالرمد ، ابراهيم عبالة : خيال الظل ، ص ٩٢ ، العبقى : مع الشعراء أصحاب الحرف ، ص ٨٢ .

(٢٤٩) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥ : ابن شاكر : جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٢ ، ص ٤٣٤ .

(٢٥٠) الشوكانى : البدر الطالع ، جـ ٢ ، ص ١٧١ ، ابن تغرى بردى : النجوم : جـ ٩ ، ص ٢١٥ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٢ ، ص ٤٣١ .

(٢٥١) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٩ ، ص ٢١٥ ، الشوكانى : البدر الطالع : جـ ٢ ، ص ١٧١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٦ ، ص ٣٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٢ ، ص ٤٣١ ، ابن شاكر : فوات ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، انظر الفصل الخامس « العادات والتقاليد » .

(٢٥٢) بيبرس المنصورى : التحفة الملوكية فى الدولة التركية نشره عبد الحميد صالح ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ٣٥ .

(٢٥٣) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٣٢٤ : ابن شاكر : فوات الوفيات ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٩١ .

(٢٥٤) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ، ص ٣٧ ، القباقى ، مع الشعراء المحدثين الظرفاء ، ص ١١٥ .

(٢٥٥) الحمامى هو أحد العاملين بالحمام ، ومهمته تجهيز المآزر للمستحمين ، أو تغييرها لهم ، وكذلك حفظ ثيابهم ، وربما أطلقت على صاحب الحمام أو من يعمل به ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٥ م ، جـ ١ ، ص ٤٣١ .

(٢٥٦) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٤ ، ص ٣٩٣ ، ص ٣٩٤ ، القباقى مع الشعراء ، ص ١١٦ .

(٢٥٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة ، المرجع نفسه والصفحة .

(٢٥٨) الشطار مفردها شاطر والجمع شطار وهو المتصف بالدهاء والخبث والحيلة والذكاء واللص الشاطر الذكى الذى يستخدم الحيلة فى موضع العيلة والقوة فى موضع القوة ، والشاطر لغويا من أعيا أهله خبثا ، ويقال شطر على أهله ، بمعنى نزح عنهم ، والشطارة : الانفصال والابتعاد . محمد رجب النجار : حكايات الشطار والعيارين فى التراث العربى ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨١ م ، ص ٧ ، ص ٨ ، والطبقات الشعبية تستعمله فى النبيه المتقن فى أموره . ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ط ١٩٣٦ ، جـ ١٦ ، ص ١١٠ ، هامش (٢) .

(٢٥٩) العيار لغويا : الكثير التجول والطواف ، الذى يتردد بلا عمل ، يخلى نفسه وهواها والعيار ملكفـــر الفرس الذى يحيد عن الطريق براكبه . والعيار ، ذهب كأنه منفلت ، يهيم على وجهه لا يثنيه شيء فهو عاثر اى متردد ، جوال . رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٨ ، والعيارون رجال ذووا بأس وشجاعة وشهامة لهم ما لأهل الفتوة من صفات وان كان منهم من يسلك طريق اللصوصية وقطع الطريق على الناس - حسين مجيب المصرى : فى الادب الشعبى المقارن ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٧٣ .

(٢٦٠) ارجع بعض الباحثين ظهور العيارين الى أوائل القرن الاول الهجرى، ونسبهم متصل بالفرس الساسانيين ، ولهم نزعة فارسية قوية وحدت مسلكهم فتراهم ساخطين مزاورين للثائرين على خلافة بنى العباس ، وكثيرا ما رجحت كفة المحاربين الفرس على العرب بفضل مساواتهم فى القتال ، المرجع السابق نفسه والصفحة .

(٢٦١) احمد ربحاوى : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشـــام ، ص ١١٥ ، الدورى : نشوء الأصناف ، ص ٤٥٩ .

(٢٦٢) خرجت هذه الحروب رجـــالا ... لا لقحطـــانها ولا لــــنزار
معجـــرا فى جواشن الصوف يغدون ... الى الحرب كالأسـود الضوارى
وعليهم مغـــافر الخـوص تجزيهم ... عن البيض والتراس البوارى
ليس يدرون ما الفرار اذا الابطال ... عاذوا من القنا بالفـــرار
واحـــد منهم يشـــد على الفين ... عـــريان ما له من ازار
ويقـــول الفتى اذا طعـــن الطعنة ... خذهـــا من الفتى العيـــار

المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٤ ، ص ١٠٧ . الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل، ط (٤) طبعة دار المعارف ١٩٦٧ جـ ٨ ، ص ٤٥٨ .

(٢٦٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ١٠٧ ، المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ ٣ ، ص ٣١٤ وما بعدها ، انظر ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، طبعة بيروت ١٩٨٣ ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ وملاحظة .

(٢٦٤) هناك جماعة اطلق عليهم اسم (التوابون) وكانوا فى خدمة الدولة العباسية ، كما كانوا يقاتلون اللصوص ويكمنون لهم ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٤ ، ص ٢٦ ، هامش (٣) ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ، طبعة اولى ١٩٥٥ ، جـ ٢ ص ٣٣٠ ، ص ٣٣١ ، شكرى محمود احمد : الشطار والعيارون ، مجلة الرسالة ، العدد ٧٢١ ، ١٩٤٧ ، ص ١٠٠٨ ، ص ١٠١٠ .

(٢٦٥) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، ص ١١٥ .

(٢٦٦) شكري محمود : الشطار والعيارون ، ص ١٠٠٨ ، أحمد رمضان : المجتمع الاسلامي ، ص ١١٥ ، سربداران اسم اطلق على طائفة من المغول كانوا يعملون في جباية الاموال للمغول ثم ثاروا عليهم ، ونصبوا على ابواب « سربزوار » أعواد المشانق ، وأعلنوا أن من كان متفقا معهم في العمل والحماية فعليه أن يعلق عمامته بدلا من رأسه الذي يعلق اذا خالفهم ، فعلق سبعمائة شخص عمائمهم مظهرين اتحادهم معهم ومن ثمة سموا « سربداري » ومعناها الذين رءوسهم على أعواد المشانق وسر بمعنى رأس وبمعنى في أو على دار = مشنقة أو ... للجمع. شرف خان البدليسي ، شرفنامة ، ترجمة محمد علي عوني ، مراجعة يحيى الخشاب ط القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢٧٠ وما بعدها .

(٢٦٧) محمد أحمد عبد المولى : العيارون والشطار البغادة في التاريخ العباسي ، ١٩٨٧ ، ص ٦٣ .

(٢٦٨) الف الجاحظ كتابا عن أخلاق الشطار انظر ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، حـ ١٦ ، ص ١١٠ .

(٢٦٩) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق ، طبعة ١٩٠٥ ، ص ٧٧ ، ص ٧٨ .

(٢٧٠) بدر فهد : العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ص ٢٠٨ ، ص ٢٠٩ ، الدوري : نشوء الأصناف ، ص ١٦٠ .

(٢٧١) رجب النجار : الشطار والعيارون ، ص ١٧٤ .

(٢٧٢) المراد بهم سفلة الناس ، وقد كانوا يطلقون على فئة خاصة وقد تردد اسمهم كثيرا في المؤلفات العربية . ابن تغري بردي : النجوم ، حـ ٨ ، ص ٨٨ ، والحرافيش جمع حرفوش وهو الجافي الغليظ المتهيء للشر السافل من الناس ومن معانيها الفقراء الذين يلحون غريسة للأوبئة والمجاعات انظر ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ص ٣١٩ ، حـ ٢ ، ص ١٠٣ ، ومفردها حرفوش وهو قسيم الخلق والخلق وهو المقاتل والمصارع واللص ، رجب النجار : الشطار والعيارون ، ص ٩ ، وحرفش واحرنفش الرجل اذا تهيأ للقتال والمحرنفش المنتفش الشعر ، ابن منظور : لسان العرب ، حـ ٢ طبعة دار المعارف ، بدون تاريخ ، جـ ١٢ ص ٨٤٠ .

(٢٧٣) الزعار والزعرة والزعر جمع زاعر ، وهو اللص والمحتال والسيئ والحرفوش والمتشرد ، المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ،

تحقيق جمال الشيال ١٩٤٨ ، جـ ١ ص ١٧٤ هامش (٤) ؛ والزعر بالضم الخوف والفزع ورجل ذعور متذعر وامرأة ذعور تذعر من الريبة ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٥٠٢ ، وذعر الرجل قل خيره ، والزعارة شراسة الخلق ، واهل الزعار العيارون الذين يترددون بلا عمل ويطوون التنمس وجواعة - رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٦ .

(٢٧٤) العياق : عاق فلانا صرفه عما أراد والعائق الذى يعوق الناس عن عمل الخير - ورجل عوق (الجمع اعواق) : الرجل الذى لا خير عنده وهو المانع الذى يعوق الطريق ويتطاول على الناس وحب التجار : الشطار والعيارين ، ص ٨ ، ص ٩ وان كنت ارى ان تلك التسميات — الحرافيش الزعر العياق : الشطار — او غيرها مترادفات لمعنى واحد لطلق على الطبقات الشعبية فقد اشتركت هذه الفئات فى بعض الصفات كتدهور احوالها الاقتصادية والاجتماعية وايضا ممارسة اعمال السلب والنهب ابان الفتن والازمات التى كانت تحدث بين السلاطين والامراء او بين الامراء بعضهم البعض وكذلك اشتركت هذه الفئات فى التسول والاستجداء فى الشوارع وامام المساجد .

(٢٧٥) السبكى : معيد النعم : ص ١٤٧ .

(٢٧٦) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٣٣ .

(٢٧٧) كان من افضل الامراء ، وله الصدقات الكثيرة على الايتام من كسوة ونفقة واجرة لمن يعلمهم القرآن وله ايضا الاحسان الكبير للحرافيش ، ابن بطوطة : تحفة النظار ، كذلك انظر الفصل الثالث ص ١٩٥ هامش (٥) .

(٢٧٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٢٧٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ق (٢) ، ص ٤٤٢ .

(٢٨٠) ابن طولون : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، تحقيق محمد مصطفى ق (١) طبعة ١٩٦٢ ، ص ١٦٤ .

(٢٨١) المقريزى : اغاثة الامة ، من ص ٤٤ الى ص ٤٦ .

(٢٨٢) المصدر السابق نفسه ، ص ٧٥ ، احمد صادق : تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى ، ص ٤٤٢ ، ص ٤٤٤ .

(٢٨٣) اشتور : التاريخ الاقتصادى الاجتماعى للشرق الاوسط فى العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، دمشق ١٩٨٥ ، ص ٤١١ .

(٢٨٤) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ق (١) ، ص ٣١٩ .

(٢٨٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ٨٨ .
Lane-Poole : History of Egypt, P. 253

(٢٨٦) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) ص ١٢٥ .

(٢٨٧) المصدر السابق والجزء ، ص ٤٨٢ .

(٢٨٨) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٤ ، ص ٩٤ .

(٢٨٩) المصدر السابق نفسه والجزء ، ص ٤٦١ .

(٢٩٠) انظر الفصل الأول ص ٣٥ حاشى (٢) .

(٢٩١) الطواشية مفرد طواشى وهم الخصيان الذين استخدموا فى الأطباق الملوكية وفى الحريم السلطانى وكانت لهم حرمة وامرة وكلمة نافذة ويعد شيخهم من أعيان الناس . المقريزى : الخطط ، حـ ٤ ، ص ٢٠٨ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٣٣٤ .

(٢٩٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١٠ ، ص ٢٩ ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ١٨٥ .

(٢٩٣) توفى السلطان الناصر محمد بن قلاوون وتولى ابنه المنصور أبو بكر السلطنة فعل الأمير قوصون على خلعه وتم له ما أراد واقام الأشرف كجك فى السلطنة ونتيجة لذلك حدثت فتنة بين الأمير قوصون والأمراء وكان ذلك فى عام ٧٤٢ هـ/١٣٤١ م . المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١١٧ .

(٢٩٤) الكسلة هم الذين يقومون بالسلب والنهب فى الحروب . المقريزى : السلوك ، ق (٢) حـ ٣ ، ص ٨٨٥ .

(٢٩٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ١٠ ، ص ٤١ .

(٢٩٦) آشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى ، ص ٤١١ .

(٢٩٧) شابرول : دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر ، ص ٤٦ .

(٢٩٨) انظر ص ١٣٠ من هذا الفصل حاشى (٢) .

(٢٩٩) نسبة الى الأمير يلبغا الناصرى انظر ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ٢ ق (٢) من ص ٦٧ الى ص ٧٠ ، المقريزى : السلوك ، حـ ٢ ص ١٥٠ .

(٣٠٠) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـ ١ ق (٢) من ص ٦٦ الى ص ٧٠ ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ .

(٣٠١) ابن تغرى بردى : النجوم ، حـ ٢١ ، من ص ٢٧٠ الى ص ٢٨٤ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، حـ ١ ، ص ٢٠٢ الى ص ٢٠٨ ، حكيم أمين عبد السلام : قيام دولة المماليك الثانية ١٩٦٦ ، ص ٥٤ .

(٢٠٢) ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ الى ص ٢١٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١١ ، ص ٢٨٦ .

(٢٠٣) انظر ص ٨٦ من هذا الفصل هامش (٤) .

(٢٠٤) انظر ص ٨٦ من هذا الفصل هامش (٢) .

(٢٠٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١١ ، ص ٢٨٥ ، ص ٢٨٦ .

(٢٠٦) ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ الى ص ٢٤٣ ، ابن تغرى بردى : جـ ١١ ، ص ٢٣٥ .

(٢٠٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٥٦٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ .

(٢٠٨) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٢ ، ص ١٨٩ .

(٢٠٩) سيقو الخلق والشلاق جمع شلق وهو مرادف للزعر والمراد بهم هنا من يبعثون الخوف في قلوب الناس ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٢٢ هامش (٢) .

(٢١٠) النبخة : لعبة تسمى عند الطبقات الشعبية بالتحطيب (أي اللعب بالنبوت) وهي مأخوذة من الحطب وهي عصا من حطب اللبخ ، واللبخ شجر عظام كانت تنتشر الواحه ويحمله أصحاب المراكب في بلاد الصعيد فتطحن معه وتصير واحدا ، وكان هذا اللبخ له ثمر أخضر يشبه التمر حلو جدا وهو جيد ويفيد لوجع الأسنان . ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ ، ص ١٢٣ هامش (٢) .

(٢١١) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ من ص ١٢٢ الى ص ١٣٠ .

(٢١٢) المصدر نفسه والجزء ، ص ١٦٨ ، ص ١٧٤ ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ١٩٧ ، ص ١٦٨

(٢١٣) Holt : the structure of government in the Mamluk Sultanate, the Eastern mediterranean lands in the period of the Crusades, England, 1977, P. 49.

ابن بطوطة : الرحلة ، جـ ١ ، ص ٢٢ .

(٢١٤) وفد هؤلاء « الأويراتية » الى القاهرة زمن الملك العادل زين الدين كتبغا وسكنوا الحسينية وكانوا مشهورين بالملاحة والجمال مع شدة في أخلاقهم وقد وصفوا بالزعارة وارتداء لباس الفتوة وحمل السلاح مع شدة في سلوكهم ولما عزل كتبغا تفرقوا وصاروا يقطعون الطريق ويسلبون الناس أموالهم .

المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٤ وما بعدها ، ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور ، طبعة ١٩٦١ ، ص ٢٦١ .

(٢١٥) رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٢٠٢ .

(٢١٦) انظر ص ١٣٠ من هذا الفصل .

(٢١٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، طبعة أولى ١٣١١ هـ/١٨٩٣ م ، ص ٣٦٣ .

(٢١٨) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٤٩ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ .

(٢١٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ٦٠، ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٢١٧ .

(٢٢٠) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ .

(٢٢١) انظر المقريزى : اغاثة الأمة ص ٤٤ ، ص ٤٥ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٤٧ - رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٢٢٣ .

(٢٢٢) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص ٤٥ ، رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٢٢٣ ، أشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى ، ص ٤١٢ .

(٢٢٣) الفتوة فى اللغة صفة الفتى وقد اشتقت منه كالرجولة من الرجل والأبوة من الأب والأمومة من الأم والاخوة من الأخ ، ابن المعمار البغدادى : كتاب الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد طبعة ١٩٥٨ ، ص ٥ ، مصطفى جواد : الفتوة وأطوارها وأثرها فى توحيد العرب والمسلمين مجلة المجمع العلمى العراقى ، م (٥) ١٩٥٨ م ص ٤٦ انظر ابن عمار : الفتوة بتحقيق وتقديم فؤاد حسنين : طبعة ١٩٥٩ ، ص ٣ وما بعدها ومن مظاهر هذه الفتوة الشجاعة والصبر عند حدوث الأزمات وتغلب القوة الروحانية على القوة الجسمانية . محمد المويلحى : الشجاعة عند العرب ، مجلة المقتطف ، م (١٩) ١٨٩٥ ، ص ٨٩٤ ، ومن مظاهرها أيضا الكرم والسخاء والمروءة . محمد فهمى عبد اللطيف : الفتوة الاسلامية ، مجلة الرسالة ، يناير ١٩٤٨ ، العدد ٧٥٨ ، ص ٥٦ ، عمر الدسوقى : الفتوه عند العرب ، مجلة الرسالة ١٩٥١ ، العدد ٩٣٢ ، ص ٥٩٥ ، والفتى يعنى الرجل الشهم النبيل المتصف بالرجولة . ضيف الخيلى : الفتوة فى التاريخ الاسلامى وكتب اللغة ، مجلة الرسالة ، يونيو ١٩٤٨ ، العدد ٧٨٦ ، ص ٧٢٣ ، والشهامة والصدق وحب الخير وقول الحق فمن اجتمعت فيه هذه الصفات إكتملت فيه الفتوة . القلقشندى :

صبح الاعشى جـ ٩ ، ص ١٢٧ ، والفتيان هم الذين تركوا العصيان واجتهدوا فى الطاعة والبر والاحسان لهم يتقدمون لمصالحهم وغيرهم يتأخر لفقدانه هذه الصفات .
ومن الشعر الذى قيل فى ذلك :

ليس الفتى من يضرب بالسكين   ولكن الفتى من اطعم المسكين

المريسى بن بيدكين التركمان : الحجة والبرهان على شبان هذا الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٤ فروسية تيمور ، انظر محمد بن على القالى بن الموصلى : الفتوة والشد والعهد ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨٩ فروسية تيمور ، رقم التصوير ٤٢٦ .

(٣٢٤) احمد امين : الفتوة فى الاسلام ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، م (٦) ١٩٤٢ ، جـ ١ ، ص ١٨ .

(٣٢٥) هو ابو عبد الله الحرث بن اسيد المحاسبى ، أصله من بغداد من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم الاصول وعلوم المعاملات ومن اقواله « خيار هذه الأمة هم الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم » توفى ببغداد فى عام ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م . الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ص ٦٤ .

(٣٢٦) هو ابو القاسم الصمد بن محمد الزجاج ، أصله من نهاوند ومولده بالعراق ، كان فقيها يفتى الناس على مذهب أبى ثور صاحب الامام الشافعى ، وكان من كبار ائمة القوم وساداتهم ومن اقواله « ان الله يخلص الى القلوب من بره على حسب ما تخلص اليه القلوب من ذكره » توفى الجنيد فى عام ٢٩٧ هـ/ ٩٠٩ م ودفن ببغداد . الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ص ٧٢ وما بعدها .

(٣٢٧) مجهول : رسالة فى الفتوة ، المكتبة آيا صوفيا ، رقم المخطوط فيها ٢١٤٤ ، تاريخ النسخ ٦٥٢ هـ ، عدد الأوراق ٥٨ ، معهد المخطوطات ، ورقة ١٢١ .

(٣٢٨) احمد امين : الفتوة فى الاسلام ، ص ٨ محمد السعيد عبد المؤمن ، دراسات فى الحضارة والأدب الصوفى ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٣ .

(٣٢٩) ارتبطت فتوة القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى بالخليفة العباسى الناصر لدين الله الذى رأى ان العالم الاسلامى يحتاج الى تجديد قوته ، واحياء همته لمقاومة الأخطار التى يتعرض لها من وقت لآخر وبخاصة الخطر الصليبى فعمد الى الفتوة ورأى انها اعظم قوة لمن يستطيع أن يوظفها وينظمها تنظيما جيدا ، فاستخدمها وربى فى الدولة الاسلامية جيلا تميز بالفروسية والفتى

بفنون الحرب ، وبدأ بنفسه فلبس فتوته من الشيخ عبد الجبار يوسف البغدادى رئيس الفتيان فى عصره ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، طبعة لندن ١٦٦٨ ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ، ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر طبعة ١٩٧١ ، جـ ٣ ، ص ٥٢٥ .

Fr. Taeschner : Futuwwa, the Encyclopedia of Islam, vol. II London, 1960, P. 974.

مصطفى جواد : الفتوة وأطوارها ، ص ٦٤ ، كحالة : دراسات اجتماعية ، ص ٢٨ ، ويبدو أنه كان للفتوة سلطان له كلمة نافذة ومسموعة عند الخاصة والعامة بل وعند أمير المؤمنين ، وأغلب الظن أن علاء الدين الإنسى كان من عشوات الصبيتية . السخاوى : تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، طبعة ١٩٨٦ م ، ص ٢٢ ، سعاد ماهر : مساجد مصر : جـ ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٣٢٠) أحمد أمين : الصعلكة والفتوة فى الاسلام ، مجلة الرسالة ابريل ١٩٥٢ ، العدد ٩٨٠ ، ص ٦٦ ، ص ٣٢ .

(٣٢١) اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، الطبعة الأولى الهند ، (١) ، ١٩٥٤ م ص ٤٥ .

Dozy : Op. Cit., P. 899.

Fr. Taeschner : Op. Cit., P. 965. (٣٢٢)

المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٤٥٩ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ ، ابن المعمار : الفتوة ، ص ٨٣ الى ص ٨٥ ، مصطفى جواد ، الفتوة وأطوارها ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ ، كحالة : دراسات اجتماعية ، ص ٣٠ ، فرانزبشر : الفتوة والخليفة الناصر ، ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين اشراف صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٥ ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ ص ٢٠١ .

(٣٢٣) حسين رمضان : طوائف الحرفيين ، رسالة دكتوراه ، ص ٤٠ .

(٣٢٤) رجب النجار : الشطار والعيارين ، ص ٢٤٤ .

(٣٢٥) ابن المعمار : الفتوة ، ص ٩٨ ، مصطفى جواد ، الفتوة وأطوارها ، ص ٨١ .

(٣٢٦) أحمد أمين : الفتوة فى الاسلام ، ص ٢٠ .

(٢٣٧) سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ١٦٢ .

(٢٣٨) أبو العلا عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الاسلام ، ط (١) دار المعارف ١٩٦٣ ، ص ١٣ ، والتصوف هو التخلق بالصفات الالهية ، كمال الدين عبد الرزاق القاشاني ، من صوفية القرن الثامن الهجري ، اصطلاحات الصوفية ، تحقيق محمد كمال ابراهيم ١٩٨١ م ، ص ١٥٦ وهو أحوال غامرة وأخلاق طاهرة ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، م (١) ١٩٣٢ ، ص ٧ ، ص ٢٢ ، والصوفي « من اذا نطق أظهر الحقائق وان سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق » ، السلمي : طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شريبة ، ١٩٥٣ ، ص ١٦ ، ومن صفات المتصوفة الحكمة والمعرفة والعقل والحضور وأن يكون القرآن امام الصوفي ودستورا لكل شيء ، محيي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، ١٨٧٦ ، جـ ٢ ، من ص ٣٥١ الى ص ٣٥٤ ، وهو العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والبعد عن مباهج الدنيا والزهد في المال ، ابن خلدون ، المقدمة ، بيروت ١٩٨٤ ص ٤٦٧ ، وهو الجد في السلوك والاخلاص في العمل ، القشيري الرسالة القشيرية ، بدون تاريخ طبعة صبيح ، ص ٢٠٩ الى ص ٢١٧ .

(٢٣٩) سعاد ماهر : مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ١٢ .

(٢٤٠) انظر المتن (ص ١٧) هامش (٥) .

(٢٤١) المقريزي : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٧٣ ، سعيد عاشور ، السيد البدوي شيخ وطريقة ، سلسلة أعلام العرب ، العدد ٥٨ ، ١٩٦٦ ، ص ٢٤ .

(٢٤٢) مصلحي حسن : "السلطان اينال وآثاره المعمارية في القاهرة دراسة اثرية معمارية ، رسالة دكتوراه ، ١٩٧٦ ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ص ١٠٤ ، محمد أمين ، الأوقاف ، ص ٢٠٤ وما بعدها ، علي صافي حسين : الأدب الصوفي في القرن السابع الهجري ، ١٩٦٤ ، ص ١٩ .

(٢٤٣) سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، ص ٣٤٠ ، عبد المنعم ماجد ، موقف المصريين من حكم المماليك ، ص ٥٢ .

(٢٤٤) علي صافي حسين : الأدب الصوفي ، ص ٢٧

(٢٤٥) Arnold (Thomas) : the Caliphate , Oxford, 1924, P. 89.

(٢٤٦) المقريزي : السلوك ، جـ ١ ق (٢) ص ٨١٠ ، ابن حجر ، انباء الغمر بأنباء العمر ، جـ ١ ، ص ٥٩ ، ابن تغري بردي : النجوم ، جـ ٦ ، ص ٥٧ ، ص ٦٠ ، ١٠ ، ص ١٩٥ .

(٢٤٧) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٦٣ ، وللمؤلف نفسه السيد البدوى شيخ وطريقة ، ص ٣٦ ، والعصر المماليكى ، ص ٢٤٠ ؛ على صافى حسين : الأدب الصوفى ، ص ٣٣ .

(٢٤٨) عواجب المريد نحو شيخه الطاعة المطلقة لأوامره بل مالغ بعض الصوفية فطالبوا بطاعة الشيخ أولا ثم طاعة الله ثانية ، لأن طاعة الله فى نظرهم لا تصح الا اذا وجه اليها الشيخ التوجيه الصحيح وهم يعتبرون مخالفة المريد لشيخه دليلا على عدم صدق ارادته وعلى فساد حاله . أبو العلا عفيفى : التصوف الثورة الروحية ص ٢٦٧ ، ص ٢٦٨ ، حتى اذا حضر أهل المريد عائده لا يسلم عليهم حتى يستشير الشيخ . سعاد محمد حسن حسنين : أعمال الأمير شيخو العمرى الناصرى ، رسالة ماجستير ، بدون تاريخ ، غير منشورة ؛ كلية الآثار جامعة القاهرة ؛ ص ٤٢ .

(٢٤٩) المرجع السابق نفسه والصفحة

(٢٥٠) توفيق الطويل : التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٧٣ .

(٢٥١) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٦ ، زغلول سلام : الأدب فى العصر المملوكى ، ص ٢١٤ .

(٢٥٢) Vollers (K) · Ahmed Al Badowi , E.N.C. Ist Vol (1) London 1960 PP. 280, 281.

الشعرانى : الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ١٥٩ ، النبهانى : جامع كرامات الأولياء : تحقيق ابراهيم عطوة ، مكتبة البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ج ١ ، ص ٥١٣ .

(٢٥٣) ابراهيم أحمد نور الدين : حياة السيد البدوى ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٥١ ، صافى حسين : الأدب الصوفى ، ص ٣٩ .

(٢٥٤) البشت بكسر الباء أو ضمها وجمعه بشوت ، وهى العباءة من الصوف بلونه الطبيعى . سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٣٩٦ .

(٢٥٥) محمد فهمى عبد اللطيف : السيد البدوى أو دولة الدراويش فى مصر ، القاهرة ١٩٤٨ ، من ص ٥٠ الى ص ٥٣ .

(٢٥٦) النبهانى : جامع كرامات الأولياء ، ج ١ ، ص ٥١٢ وما بعدها ، ج ١

ص ٥١٢ ومابعدها ، سعيد عاشور : السيد احمد البدوى ، ص ١٦٠ ، ص ١٦١ ، ص ١٧٠ .

(٣٥٧) المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة .

(٣٥٨) سعيد عاشور : السيد البدوى ، ص ١٥٢ وما بعدها .

(٣٥٩) النبهانى : جامع كرامات الاولياء ، جـ ١ ، ص ٥١٦ ، ص ٥١٧ .

(٣٦٠) J-Spencer . the Sufi Orders in Islam Oxford, 1971, P. 79.

(٣٦١) فوزى امين : المجتمع المصرى فى ادب العصر المملوكى الاول ١٩٨٢ ، ص ١٩٣ ، توفيق الطويل ، التصوف ، ص ٧٢ .

(٣٦٢) صافى حسين : الادب الصوفى ، ص ٤١ .

(٣٦٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٣٦٤) زغلول سلام : الادب فى العصر المملوكى ، ص ٢١٢ .

(٣٦٥) على سالم عمار : ابو الحسن الشاذلى ، القاهرة ١٩٥٢ ، جـ ١ ، ص ١٦ .

(٣٦٦) الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ، ص ٧٧ .

(٣٦٧) النبهانى : جامع كرامات ، جـ ١ ، ص ٤٠٤ وما بعدها ، الشعرانى، الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ، ص ٧٧ .

(٣٦٨) نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٤٠٧ .

(٣٦٩) الشعرانى : الطبقات الكبرى، جـ ٢ ، ص ١٢٠ .

(٣٧٠) النبهانى : جامع كرامات الاولياء ، جـ ١ ، ص ٤١٠ ، الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ .

(٣٧١) النبهانى : جامع كرامات الاولياء ، جـ ١ ، ص ٤١٠ ، ص ٤١١ .

(٣٧٢) الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، ص ١٢٧ ، النبهانى : جامع كرامات الاولياء ، جـ ١ ، ص ٤١٢ ، ص ٤١٣ .

(٣٧٣) ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٢٢٨ .

(٣٧٤) سعيد عاشور : السيد البدوى ، ص ١١٢ .

(٣٧٥) عبد المنعم ماجد : موقف المصريين من حكم المماليك ، ص ٥٢ ، وللمؤلف نفسه التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر دراسة تحليلية للازدهار والانهيار ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٨٨ ، ص ١٢٦

(٣٧٦) ابراهيم احمد : السيد البدوى ، ص ١٠١ .

(٢٧٧) Vollers : Op. Cit., PP. 280, 281.

(٢٧٨) Holt : (PM). : the sultanate of Al-Mansur Laohin. bulletin of the school of oriental and African studies university of London, 1973, PP. 521,.532.

Lane Poole : History of Egypt, P 283.

(٢٧٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ص ٥٢٢ .

(٢٨٠) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٢) حوادث ٨٧٠ هـ ، محمد مصطفى زيادة : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ، ص ١٥٩ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ .

(٢٨١) حسن الباشا : الفنون الاسلامية ، ص ٧١٩ .

(٢٨٢) المقريزى ، الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٢ ، سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ١٧٢ ، السيد البدوى ، ص ٢٢٧ .

(٢٨٣) توفيق الطويل : الشعرانى امام التصوف فى عصره ، ١٩٤٥ ، ص ٩ .

(٢٨٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٣ ، سعاد محمد ، أعمال الأمير شيخو ، ص ٤٢ .

(٢٨٥) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٧٩ .

(٢٨٦) خاتور ، رحلة خاتور ، جـ ٦٢ ، جلد ، تاريخ الحضارة ، ص ١٨٣ ، عاشور : العصر المماليكى ص ٢٤١ ، زغلول سلام ، الأدب فى العصر المملوكى ، ص ١٩٧ .

(٢٨٧) رجب النجار : الشعر الشعبى ، ص ٢٢٨ .

(٢٨٨) زغلول سلام : الأدب فى العصر المملوكى ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ .

(٢٨٩) الكوبة : النرد وعيل الطبل ، ابن الجوزى : تلبيس ابليس (ط) ١٣٦٨ هـ ، ص ١٧٥ .

(٢٩٠) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ١٧٥ ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٦٠ .

(٢٩١) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٢ .

(٢٩٢) السخاوى التبر المسبوك ، ص ٢٢٠ .

(٢٩٣) الجوبرى : المختار فى كشف الأسرار ، طبعة ١٣٠٢ هـ ، ص ٢٠ ، ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ٣٩١ ، النبهانى ، جامع كرامات الأولياء ، جـ ١ ، ص ٤١٤ ، ص ٥١٥ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٢ .

(٣٩٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨ ، فوزى أمين : المجتمع المصرى فى أدب العصر المملوكى ، ص ١٦٩ ، زغلول سلام : الأدب فى العصر المملوكى ، ص ١٧٩ .

(٣٩٥) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ٢٩٠ .

(٣٩٦) محمد فهمى عبد اللطيف : السيد البدوى ، ص ١٣٠ ، ص ١٤٠ .

(٣٩٧) احمد أمين : قاموس العادات ، ص ١٢١ .

(٣٩٨) توفيق الطويل : الشعرانى ، ص ٤٠

(٣٩٩) ابن الصيرفى : انباء الهصر ، ص ٢٢٢ .

(٤٠٠) المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٢٧٢ .

(٤٠١) انظر الفصل الثالث ص ٢٠٨ .

(٤٠٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن موسى الصالح صاحب الكرامات توفى بالروضة عام ٧٢٧ هـ/١٣٢٧ م وكان يتردد عليه الناس للتبرك ، محمد عبد العزيز السيد : جزيرة الروضة وآثارها الدراسة حتى نهاية العصر المملوكى ، رسالة ماجستير ١٩٧٧ ، كلية الآثار جامعة القاهرة ص ٩ .

(٤٠٣) انظر الفصل الثالث ص ٢٢٢ هامش (٢) .

(٤٠٤) هو الشيخ بهاء الدين محمد بن الكازرونى كان من أكابر العارفين وكان رحمه الله تعالى رجلا صالحا معتقدا وللناس فيه محبة زائدة واعتقاد حسن ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ١٢٥ .

(٤٠٥) محمد عبد العزيز : جزيرة الروضة ، رسالة ماجستير ، ص ٩ .

(٤٠٦) Spencer : Op. Cit., P. 18.

(٤٠٧) احمد عبد الرازق : المرأة زمن سلاطين المماليك ص ٤١ .

(٤٠٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٣٩ .

(٤٠٩) ومن المصرات لوكى وجد فى القاهرة رباط البغدادية التى انشأته ابنة الظاهر بيبرس فى عام ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م للشيخة العابدة زينب والتى عرفت ببنت البغدادية والتى استمر مريدوها فى هذا الرباط طى عصر المماليك
Spencer : Op. Cit., P. 18.

انظر الفصل الأول ص ٦٠ هامش (٥)

(٤١٠) المقريزى ، الخطط : ج ٤ ، ص ٢٩٤ ، احمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٣١ .

(٤١١) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٥٢ ، ملعد : موقف المصريين من الحكم المملوكى ، ص ٥٣ .

(٤١٢) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ١٨٢ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٦ ، ص ٤٨ . احمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام : ص ١٥٣ .

(٤١٣) المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة ، احمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١٥٣ .

(٤١٤) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، طبعة ١٩٨٦ تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، جـ ٣ ، ص ٨٨ ، ص ٨٦ .

(٤١٥) احمد رمضان : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٤ .

(٤١٦) ابو حامد الغزالى احياء علوم الدين ، ط ١٩١٥ ، جـ ٣ ، ص ٢١٨ ، علاء طه : عامة القاهرة رسالة ماجستير ، ص ٨٦ .

(٤١٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤١٤ ، زكى مبارك : التصوف الاسلامى ، جـ ١ ، ص ٤٤٦ ، ص ٤٥٠ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٨٩ .

الفصل الثالث

عادات وتقاليد الطبقات الشعبية

- الاحتفالات والاعياد الدينية
- الاحتفالات المتعلقة بالسلاطين
- اعياد النصارى
- اعياد اليهود
- الاحتفالات الاسرية
- المآتم
- وسائل اللهو والتسلية
- المتنزهات والبرك
- الاعتقاد في الاولياء والمشايخ
- المعتقدات الباطلة

تعكس العادات والتقاليد جوهر التكوين الاجتماعى والاقتصادى للمجتمعات البشرية ، فمن خلال رصد التصرفات اليومية للأفراد ، والوقوف على طقوس ومظاهر الاحتفال بالاعياد ، والتعرف على طرق التسلية واللهو وما يتم فى التعازى والمآتم ، يمكن أن نخلص ببعض المؤشرات الدالة على مدى تماسك البنية الاجتماعية واستقرارها ، كما تكشف عن الحالة الاقتصادية لهذا المجتمع .

ويتناول هذا الفصل بالدراسة عادات وتقاليد الطبقات الشعبية التى ارتبطت بحياتها ارتباطا وثيقا ، وهى تتصل بالأعياد سواء كانت اعيادا دينية متمثلة فى رأس السنة الهجرية ، وموسم عاشوراء ، والمولد النبوى ، وموكب المحمل ، وعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، أو مرتبطة بمناسبات معينة متمثلة فى الاحتفالات السلطانية ، أو الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج ، أو الأعياد الدينية المتصلة بأهل الذمة والتى تحولت الى اعياد قومية شارك المسلمون فى الاحتفال بها مثل عيد النيروز والشهيد ، وخميس العهد ، ويوم الغطاس ، وعيد الزيتونة ، والعادات والاحتفالات الأسرية مثل احتفالات الزواج والولادة والسبوع(١) والختان .

وهناك عادات متصلة بمظاهر التسلية ووسائل اللهو نحو الخروج الى الحدائق والمتنزهات والاستماع الى الموسيقى والغناء، ومشاهدة العاب خيال الظل ، والنوادر والحكايات ، والسير الشعبية الى غير ذلك من وسائل اللهو والتسلية التى تفننت فيها

الطبقات الشعبية للتخفيف من وطأة وضعها الاقتصادي المتدهور — في غالب الأحوال — في ظل دولة المماليك . وايضا عادات وتقاليد متصلة بالمآتم والأحزان ، الى جانب المعتقدات الباطلة المتمثلة في السحر والحسد ولا شك في أن بعض عادات وتقاليد الطبقات الشعبية في القاهرة في ذلك العصر تكشف لنا بصورة أو بأخرى طبيعة تكوين تلك الطبقة الاجتماعية التي لم تحظ الا بالنذر اليسير من اهتمام مؤرخي ذلك العصر .

وقد كانت الاحتفالات والأعياد تفيض بالبهجة والسرور وبمظاهر البذخ التي تميزت بها دولة المماليك الأولى ، وقد تبدل الحال في دولة المماليك الثانية لتدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية والمؤامرات التي كانت تحاك بين السلاطين من ناحية والأمراء من ناحية أخرى ، وقد انعكست حالة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي هذه على المجتمع وبالتالي على مظاهر الاحتفال بالأعياد والمناسبات الأخرى .

على أن أهم الاحتفالات الدينية لدى المصريين على اختلاف طبقاتهم ابان عصر سلاطين المماليك احتفالات « شهر رمضان » الذي كان الاحتفال به يبدأ بموكب الرؤية (أي رؤية هلال شهر رمضان) الذي كان يضم الفقهاء الذين يخرجون للتأكد من ثبوت رؤية الهلال ، وكان هذا الموكب يحاط بعدد كبير من القناديل والمشاعل والشموع ، هذا بالاضافة الى كثرة الأنوار أمام الحوانيت والمباخر التي تفوح منها الرائحة الزكية(٢) .

ووصف لنا الرحالة ابن بطوطة(٣) احتفال المصريين برؤية هلال رمضان فقال : «وعاداتهم أن يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضي(٤) ويقف على الباب نقيب المتعممين(٥) ، فاذا أتى أحد الفقهاء أو أحد الوجوه

فتلقاه ذلك النقيب قائلا : باسم الله سيدنا فلانا الدين(٦) ... فاذا تكاملوا هناك ، ركبوا جميعا وتبعهم جميع الرجال والنساء والصبيان وينتهون الى موضع مرتفع وهو مرتقب الهلال(٧) عندهم ، فينزل القاضى ومن معه ، فيرتقبون الهلال ثم يعودون بعد صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع ، ويصل الناس مع القاضى الى داره ثم ينصرفون، هكذا فعلهم فى كل سنة »(٨) . وبعد ثبوت هلال رمضان يحضر القضاه والفقهاء والأمراء عندالسلطان للتهنئة بهذه المناسبة(٩) .

واعتاد اهل القاهرة من الطبقات الشعبية الاحتفال بشـــــهر رمضـــــان بتعليق الفوانيس التى جعلوها علما على جواز الأكل والشرب وغيرهما مادامت معلقة موقودة(١٠) . وفى هذا الشهر يتحول ليل القاهرة الى نهار لكثرة الانوار والمشاعل فى الشوارع بالاضافة الى الفوانيس المختلفة الأشكال والالوان(١١) ، ولا تطفأ القناديل الا قبيل طلوع الفجر لاعتماد أهل القاهرة عليها فى تحديد ميعاد السحور والامساك عن الطعام والشراب(١٢) .

ويطوف المسحراتى فى هذا الشهر بطبلته مرددا بعض اغانيه وحوله بعض الأطفال ، ويدق بطبلته مناديا اصــــحاب البيوت بأسمائهم(٣) . كما يقرأ صحيح البخارى بالقصر السلطانى بالقلعة وفى عدة اماكن اخرى فضلا عن وجود الشيوخ الذين يعظون الناس فى اماكن مختلفة(١٤) .

وبعد ختم البخارى يقام احتفال كبير بحضره السلطان والفقهاء والقضاه والشيوخ ، وبهذه المناسبة يقوم السلطان بتوزيع الخلع والاموال على الحاضرين ويعد هذا من الايام المشهودة(١٥) . وطوال شهر رمضان يوزع السلطان على علايته الصدقات ، وتستمر مطابخ

القاهرة مفتوحة من اجل الفقراء والمساكين ، ويصرف فى كل ليلة من ليالى رمضان كميات وميرة من الخبز واللحم ، هذا وقد اعتاد بعض السلاطين فى هذا الشهر عتق ثلاثين نسمة بعدد أيامه(١٦) .

وكانت الطبقات الشعبية تكثر من التزاور والتلاقى فى هذا الشهر فاذا تخلف فرد عن زيارة أقاربه والمقربين منه يكون دليلا على سوء العلاقة بين الطرفين(١٧) . وهذه الصورة تدل على الروابط الاجتماعية الوثيقة التى تميز الحياة الأسرية فى القاهرة فى تلك الفترة .

وقد ازدهرت بعض الأسواق فى هذا الشهر ، مثل سوق الشماعين التى كانت حوانيتها تفتح حتى منتصف الليل ، وهى معمورة بالشموع الموكبية والفانوسية(١٨) فتصير رؤيتها فى الليل من امتع الرؤى ، وكانت تباع بهذه السوق كميات كبيرة من الشموع الموكبية التى تزن الواحدة منها عشرة أرطال ، اما الشموع الضخمة التى كان يبلغ وزنها حوالى قنطار فكانت تستخدم فى موكب صلاة التراويح(١٩) . وهكذا يتضح كيف كان المصريون على اختلاف طبقاتهم يحتفلون بشهر رمضان فى تلك الفترة حيث كان سلاطين المماليك يغدقون الصدقات والعطايا للفقراء والمحتاجين ، وكان الناس يحيونه بكثرة العبادات والصلاة والتضرع الى الله تعالى فى طلب المغفرة والرحمة .

وفيما يتصل بالاحتفال بعيد الفطر(٢٠) فقد كان البعض يسهر حتى الساعات الأولى من الصباح فى اعداد الملابس الجديدة(٢١) ، والبعض الآخر يحتفل بهذه المناسبة بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم(٢٢) ، هذا بالاضافة الى ان معظم الاسر كانت تقوم بصنع الكعك الذى تستقبل به عيد الفطر(٢٣) ، وقد ازدهرت ايضا بعض

الأسواق فى موسم عيد الفطر لكثرة ما كان يصنع من أنواع الكعك الذى كان يتم الاعداد له من منتصف شهر رمضان حتى اذا حل عيد الفطر امتلأت أسواق القاهرة بأصنافه المتنوعة(٢٤) .

واعتاد الناس التوجه لاداء صلاة العيد فى موكب كبير وهم يهللون ويكبرون حتى يصلوا الى المسجد الجامع ، وبعد الانتهاء من الصلاة يتم تبادل التهنئة بهذه المناسبة(٢٥) . ومن العادات التى اتبعها أهل القاهرة فى عصر المماليك تناول السمك المملح المشقوق فى أول أيام عيد الفطر ، وزيارة القبور حيث يجتمعون بين المقابر فى الليالى المقمرة رجالا ونساء وكانت تحدث مفاسد عديدة(٢٦) ، أما البعض الآخر فكان يقصد شاطىء النيل ويستأجر القوارب للنزهة والترويح عن النفس(٢٧) ، ونتيجة لهذا أصدر السلطان برقوق(٢٨) (٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م)(٢٩) قراره بعدم خروج النساء الى القرافة ، أو التنزه فى النيل ومن وجدت قبض عليها هى والمكارى والحمار ، وقد امتثلت النساء لهذا القرار(٣٠) .

وفى عيد الأضحى(٣١) ، ويقوم السلطان بالصلاة وبعدها يخرج فى موكب كبير يحضره الفقهاء والقضاء والعلماء يشق شوارع القاهرة وقد زينت بكافة أنواع الزينات وأشعلت الحوانيت بالقناديل والشموع ، ثم يتناول السلطان سماطا(٣٢) وبعدها يعود الى القلعة بعد أن يقوم بتوزيع الصدقات والأضاحى على الفقراء والمحتاجين(٣٣) .

أما عن الطبقات الشعبية فكان البعض يقوم بشراء اللحوم وطهيها فى المنزل ، والبعض الآخر يعد الطعام فى الليل حتى اذا عادوا بعد الصلاة وجدوا الوجبات جاهزة للتناول(٣٤) . وتذهب الطبقات الشعبية فى العيد كما هى عادتهم فى المواسم والأعياد

الى القرافة ، وتخرج النساء فى كامل زينتهن ، هذا فضلا عن خروج مجموعة من البنات كان يطلق عليهن بنات العيد الى الشوارع ويأخذن فى الغناء والرقص والضرب على الدفوف ويطفن فى الشوارع والاسواق ويدخلن البيوت على بعض الناس للحصول على بعض العطايا(٣٥) .

ومن المناسبات الدينية الاخرى التى كان اهل القاهرة يحتفلون بها عيد رأس السنة الهجرية ، وفيه يصعد الخليفة والقضاه الاربعة الى القلعة لتقديم التهنئة للسلطان بالعام الجديد ، كما كان العلماء والتجار والطبقات الشعبية يحرصون على تبادل التهنئة فى اول محرم وقد اعتاد اصحاب السعة منح العطايا لكل من يحضر اليوم فى مثل هذه المناسبات(٣٦) . ومن العادات التى صاحبت النساء اول ليلة من شهر محرم شراؤهن اللبن ويزعمن انهن يتفاءلن بذلك لكى تكون السنة كلها بيضاء(٣٧) . ولا شك ان مثل هذه الاعياد تعد عاملا مبهجا للطبقات الشعبية فى هذا العصر ، لما كانت تحظى به من العطايا والاموال سواء من جانب السلطان ، او الامراء ، او العلماء الذين كانوا يبذلون الكثير من الاموال فى مثل هذه المناسبات ، فضلا عن الاسمطة المتنوعة التى يتناول الفقراء الكثير منها .

وفى اليوم العاشر من شهر محرم كانت الطبقات الشعبية تحرص مثلها فى ذلك مثل المصريين كلهم على الاحتفال بيوم عاشوراء(٣٨) الذى يعتبر من المواسم المهمة ، واعتاد الناس فى هذا اليوم (التوسعة) المرور على الاهل والاقارب والايتام والمساكين(٣٩) ، وذبح الدجاج وطهى الحبوب وزيارة القبور ، والاقامة بالجوامع طوال اليوم والتمسح بالمصاحف والمنابر وجدران المساجد ، فضلا عن القيام بشراء البخور ، وكان من المعتقد انه

اذا يخر به المسجون خرج من سجنه ، كما انه يمنع من الحسد(٤٠) ، كما اعتادت بعض نساء الطبقات الشعبية زيارة ضريح سيدنا الحسين(٤١) وقراءة الفاتحة وتقديم النذور احتفالا بهذه المناسبة(٤٢) .

اما ليلة اول شهر رجب(٣) فتعتبر من المواسم المهمة التى حرصت مختلف الطبقات على الاحتفال بها فكان البعض يجتمع حول القراء الذين يتلون القرآن احتفالا بهذه المناسبة(٤٤) ، والبعض الآخر يقوم بشراء الحلوى(٤٥) ، وقد تحدث ابن الحاج عن مفاسد كثيرة كانت تحدث من البعض فى مثل هذه الليلة منها اجتماع النساء بالرجال حتى ساعة متأخرة من الليل(٤٦) .

وليلة الاسراء والمعراج(٤٧) هى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، كان الناس يحرصون على الاحتفال بها فى اكثر مساجد القاهرة ، وفيها تعلق القناديل والفوانيس ، كما يفرشون البسط والسجاجيد داخل المساجد ، فضلا عن أطباق النحاس والأباريق التى كانت تعد لتناول مختلف المشروبات(٤٨) ، فضلا عن حرص الناس فى هذه الليلة على سماع آيات من الذكر الحكيم وزيارة المقابر(٤٩) .

واعتاد البعض الصيام فى ليلة النصف من شعبان(٥٠) ، فضلا عن اقبال الناس على شراء الحلوى لاطفالهم ، وكانت المساجد تسطع بالأضواء ويتحول ليل القاهرة الى نهار(٥١) . وقد عمل الناس على زيادة الانوار لدرجة انهم كانوا يربطون الحبال فى الاعمدة والشرفات ويعلقون بها عددا كبيرا من القناديل المضاءة ويجتمع الناس فى المساجد على اختلاف طبقاتهم لاحياء هذه الليلة بالاضافة الى ذهابهم للمقابر ومعهم الصوفية وهناك يرقصون ويغنون ويمرحون مما يخل بالوقار والواجب اتباعه فى مثل هذه الاماكن(٥٢)،

والبعض الآخر كان يحيى هذه الليلة بتلاوة القرآن والذكر والصلاة وكثرة العبادة(٥٣) .

اما الاحتفال بالمولد النبوى(٥٤) ، فقد حرص سلاطين المماليك على احياء هذه المناسبة الكريمة بما يتناسب ومكانتها الدينية ، ويبدأ الاحتفال به فى شهر ربيع الأول من كل عام(٥٥) واعتادت الطبقات الشعبية مشاركة سلاطين المماليك طمعا فيما تقدمه الاسمطة السلطانية من اطعمة مختلفة ، بالاضافة الى الاستماع لكبار المقرئين والمنشدين والوعاظ حتى مطلع الفجر(٥٦) . وكان سلاطين المماليك يهدفون بذلك — فى المقام الأول — الى ارضاء الطبقات الشعبية والعطف عليهم والتودد لهم فى محاولة منهم لامتصاص سخطهم ، واظهار ما لدى ولى الأمر من تقوى وصلاح حتى تجب طاعته .

وتحتفل بعض الطبقات الشعبية بهذه المناسبة باقامة الولائم، والبعض الآخر يحيى هذه الليلة بالمغنين وآلات الطرب ويتسابقون باللهو واللعب بالدف والشبابة(٥٧) ، هذا بالاضافة الى البدع والمخالفات التى كانت تحدث فى هذه الليلة(٥٨) . ويصف ابن الحاج احدى هذه المخالفات بقوله : « اذا تمكن الطرب من الرجل ذهب حياؤه ووقاره فيقوم ويرقص وينادى ويبكى ويتباكى ، ويرفع رأسه نحو السماء وربما مزق ثيابه وعبث بلحيته » ، هذا وكانت بعض الأسر تحتفل بالمولد النبوى بهدف استرداد النقوط التى اهدوها للآخرين فى المواسم والأفراح(٥٩) ، وربما كانت عادة النقوط المتبادلة بين الأسر بعضها ببعض تمثل مظهرا من مظاهر التكافل الاجتماعى .

وهناك موسم آخر من المواسم الدينية لا يقل فى الأهمية عن الأعياد والمواسم سابقة الذكر وهو دوران المحمل(٦٠) الذى جعلته

الطبقات الشعبية من ايام الاحتفالات الشهيرة فى عصر سلاطين المماليك ، وقد كانت مشاهدة المحمل من المشاهد المحببة لنفوس مختلف الطبقات حيث تحمل كسوة الكعبة الشريفة ، وكان الاحتفال بهذه المناسبة يتم فى النصف من شهر رجب(٦١) . ويحتفل به مرتان فى عصر المماليك الأولى فى شهر رجب والثانية فى شوال ويكون دورانه فى يوم الاثنين أو الخميس(٦٢) ، وقد اكتملت مظاهر الاحتفال بدوران المحمل وكسوة الكعبة فى عهد الظاهر بيبرس فى عام ٦٧٥ هـ/١٢٧٦ م(٦٣) . وكان الهدف من دورانه التنفيس عن الناس مع تعظيم السلطان واجلاله ، فضلا عن ترغيب الناس وحثهم على اداء فريضة الحج(٦٣) .

وقبل هذه المناسبة بثلاثة ايام تزين الحوانيت(٦٥) وهناك تجلس النساء ويبتن فيها انتظارا للمحمل ، فيختلطن بالرجال ، الامر الذى يؤدى الى حدوث بعض المفاسد مما حدا بالمحتسب الى اصدار اوامره بعدم جلوس النساء بحوانيت الباعة وتشدد فى ذلك الى ان امتنعن(٦٦) .

وكان الاحتفال بدوران المحمل من الايام المشهودة ، وفيها يركب قاضى القضاة ووكيل بيت المال والمحتسب والفقهاء ويتجهون الى دار السلطان ، ويخرج المحمل على جمل وقد وضعت عليه الكسوة من الحرير المطرز بالذهب ، والمستقلون على جمالهم ثم يطوفون بالمحمل فى انحاء القاهرة ، وهناك تلعب جماعة من المماليك السلطانية الرماحة ، وطوائف الفقراء يسيرون امام المحمل(٦٧) ، فعند ذلك تتحرق الناس شوقا وحنينا ويتاهبون للحج(٦٨) . وكان من الضرورى لركب الحج ان يضم بين افراده عددا من الاطباء والائمة والمؤذنين وحتى مغسل الموتى(٦٩) .

وقد كان المماليك السلطانية ينتهزون فرصة ازدحام الطرقات بالمارة وينهبون الدكاكين ويخطفون عمائم أصحابها ويحرقون لحاهم بالنار ويتعدون على النساء ويخطفون الأطفال(٧٠) وهناك ما كان يطلق عليه اسم « عفاريت المحمل » وهم جماعة من أوباش المماليك السلطانية يغيرون زيهم برى آخر مضحك ويركبون خيولا في صورة فوضوية مزعجة ويأخذون في ازعاج الناس مما أدى بالسلطان الى اصدار أوامره بمنع ذلك ، وكانت بعض الطبقات الشعبية تفعل ذلك بهدف اضحاك الناس دون التعرض لهم أو ايذائهم ، ولكن اساءوا فهمها فصاروا يتعرضون للناس بالسلب والنهب والسرقة ، كما فرضوا مبالغ معينة على أصحاب الحوانيت والتجار(٧١) هذا عن الاحتفالات الدينية والتي شاركت فيها الطبقات الشعبية وكانت متنفسا لها من المعاناة والفقر والفاقة التي كانت تحياها هذه الفئة

وهنا نوع آخر من الاحتفالات والأعياد التي شاركت فيها الطبقات الشعبية على عصر سلاطين المماليك سواء كانت احتفالات خاصة بعودة السلطان من رحلة خارج البلاد ، أو عند عودته منتصرا في احدى المعارك وتوليه السلطنة ، فعند عودة السلطان الناصر محمد (٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م)(٧٢) منتصرا على التتار زينت القاهرة من باب النصر الى القلعة وجاء المغنيون من كل مكان ، وغالى الناس في وضع الزينات وأمر والى القاهرة باقامة عدة أحواض بها سكر وليمون وقام المماليك بالتوزيع على الناس وجاء أهل الريف الى القاهرة للمشاهدة والاحتفال بعودة السلطان الناصر محمد سالما(٧٣) . وفي مثل هذا المناسبة تصدر الأوامر لأصحاب الحوانيت بتبيض حوانيتهم(٧٤) .

وكان يحتفل بشفاء السلطان اذا ألم به مرض ، فقد وقع السلطان لاجين (٦٩٦ هـ/١٢٩٦م) (٧٥) في اثناء لعبه بالكرة وعندما

تماثل للشفاء زينت له القاهرة وفرح الناس بشفائه وبخاصة الحرافيش(٧٦) . وعندما خرج السلطان الناصر للصيد اصيب فى يده ثم عوفى فزينت القاهرة واجتمع ارباب الملاهى بالاتهم واستمرت الافراح لمدة اسبوع(٧٧) . وقد اعتاد بعض السلاطين فى مثل هذه المناسبات توزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين(٧٨) .

اما فى حالة وفاة احد السلاطين فيقام احتفال كبير ويمد سماط عظيم يحضره الامراء والمقدمين والعسكر ، ثم يقبلون الأرض ويد السلطان الجديد ، وتضرب البشائر بالقلعة اعلانا بتولية السلطان الجديد وكالعادة تزين القاهرة بجميع انواع الزينات وذلك قبل دفن السلطان الراحل(٧٩) . وهكذا نرى ان الطبقات الشعبية شاركت فى الاحتفالات السلطانية باقامة الزينات والأفراح وتفننوا فى ذلك حتى اصحاب الحوانيت فقد سارعوا بدورهم بتبيض حوانيتهم وقاموا بتعليق القناديل والشموع وجاء المغنيون بالدفوف من كل حدب وصوب للمشاركة فى هذه المناسبات .

وكان يحتفل بوفاء النيل وكسر الخليج(٨٠) احتفالا كبيرا يشارك فيه اهل القاهرة من الطبقات الشعبية ، فقد كان النيل ولايزال هو قوام الحياة فى مصر ، وكان المصريون يهتمون بقياس مقدار الزيادة التى يسببها فيضان النهر يوما بيوم ، ففى عصر كل يوم يقيس المشرف على مقياس النيل مقدار الزيادة ثم يعلنها المنادون فى شوارع القاهرة واسواق القاهرة حتى يطمئن الناس(٨١) . وهكذا نجد اهتمام المصريين فى عصر المماليك بزيادة منسوب النيل فاذا توقف النيل عن الزيادة فزع الناس واعتراهم القلق وترتب على ذلك ارتفاع الأسعار وندرة الخبز فى الأفران والاسواق ، ويدفع ذلك السلطان الى اصدار اوامره للقضاة والمشايخ والعلماء بالتوجه الى مقياس الروضة حيث يواصلون

تلاوة القرآن والدعاء بزيادة النيل ، ثم ينادى فى الناس بالخروج صباحا للاستسقاء فيخرج الخليفة والقضاه والعلماء ومشايخ الزوايا والصوفية والطبقات الشعبية نساء ورجالا بما فيهم أهل الذمة الى الصحراء(٨٢) .

وعند زيادة النيل ستة عشر ذراعا يعلق على الشباك الكبير(٨٣) ستر اصفر فيكون ذلك علامة الوفاء ويقوم والى الفسطاط بهذا العمل ، وتعتبر تلك الليلة التى يعلق فيها هذا الستر من أبهج الليالى ، ففيها يوقد اهل القاهرة والروضة القناديل والشموع ويستأجرون المراكب وتزين قوارب الأمراء بجميع انواع الزينة ويحضر استادار(٨٤) السلطان ويبيت فى المقياس ، هذا بالاضافة الى حضور جماعة من المقرئين لتلاوة القرآن حول الفسقية بالمقياس، ويغنى المطربون لمن يكون حاضراً فى دار المقياس(٨٥) .

وفى اليوم التالى يحضر السلطان او من ينوب عنه(٨٦) الى دار المقياس ويمد سماطا عظيما من الشواء والحلوى والفاكهة ويتناول الامراء اشهى المأكولات ثم يتخاطف الطبقات الشعبية ماتبقى من هذه المائدة الحافلة بكافة انواع الأطعمة ، وبعد ذلك يبدا الاحتفال بوفاء النيل وكسر الخليج ويذاب زعفران فى اناء به ماء ورد ثم يتناوله صاحب المقياس ويسبح فى فسقية المقياس فيخلق عمود المقياس (اى يدهنه بالعطر) ، ثم يخرج السلطان فيجلس فى الشباك الكبير تحت الستر ويقوم بتوزيع الخلع على والى الفسطاط وعلى رئيس الحراقة السلطانية(٨٧) ورؤساء مراكب الأمراء ، ثم يركب السلطان حراقته ويتبعه الأمراء بحراريقهم ، وتسير مراكب المتفرجين تزفها المغانى والطبول والزغاريد حتى تدخل فم الخليج(٨٨) ، فاذا وصل الى السد يجد نائب السلطنة فى انتظاره ومعه الأمراء ، ثم يكسر السلطان السد وينصرف بعدها

الى التلمة(٨٩) . هكذا يكون يوم كسر الخليج يوما عظيما فى القاهرة تغلق جميع الاسواق للفرجة ويعم الفرح سفر الناس من اهل القاهرة وغيرها لمشاهدة الزينات والاحتفالات(٩٠) ، وتنطلق الزغاريد عالية من النساء تعبر عن الفرحة(٩١) ، وتستمر هذه الاحتفالات سبعة ايام وسبع ليال ينفق خلالها التاجر ما يكسبه طوال السنة فى هذا الأسبوع على الطعام والحلويات والمشاعل والعطور والموسيقيين(٩٢) .

وتنطلق الغوغاء والحرافيش يوم كسر الخليج فى كل مكان وتحدث جلبة وفوضى وتزهق النفوس ويتعرض كثير منهم للغرق فى النيل ، كما ينطلق الحرافيش ويمدون ايديهم الى كل شيء ويتعرضون المارة بالسلب والنهب والضرب وربما تطاولوا على البعض بالقتل(٩٣) . مما سبق يتكشف دور الطبقات الشعبية فى الاحتفالات والاعياد التى كانت بمثابة وسيلة من وسائل تخفيف هموم الحياة عليهم هذا فضلا عما كانت تحصل عليه الطبقات الشعبية من عطايا السلاطين ، وكانت هذه الاعياد والاحتفالات تتسم فى العصر المملوكى الاول بالبهجة والفرحة . وتستغرق هذه الاحتفالات احيانا سبعة ايام وسبع ليال كالاحتفال بكسر الخليج ، وذلك يرجع فى المقام الاول لحالة الاستقرار السياسى والاقتصادى الذى تمتعت به دولة المماليك الاولى وبالتالى انعكس ذلك على اوضاعهم الاجتماعية واحتفالاتهم ومواسمهم هذا فضلا عن استقرار حالة الامن بفضل سياسة السلاطين المعتدلة تجاه الرعايا . وفى العصر المملوكى الثانى تبدلت هذه الصورة الزاهية نظرا لتدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية وانعكاسها على الاحوال الاجتماعية وبالتالى مظاهر احتفالاتهم والتى فقدت جانبا كبيرا من مظاهراتها ورونقها ومن ذلك دوران المحمل الذى سبق الحديث عنه وكانت تشترك فى احيائه جميع الطبقات وتنتظره للفرجة والمرح والترويح عن النفس

ومشاهدة كسوة الكعبة الشريفة ، ومن مظاهر تدهور الاوضاع ظهور ما اطلق عليهم اسم « عفاريت المحمل » الذين كانوا يطرقون الأبواب ويأخذون اموال الناس عنوة فضلا عن تعرضهم للناس فى الطرقات الأمر الذى دمع البعض بالشكوى للسلطان من اجل الغاء هذا الاحتفال بعد ان كان يعد من اهم الاحتفالات لدى مختلف الطبقات .

وقد حظيت اعياد اهل الذمة فى العصر المملوكى بحرية تامة فى الاحتفال باعيادهم . وقد شارك المسلمون اخوانهم الذميين فى احتفالاتهم واعيادهم الأمر الذى يدل على عمق الصلة بينهم فى تلك الفترة . واول اعياد النصارى عيد الشهيد ويكون فى اليوم الثامن من بشنس احد شهور القبط(٩٤) ، ويعتقد النصارى ان النيل لا يزيد فى كل عام حتى يلقى النصارى فيه تابوتا به اصبع من توافد النصارى والطبقات الشعبية من مختلف انحاء البلاد الى شبرا اصابع اسلافهم الشهداء(٩٥) . ومن مظاهر الاحتفال بهذا العيد توافد النصارى والطبقات الشعبية من مختلف انحاء البلاد الى شبرا حيث ينصبون الخيام على ساحل النيل(٩٦) . وقد صور لنا المقريزى يوم عيد الشهيد بقوله : « ولا يبقى مغن ومغنية ولا صاحب لهو ولا ربه ملعوب ، ولا مقى ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ، ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد »(٩٧) . ويفهم مما ذكره المقريزى هنا ان جميع الطبقات كانت تشارك فى الاحتفال بهذا العيد على عصر سلاطين المماليك .

وكانت تباع فى هذا العيد كميات كبيرة من الخمور حيث كان يسرف النصارى فى شربها احتفالا بهذه المناسبة ، لدرجة ان اهل شبرا(٩٨) كانوا يعتمدون فى دفع خراج الارض من مورد بيع الخمور فى هذا العيد(٩٩) . ونظرا لما كان يحدث فى هذا العيد من المفاسد وحوادث القتل ، امر الامير بيبرس الجاشنكير(١٠٠) بابطال عيد

الشهيد ، ومنع الناس من الاجتماع بناحية شبرا وذلك في عام ٧٠٢ هـ/١٣٠١ م ولم يفلح النصارى في اعادته مرة اخرى(١٠١) ، الى ان امر السلطان الناصر محمد بن قلاوون باعادته في عام ٧٣٨ هـ/١٣٣٧ م . ثم ابطل نهائيا في عهد الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون(١٠٢) وذلك في عام ٧٥٥ هـ/١٣٥٣ م ، بعد ان هدم والى القاهرة كنيسة النصارى واحرق التابوت وبداخله الاصبع ، وذلك بحضور السلطان حسن ثم ذرى رماده في النهر ، فبطل عيد الشهيد نهائيا(١٠٣) . وقد شاركت الطبقات الشعبية من المسلمين في هذا العيد على عصر سلاطين المماليك فقد كان بمثابة متنفس لهم وان كان لا يعد عيدا دينيا لهم .

ومن الأعياد الأخرى التى شارك فيها المسلمون اخوانهم النصارى في عصر المماليك عيد النيروز(١٠٤) وهو عيد رأس السنة القبطية ويكون في شهر توت(١٠٥) ، ويرجع الى فترة تاريخية قديمة في التاريخ المصرى . فقد كان المصريون قديما يحتفلون بهذا اليوم اكراما لنهر النيل(١٠٦) .

وللطبقات الشعبية مظاهرها الخاصة في الاحتفال بهذا العيد، فقد كانت تتجمع لتطوف شوارع القاهرة واسواقها وازقتها ، ويختارون احدهم ويطلقون عليه أمير النيروز ويغيرون في صورته وخلقته عن طريق دهن وجهه بالجير او الدقيق ويجعلون له لحية ، وكان يرتدى ثوبا احمر او اصفر ويلبس على راسه طرطورا طويلا ، ثم يركب على حمار وحوله الجريد الأخضر وبيده شيء يشبه الدفتر كانه يحاسب الناس ، ويطوف هذا الموكب بشوارع القاهرة واسواقها ، ويطرق المنازل لاخذ الاموال بالقوة ، واذا امتنع احد عن اعطائهم الاموال اهانوه بصب الماء والتراب عليه وربما اخرجوا صاحب المنزل وراحوا في الحاق الاذى به ويحتمون بالنيروز بقولهم : « ليس فيه حرج ولا احكام تقع »(١٠٧) .

وقد كان السواد الأعظم من العامة(١٠٨) يغنون فى الطرقات ويتراشون بالماء المتنجس ويتراجمون بالبيض ، ويتضاربون بالأخفاف ، ويقطعون الطريق ، فكان هذا اليوم من الأيام التى يلزم فيها أهل القاهرة منازلهم وتتعطل الأسواق عن البيع والشراء وتغلق المدارس حتى يتمكن الأطفال من المشاركة فى هذا العيد باللعب والمرح(١٠٩) ، وقد يكون غلق المدارس خوفا عليهم من هذه الفوضى .

واعتاد الناس فى هذا اليوم الاسراف فى شرب الخمور والمجاهرة بارتكاب المفاسد كمظهر من مظاهر الاحتفال به بصورة فجة ، وقد شارك المسلمون أخوانهم النصارى فى القيام بعمل بعض أنواع من الحلوى فى هذا اليوم كالزلابية والهريسة ، وكان ذلك يتم فى الليل حتى اذا اشرقت الشمس تبادلوا الأطعمة والحلوى وتهادى الأقارب بها ، كما اعتادوا تناول بعض أنواع من الفاكهة مثل البطيخ والخوخ والبلح والرمان والموز والتفاح(١١٠) .

ونظرا لأن الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية كانت تجد فى بعض الاحتفالات والمناسبات منطلقا لها للتنفيس عن احباطاتها الاجتماعية والاقتصادية ، فقد كانت تضرب عرض الحائط بالتقاليد الاسلامية المتعارف عليها ، ومن هنا جاءت بعض المخالفات المذمومة نحو اختلاط الرجال بالنساء فى أثناء اللعب ، أو الخروج الى البرك والخلجان والتعرى هناك أو ارتداء الملابس الرقيقة(١١١) ، الأمر الذى دفع السلطان برقوق(١١٢) الى أصدار أوامره بمعاقبة من يفعل ذلك . ففى عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م نودى فى القاهرة ومصر بعدم اللعب بالماء فى يوم النيروز وهدد من يخالف ذلك بضربه ، وقد قبض على أربعة خالفوا هذه الأوامر(١١٣) ، وفى هذا دلالة على الحرص على منع مظاهر الاحتفال السيئة بهذا العيد .

هذا عن عيد النيروز ومظاهر احتفال الطبقات الشعبية به والمخالفات والمفاسد التى كانت تحدث فيه ، وموقف سلاطين المماليك من هذا الاحتفال . ويلاحظ ان هذا العيد كان يعكس موقف الطبقات الشعبية من سلاطين المماليك وطبقة الاغنياء التى كانت تتعرض للسلب والاعتداء فى هذا اليوم ، وربما كان ذلك راجعا لاحساس الطبقات الشعبية بأن السبب فى تدهور أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية عائد الى هذه الطبقات الحاكمة والارستقراطية الغنية .

وهناك اعياد أخرى احتفل بها النصارى فى العصر المملوكى وشاركهم فيها بعض المسلمين بل وتأثروا ببعض المعتقدات المتعلقة بها، ومنها خميس العهد(١١٤) الذى يحتفل به قبل الفصح بثلاثة ايام وفى هذا اليوم يغسل البطريك ارجل النصارى ، ويزعمون ان المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه ليعلمهم التواضع ، وتطلق عليه الطبقات الشعبية من النصارى خميس العدس . ومن عاداتهم فى هذا الموسم طهى العدس(١١٥) ، وتزدهر أسواق القاهرة فى ذلك اليوم فيباع البيض الملون بكميات كبيرة ، لدرجة ان الغوغاء من الطبقات الشعبية كانوا يقامرون به مما دفع المحتسب الى وقفهم ، هذا فضلا عن ان بعض النصارى يقدمون الهدايا لبعضهم البعض كما يهدون المسلمين انواعا مختلفة من السمك وبخاصة المختلط بالعدس المصفى والبيض(١١٦) .

أما عن سبت النور فقد كان قبل الفصح بيوم ، ويزعم النصارى أن النور يظهر فى هذا اليوم على مقبرة المسيح فتوقد منه مصابيح كنيسة القيامة(١١٧) ، وكان النصارى يجمعون فى مساء ذلك اليوم اوراق الشجر من الريحان وغيره ويبيتونها فى اناء به ماء ويغتسلون به ، ثم يأخذون ما اجتمع من غسلهم ويلقونه فى الطريق ويزعمون ان ذلك يقيهم من الامراض والعين والسحر ، كما كانوا يكتحلون

بالكحل الأسود اعتقادا منهم أنه يزيد فى قوة الابصار ، هذا بالاضافة الى تناولهم الدواء فى هذا اليوم ويزعمون أن ذلك يكون أكثر فائدة من أى يوم آخر ، كما يخرجون الى شواطىء النيل حيث تتعرى النساء والرجال ويدهنون أجسامهم بالكبريت ويجلسون فى الشمس حتى آخر النهار ، وعند الغروب ينزل الجميع فى النهر(١١٨) .

ويحتفل بعيد الغطاس فى الحادى عشر من طوبة(١١٩) فى ذكرى تعميد المسيح عليه السلام على يد يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) فى نهر الاردن)(١٢٠) . وقد تشبه المسلمون بالنصارى فاتخذوا من ذلك اليوم موسما يحتفلون به بالتوسعة على الأهل وادخال السرور على الاطفال لدرجة ان بعض المسلمين كان يغطس فى الماء فى تلك الليلة كما يفعل النصارى(١٢١) .

ويحتفل بعيد الزيتونة أو الشعانين بالتسبيح والدعاء وذلك تخليدا لذكرى دخول المسيح الى القدس راكبا اليعفور (الحمار) والناس بين يديه يسبحون وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر(١٢٢) ، ويخرج فى هذا العيد المسلمون مع اخوانهم النصارى الى حى المطرية حيث يوجد بئر البلسم ويغتسلون حيث يعتقد المسيحيون أن مريم العذراء غسلت فيه ثياب المسيح(١٢٣) . هذا عن أهم الأعياد والمواسم التى احتفل بها النصارى فى عصر المماليك وشاركت فيها الطبقات الشعبية الى جانب النصارى وكانت ذات تأثير واضح فى عادات وتقاليد تلك الفئة بل وفى حياتهم اليومية ، فقد كانت النساء لا تعملن فى ليلة الأحد(١٢٤) ، تأثرا بما كان يفعله المسيحيون آنذاك .

وهناك أعياد أخرى للنصارى احتفل بها فى عهد المماليك وان كانت لم تأخذ مظاهر الاحتفال بالمواسم والأعياد سابقة الذكر نفسها.

وقد شارك فيها المسلمون ايضا الى جانب أخوانهم المسيحيين مثل عيد البشارة والفصح وخميس الاربعين وعيد الخميس والميلاد وحد الحدود والتجلى وعيد الصليب(١٢٥) .

وقد كانت احتفالات اليهود باعيادهم(١٢٦) في عصر المماليك ذات تاثير واضح على الطبقات الشعبية وبخاصة في ممارستهم لحياتهم اليومية ، ومن ذلك أعتياد بعض نساء المسلمين عدم شراء السمك أو اكله او ادخاله بيوتهن يوم السبت ، وعدم دخول الحمام او شراء الصابون او غسل الملابس فى هذا اليوم(١٢٧) .

ومن الملاحظ ان الاحتفال باعياد اليهود كان مقتصر عليهم وحدهم ، وان كنت ارى ان انفراد اليهود بإحتفالاتهم يرجع فى المقام الاول الى كونها احتفالات ذات طابع ديني يستمد اصوله من الكتب المقدسة اليهودية ، ومن طبيعة العقيدة اليهودية انها عقيدة مغلقة الأمر الذى جعل معتنقى اليهودية يحتفلون باعيادهم بخصوصية ، فضلا عن اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار وباقى الديانات السماوية الأخرى من مسلمين ومسيحيين هم ادنى منهم مكانة وكرامة عند الله عز وجل .

اما الاحتفالات الأسرية التى ميزت الحياة الاجتماعية للطبقات الشعبية في القاهرة على عصر سلاطين المماليك فمن أهمها الاحتفال بالزواج(١٢٨) ، وقد كان للخاطبة فى العصر المملوكي دور كبير فيما يسبق الزواج من اختيار العروس واتمام الخطبة ، وذلك لأن التقاليد في ذلك العصر لم تكن تسمح للعريس بمشاهدة العروس الا بعد عقد القران والزفاف ، ولهذا لجأ من يرغب فى الزواج الى الخاطبة، والتى كانت تتظاهر ببيع لوازم النســاء فيتاح لها دخول البيوت والاطلاع على شئون النساء الخاصة ، ولهذا فانها تعرف كل حرة وعاهرة وكل مليحة بمصر والقاهرة(١٢٩) .

وكانت الخاطبة تستطيع أن تأتى العريس بالعروس التى تناسبه اجتماعيا واقتصاديا ، وقد ذكر بعض الباحثين بعض الحالات التى قامت الخاطبة فيها بغش العريس من خلال تزويجه بعروس قبيحة فيصف ابن دانيال ذلك بقوله : « فاذا كشف عن وجهها الخمار ، شهقت شهيق الحمار .. مانف كالجبل ومشافر كمشافر الجمل ولون كلون الجمل(١٣٠) ، واجفان مكحولة بالعمش واسنان كاسنان التمساح »(١٣١) .

وهناك مواصفات معينة لدى جميع طبقات الشعب المصرى فى عصر سلاطين المماليك فى اختيار الزوجة ، منها أن تحافظ على مال زوجها وأولاده ، وتحسن اعداد الطعام ، وتهيىء له نوما مستقرا ، وتكون مشاركة الهم والحزن ، وتحفظ اسرار زوجها ولا تبيح بها ، وتقف بجانبه فى أزماته ومرضه(١٣٢) وقد اتفقت مختلف الطبقات على صفات معينة لابد أن تتوافر فى الزوجة فالبعض كان يرغب فى عروس « درية اللون » ، حسنة الكون ، ملمومة البدن ، لا رقيقة ولا مفرطة السمن ، اسيلة الخد(١٣٣) ، قائمة النهد(١٣٤) . وقد خلف ابن الحاج ذلك فذكر ان بعضهم اتخذ عادة مذمومة وهى أن المرأة اذا اتت الى فراشها بعد ان كانت تعشت وملأت جوفها فتأخذ عند دخولها الفراش لباب الخبز فتفتته مع جملة حوائج أخرى فتبتلع ذلك بالماء اذ انها لا تقدر على اكله لكثرة شبعها حتى لم تترك موضعا لسلوك الماء فمن الغالب من يريد السمن منهن .

وقد اتفق أهل القاهرة من المسلمين على الأخذ بالحديث النبوى الشريف « تنكح المرأة لاربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت (١٣٥) يداك(١٣٦) » .

ويبدو أن العروس لم يكن لها رأى فى اختيار شريك حياتها ، بل ان الرأى الأول والاخير كان لوالدها ، وربما شاركت الأم زوجها الرأى(١٣٧) . وبعد الانتهاء من فترة الخطبة تلتى مرحـــلة عقد القران(١٣٨) . هذا وقد فضل كثير من الناس عقد الانكحة فى المساجد ، فكانوا يحضرون معهم المباخر المفضضة التى يحرقون فيها البخور وبعد الانتهاء من عقد القران يقام احتفال كبير بتلك المناسبة(١٣٩) .

وفى العصر المملوكى كان يقوم بعقد الأنكحة ، العاقد (المأذون) حيث كان يتفرغ لكتابة عقود الزواج كمصدر للرزق ، والى جانب المأذون وجد القاضى الذى قام بنفس مهمة المأذون وبخاصة عقد قران السلاطين والأمراء(١٤٠) .

ويلاحظ أن أغلب عقود الزواج كانت مهورها مؤجلة مما يدل على تردى الحالة الاقتصادية التى كانت عليها مدينة القاهرة فى ذلك الوقت ، فضلا عن أن معظم عقود الزواج التى عثر عليها كانت للطبقة العليا فما بال الطبقات الشـــعبية فى عصـــر المماليك الجراكسة . ومما يدل على تردى الحالة الاقتصـــادية ما ذكره المقريزى انه منذ عام ٦٩٦ هـ/١٢٩٦ م حدثت سلسلة من القحط والغلاء والوباء(١٤١) ، فتزايدت بسببه الاسعار حتى اضـــطر السلطان الى جمع ذوى الحاجات وتفريقهم على الأمراء كل أمير يأخذ ما يتناسب مع رتبته ، فأمير المائة يتولى أمر مائه فقير ، وأمير الخمسين يتولى أمر خمسين فقيرا وهكذا(١٤٢) . وفى اول شهر رجب عام ٧٢٦ هـ/١٣٣٥ م وقع الغلاء بالقاهرة فى ايام الملك الناصر محمد وعز القمح ووصل كل اردب الى سبعين درهما ، والخبز كل خمسة أرطال بدرهم ولا يكاد يوجد ، وعدم القمح من الاسواق ، فضج الناس للسلطان واستغاثوا ، فجمع الأمراء وقال

لهم(١٤٣) . ثم وقع الغلاء في ايام الملك الاشرف شعبان ، بسبب قصور النيل ، فانحط الماء وارتفع السعر ، وعزت الاقوات ، وقل موجودها(١٤٤) .

من الفقرات السابقة التي أوردها المقريزي دلالة واضحة على سوء الاحوال الاقتصادية في مصر المملوكية منذ عام ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م الى عام ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م اى أن فترة القحط استمرت ثمانين عاما ، وقد استشرت في هذه الفترة الرشوة في الخطط السلطانية ، والمناصب الدينية وازدادت حيل المزيفين للعملة المملوكية(١٤٥) .

وقد أشار ابن الحاج الى ان معظم البنات كن يحرصن على عدم الصيام خشية تعرض اجسامهن للضعف والنحافة وبخاصة من عقد عليها زوجها ولم يدخل بها(١٤٦) . وتأتي بعد ذلك الخطوة الثالثة بعد عقد القران ، وهي اعداد منزل الزوجية وتأثيثه ، ويبدو أن ذلك كان يتم حسب ثراء العريس ، وقد خصصت في القاهرة عدة اماكن لبيع جهاز النساء وشوارهن(١٤٧) . وبعد أن يتم اعداد الشوار(١٤٨) ينقل الى منزل الزوجية على رءوس الحمالين والبغال في حفل يحضره الاهل والاصدقاء كما هي عادة المصريين في هذه المناسبات وبخاصة في العصر المملوكي(١٤٩) ، وبعد الانتهاء من نصب الجهاز وفرش المنزل يسمح بالدخول لمشاهدته(١٥٠) . وكان جهاز العروس من الطبقات الشعبية ليس كجهاز ذوى اليسار بل هو على شيء من السذاجة والبساطة وذلك لاقتصار الطبقات الشعبية في تأثيث بيوتهن على حصيرة وطراحة(١٥١) وبعض المساند او المخدات ،المحشوة بالياف نباتية ، كما يستخدم الفقراء جلد حيوان رخيص كفراش للأرض ، كما يستخدمون بقايا اقمشة قطنية توضع طبقات فوق بعضها حتى تكون فرشة النوم(١٥٢) .

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة أخرى وهى ليلة الزفاف ويتوجه العريس الى منزل العروس حيث يأخذ العريس عروسه الى منزل الزوجية بصحبة الأهل والأصدقاء(١٥٣) . أما عرس الطبقات العليا فتقام وليمة كبيرة يطلق عليها وليمة العرس ، وهى عبارة عن وليمتين احداهما للنساء وتقام فى بيت العروس واحيانا تكون فى منزل خال العروس ، والأخرى للرجال وتكون فى منزل العريس ، وربما تقام الوليمتان فى منزل واحد(١٥٤) . وبعد الانتهاء من تناول الطعام يتوجه العريس الى منزل العروس فى حفل كبير يحضره الأهل والأصدقاء(١٥٥) ، حيث زين منزل العروس بالبسط والمقاعد والدكك والقناديل(١٥٦) ، وتتصدر العروس ذاك الحفل بعد ان تستكمل زينتها(١٥٧) اذ يقوم بعض أهلها بتكحيلها وتمشيطها وتحفيفها ، ثم إلباسها أفخر الثياب المطرزة ، وفى نهاية الحفل يأخذ العريس عروسه الى منزل الزوجية بمصاحبة الأهل والأصدقاء وزفة موسيقية صاخبة(١٥٨) . وقد خصصت قاعات لاحياء أفراح المسلمين فى العصر المملوكى(١٥٩) ، فى حين كانت تقام أفراح أهل الذمة بالملاهى وفقا لعاداتهم(١٦٠) .

ومن الاحتفالات الأسرية المهمة فى حياة الطبقات الشعبية فى القاهرة على عصر المماليك الاحتفال بقدوم مولود جديد ، اذ نجد الأم تستعد لذلك اليوم باحضار الملابس الخاصة بالطفل أو المهد الذى يربى فيه(١٦١) . وقد جرت العادة على أن يتم الاتفاق مع القابلة (الداية)(١٦٢) على أجر قبل عملية الوضع حتى لا يحدث نزاع حول هذا الأمر ، وقد اعتادت بعض النساء اذا تعسرت المرأة فى الوضع ان يأخذن « لباب الخبز ويجعلن فى قلبه ذبل الفارة ويطعمنها » ذلك اعتقادا بأن ذلك يسهل عملية الولادة(١٦٣) ، فاذا وضعت الأم مولودها أسرعت القابلة بأخذ الملابس التى نزل فيها

المولود(١٦٤) . ومن الأمور المستحبة التأذين فى أذن المولود عند ولادته ، وسر التأذين ان يكون ما يقرع على سمع الطفل كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التى اول ما يدخل بها فى الاسلام ، ومن فوائد التأذين ايضا هروب الشيطان من كلمات الأذان(١٦٥) .

وكان الزوج يحرص على نزول المولود فى ثوب او خرقة أحد الأكابر من أهل العلم والصلاح على اعتقاد ان ذلك يجلب البركة ، اما النساء فيقبلن ويزغدن ويرفعن اصواتهن بالغناء مع الرقص على صوت الدفوف واللهو واللعب ، وصوت المزامير والأبواق على باب المنزل ، ويستمر ذلك لمدة سبعة ايام ، ثم تأتى بعد ذلك مرحلة قطع سرة المولود ، فيجتمع حوله مجموعة كبيرة من صغار الاطفال ويزعمن ان من لا يحصر من الاطفال عند قطعها يصاب بالحول او ويكى كثيرا فى طفولته . اما السكين التى تستعمل فى قطع سرة المولود ، فتوضع عند رأسه مادامت امه جالسة الى جواره ، فاذا قامت حملتها معها ، وتفعل ذلك لمدة اربعين يوما ، حتى لا يصيبها شيء من الجان(١٦٦) .

وبعد مرور اسبوع على ولادة المولود (اسبوع) يقام حفل ترتدى فيه الام ثيابا جديدة ، وتطوف فى ارجاء المنزل ومن حولها الشموع ، ومن أمامها القابلة (الداية تحمل المولود ، وامام القابلة إمرأة أخرى معها طبق فيه ملح مخلوط بالكمون تنثره فى انحاء المنزل يمينا ويسارا ، هذا فضلا عن البخور المخصص للولادة ، ويعتقد ان ذلك يقى من الأمراض والكسل والعين والجان(١٦٧) . ولا شك فى أن مظاهر احتفال الطبقات الشعبية بمثل هذه المناسبات لا تختلف عنها لدى طبقة الأغنياء سوى فى بساطة لجراءات الاحتفال ، وعدم الاسراف فى التكلفة المالية لهذه المظاهر .

ومن الاحتفالات الاخرى التى حظيت باهتمام مختلف الطبقات فى مصر سلاطين المماليك يوم الاحتفال بختان الطفل(١٧٠) ، ويتم ذلك بعد اسبوع من ميلاده(١٦٩) ، وفى العادة كان يقوم بختان الطفل فى هذا العصر « المزين »(١٧٠) ، وبعد الختان يقام احتفال كبير يحضره الاهل والاصدقاء ، وفى هذه المناسبة يتم تقديم النقوط لاهل الطفل ، فيضعون هذه النقوط فى « الطشت الذى يختتن فيه الطفل »(١٧١) . وفى الغالب يقدم هذا النقوط فى هذه المناسبات كنوع من التعاون والتكافل الاجتماعى بين الطبقات الشعبية .

وبقدر ما اظهرت الطبقات الشعبية على عصر سلاطين المماليك فرحتها وبهجتها فى احتفالاتها واعيادها وافراحها ووسائل لهوها ، كانت احزانها عميقة ، فاذا مات احـــد الافراد اظهرت عائلته حزنها الشديد عليه . فيجتمع جيران واصدقاء المتوفى لتعزية اهله ، فاذا حضرت احدى المعزيات دخلت وهى تلطم خدها فتستقبلها النســـاء المجتمعات فى منزل المتوفى بما فعلته نفســه من البكاء والعويل والنواح على الميت ، ويظلون على ذلك فترة طويلة(١٧٢) .

ولاظهار الحزن على الميت كانت النساء تلجا الى دهن اجسادهن بالسخام(١٧٣) وارتداء السواد الى جانب ســكب التراب على رءوسهن وتلطيخ البيوت بالسواد(١٧٤) ، واذا دخلت الغاسلة أو الغاسل(١٧٥) ليؤديا عملهما وهو تغسل الميت واعداده للدفن تطلق النساء صيحة عالية مل ويدخل بعضهن على الغاسلة بالشـــتم والضرب « ويقلن لها يا وجه الشؤم فتقول لهن انما رايت الشؤم منكن » ، وكانت تاخذ حذرها وتحتمى منهن(١٧٦) ، ويبدو أن اهم ما كان يحتاج اليه الغاسل او الغاسلة هو القطن والســـدر والكافور(١٧٧) ، وبعد تغسيل الميت واعداده للخروج يحمل على النعش ، ثم يحضر شخص يطلق عليه « المدير » وظيفته تزكيه

الميت بعبارات مثل السعيد او الشهيد او القاضى ، او الصالح العابد ، كهف الفقراء والمساكين ، وللمرأة السعيدة الشهيدة الى غير ذلك من العبارات التى يطلقها فى هذه المناسبة(١٧٨) .

وعند تشييع الميت لمثواه الأخير يطلق اهل الميت رجالا ونساء الصراخ العالى ويسمون ذلك وداعا للميت(١٧٩) ، وعند خروج الجنازة يتحرك وراءها المشيعون وهم يصيحون ويبكون ، ومعهم عدد كبير من النساء يتعون وينوحون فى الشوارع والاسواق ، وامام ما كان يحدث من النساء فى الجنازات مما يخالف اصول الشريعة الاسلامية تشدد المحتسب فى منع النساء من الخروج فى الجنازات(١٨٠) .

وتستمر الجنازة فى السير حتى يصلوا الى موضع يسمونه ترب « الوداع » فيقف اهل الميت لتلقى العزاء ، وكان البعض يسبق الجنازة الى القبر ، والبعض الآخر يستمر فى السير وراء الجنازة حتى مثواها الاخير ، حيث يحمل النعش الحمالون ويجرون به لدرجة ان الميت يهتز داخل النعش(١٨١) .

وقد تفنن أهل القاهرة المملوكية فى التجهيز للمآتم وغالبا ما كانت تقام تلك المآتم مصحوبة بالمغانى والندابات اللائى يضربن بالطارات والدفوف ويلطمن على الخدود(١٨٢) ، ويتعالى صوت « النائحة » بالعديد على رنين الطارات قائلة(١٨٣) ، ويستمر الحزن على المتوفى لمدة سنة كاملة ، لا تختضب فيها النساء بالحناء ، ولا يلبسن الثياب الحسان ولا يتطيبن ولا يدخلن الحمام ، وبعد مضى السنة يقمن بما أعتدن فعله بصورة طبيعية ، ويسمون ذلك « بفك الحزن » الذى يعقبه الاستمتاع بمختلف مظاهر الفرح والسرور(١٨٤) .

وهناك بعض العادات التي ارتبط بها معظم أهل القاهرة في حالة الحزن ، فقد اعتاد البعض اذا كان الميت عريسا أو عروسا ، وضع خشبة عند راس الميت تكسى ببعض الملابس التي كان يرتديها الميت في حياته ، ثم يجلسون ويبكون ويتأسفون على وفاته(١٨٥) .

هذا وقد حرص أهل القاهرة على زيارة الميت يوم الجمعة اعتقادا منهم ان الميت لا يطيب خاطره بين الموتى اذا لم يحضر أهله لزيارته ، هذا بالاضافة الى تحريم أكل الملوخية حزنا على المتوفى ، ويعللون ذلك بانها « محمعة الأحباب » وفي تناولها تذكره بالميت وتجديدا للأحزان ، كذلك حرموا على انفسهم تناول السمك طوال فترة الحزن . وكان البعض يضع في المكان الذي غسل فيه الميت رغيفا ووعاء به ماء ثلاث ليال بعد موته ، والبعض كان لايغسل ثياب الميت الا في اليوم الثالث اعتقادا منهم أن ذلك يرد عنه عذاب القبر(١٨٦) .

وبالرغم من سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للطبقات الشعبية في ظل حكم المماليك ، الى جانب الأوبئة والمجاعات التي حدثت من وقت لآخر والتي كانت تحصد اغلبهم ، رغم كل ذلك لم تفقد الطبقات الشعبية روح المرح والتسلية بالاستمتاع ببعض وسائل الترفيه عن النفس ، وهذه السمة ظلت بلسما للطبقات الشعبية الكادحة المصرية ومتنفسا لها في الاحتفالات الكثيرة التي حظى بها العصر المملوكي . فقد اطلق الرحالة ابن بطوطة وصفه لأهل مصر على اختلاف طبقاتهم بانهم « ذوو طرب وسرور ولهو »(١٨٧) .

وبرغم انتشار الأوبئة والأمراض وانخفاض منسوب النيل ، ومع ما نتج عن ذلك من ارتفاع في الأسعار لم تتوقف الطبقات

الشعبية عن الغناء(١٨٨) ، ففى مجاعة عام ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠ م(١٨٩) كانت الطبقات الشعبية تخرج فى الشوارع وهم يضحكون ويهزلون(١٩٠) ، وهكذا وجدت الطبقات الشعبية فى الضحك والمزاح وسيلة لمجابهة الكوارث والترويح عن النفس .

وظهرت هذه الروح بوضوح فى بعض الألقاب التى أطلقتها الطبقات الشعبية على بعض أمراء المماليك على سبيل التهكم مثل الأمير سيف الدين مكتمر الناصرى(١٩١) الذى أطلقوا عليه اسم « الثم الأسود » ، وناصر الدين(١٩٢) الذى سموه « فأر السقوف» والأمير طشتمر البدرى(١٩٣) الذى عرف باسم « حمص أخضر » والأمير قطلوبغا الفخرى(١٩٤) الذى سمى « بالفول المقشر » .

وحتى عندما يأمر السلطان بعض الطبقات الشعبية بالعمل سخرة فى بعض الأعمال ، كانوا يخرجون على هيئة طوائف تصاحبها بعض أدوات الغناء مثل الدفوف والمزامير(١٩٥) ، وقد كان أصحاب أدوات الغناء وسيلة تخفف عنهم عمل السخرة .

وقد تعددت وسائل التسلية واللهو فى العصر المملوكى ، فكان منها خيال الظل(١٩٦) ، وهو التسلية المفضلة لدى جميع الطبقات(١٩٧) . وقد ارتبطت هذه التسلية فى بداية الأمر بسراة الناس وأثريائهم الذين كانوا يستقدمون المخايلين (اللاعبين بخيال الظل) فى احتفالاتهم(١٩٨) ، وشغف به كثير من سلاطين المماليك ، فالسلطان الناصر أبو السعادات(١٩٩) ، أرسل يحضر اليه أبو الخير ومعه خيال الظل لمشاهدته عروضه(٢٠٠) .

على حين نجد أن بعض سلاطين المماليك مثل الظاهر جقمق(٢٠١) وجد فى تمثيليات خيال الظل عملا يتنافى مع الأخلاق والدين ، ولذلك أمر بجمع أصحاب خيال الظل وأحرق جميع ما معهم

من الشخوص المصنوعة للخيال ، مع تحذيرهم بعدم العودة الى التسلية منه(٢٠٢) . وربما كان ذلك راجعا الى ان كثيرا من بابات (تمثيليات) خيال الظل كانت تتضمن عبارات خارجة عن الأدب والذوق فضلا عن بعض عادات المصريين غير المقبولة . ثم سرعان ما اصبح خيال الظل التسلية الشعبية المفضلة لدى الطبقات الشعبية فقد كثر المخايلون وانتشروا بالقرى والأحياء وفى موالد الاولياء والمناسبات الدينية والقومية وحفلات العرس والختان(٢٠٣) .

وقد عبرت الطبقات الشعبية من خلال خيال الظل عن فرحتها وحزنها وطموحها وتكوينها الوجدانى(٢٠٤) . ولم تكن وظيفة خيال الظل تقتصر على تقديم الحكايات الهزلية الفكاهية المقصود بها التسلية والترفيه ، بل تجاوزت ذلك الى تقديم بعض التمثيليات بهدف الوعظ والعبرة ، وقد حازت هذه الاعمال اعجاب مختلف الطبقات(٢٠٥) .

ونظرا لارتباط لعبة خيال الظل الوثيق بمخيلة الطبقات الشعبية فقد استغلها بعض الصوفية فى الرمز الى زوال الحياة الدنيا كقولهم للحياة الدنيا « انها خيال كخيال الظل ، ظل زائل ، وان الناس فى الدنيا كاللاعبين وراء الستار »(٢٠٦) .

ومن وسائل التسلية الاخرى التى شغفت بها الطبقات الشعبية على عصر سلاطين المماليك سماع السير والحكايات الشعبية(٢٠٧)، والنوادر المضحكة ، والقصص ، فقد كان القصاصون يلقونها على مسامع الناس فى مجالس سمرهم فيهتزون طربا لما تحمله هذه القصص فى ثناياها من أحداث تعوضهم عن واقعهم المؤلم وتحيى فى نفوسهم الامل ، وتنتقم لهم من رموز الظلم والعدوان ، كما تنال من العدو ومقدساته وأبطاله(٢٠٨) .

ومن امثلة هذه السير ، سيرة الظاهر بيبرس وعنترة التى ترتبط بمفهوم البطولة والفروسية وذات الهمة وقصص بنى هلال وحكايات الجان فى الف ليلة وليلة . وهذه السير والقصص والحكايات كانت بمثابة مورد لا ينضب لعامة الطبقات الشعبية(٢٠٩) .

ويعتبر حى بين القصرين(٢١٠) احد الأماكن التى كانت الطبقات الشعبية تتردد عليها ، فكانت تعقد فيه ندوات لقراءة السير والأخبار وانشاد الأشعار(٢١١) . وقد وجد فى عصر المماليك ايضا بعض الأشخاص ذوى الهيئة المضحكة كانوا يلقون النوادر المضحكة وبعض الحكايات المرتبطة ببعض الأشخاص نحو جحا وقراقوش وغيرها(٢١٢) .

ولم تقتصر مثل هذه النوادر على الرفاق والأصدقاء فحسب بل تعدت ذلك الى الساسة والحكام من سلاطين المماليك ومن هذا ما قيل فى مقتل السلطان حسن(٢١٣) ، الذى كان فيه ميل للهو وشغف بالنساء ، اذ قال احد الشعراء متهكما : لما اتى « للعاديات » وزلزلت حفظ « النساء » وما قرا « للواقعة »(٢١٤) . وهكذا يتبين كيف كان لوسائل الترفيه وروح المرح والفكاهة تاثيرا واضحا فى تخفيف وطأة سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للطبقات الشعبية فى معظم فترات حكم دولة المماليك .

وقد لهى الناس فى ذلك العصر بمجموعة من الألعاب التى لها طابع المقامرة ، مثل تطيير الحمام ، ومناقرة الديوك ، ومناطحة الكباش والثيران ، ولعبة « المعالجة » أى لعبة رفع الأثقال(٢١٥) .

وانتشرت هذه الألعاب بين الطبقات الشعبية ، فقد ورد فى احدى بابات خيال الظل لابن دانيال الذى صور فى بابه « المتيم

والضائع اليتيم » مناقرة الديوك ومناطحة الكباش ، خلال عرضه لكيفية اعداد كل من المتيم واليتيم ديكه لخوض لعبة « النقار » ويبدو أن عشاق هذا اللون من اللهو من اهل الثراء كانوا يسرفون فى العناية بهذه الديوك(٢١٦) .

وتوضح هذه البابة طبيعة هذه المناقرة ، وكيفية الظفر فيها فيقول ابن دانيال على لسان (زيهون) احد شخوص البابة ان احسن ما يسر السوقة والملوك ، مناقرة الديوك لأنها مناضـــلة ومقاومة ومعازلة ، فحينا يصطدم الديكان ، ويصبران على الاقدام يفوز من يصمد ويخسر من يهرب ، ويلجا الى الفرار وربما يتبدل الحال للمغلوب بعد ذلك(٢١٧) .

ومن الرياضيات التى تسلى بها الناس فى عصـــر المماليك « المصارعة » فقد كان السلطان المظفر حاجى(٢١٨) يحضر الاوباش بين يديه لممارســة هذه اللعبة ، وكان يرتدى تبان من جلد (سراويل قصيرة) ويتعرى من جميع ثيابه ويشاركهم فيها(٢١٩) .

وتلهى الناس فى ذلك العصر ايضا بألعاب النبابة الذين يلعبون بالدبابة ، والقرادة ، وهم الذين يلعبون بالقرود(٢٢٠) ، كما انتشرت العاب الحواة فى العصر المملوكى واقبلت عليها الطبقات الشعبية حيث كانوا يلعبون بالثعابين وغيرها من الزواحف التى يستطيعون ترويضـــها وقد خلع الســـلطان الناصـــر محمد بن قايتباى(٢٢١) على حاو احضر اليه الحيات لمشاهدتها(٢٢٢) .

وهناك العاب أخرى شغفت بها الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى مثل الالعاب البهلوانية والتى كانت تعرض فى الشوارع والميادين العامة ، فقد روى أن رجلين من الطبقات الشعبية قد

تصبا حبلا على احدى المآذن ومشيا عليه ، وقد حضر السلطان الأشرف برسباى(٢٢٣) وتجمع الناس لرؤيتهما ، وعد ذلك من النوادر(٢٢٤) .

وفى باب اللوق(٢٢٥) كان يجتمع أصحاب الحلق(٢٢٦) وأرباب الملاعب والحرف كالمشعوذين ، والمخايلين والحواة وغير ذلك ، فيجتمع الناس للفرجة والمفاسد(٢٢٧) . مما سبق يتضح أن الألعاب المهلوانية عرفت فى القاهرة على عصر سلاطين المماليك وانتشرت على نطاق واسع وشغفت بها الطبقات الشعبية فضلا عن طبقة المماليك .

أما الألغاز والأحاجى(٢٢٨) ، فقد كانت لونا من الوان الترويح شغف بها الناس ولقيت رواجا بين الطبقات الشعبية ويستغل الملغز ما يعطيه اللغز من معان مختلفة ودلالات متباينة(٢٢٩) .

فالألغاز(٢٣٠) عبارة عن مسألة تتطلب حلا لما تنطوى عليه من غموض ، وهى ليست مجرد احجية(٢٣١) لفظية تطرح للتسلية فحسب(٢٣٢) ، كما توجد الألغاز بكثرة فى ثنايا الحكايات الخرافية والسير الشعبية(٢٣٣) .

وقد شاعت فى العصر المملوكى لعبتان اقبل عليهما السلاطين والطبقات الشعبية معا وهما النرد(٢٣٤) والشطرنج(٢٣٥) ، ويصف ابن دانيا اغراء لعبة النرد وكيف انها تلهى الانسان عن كل شىء حتى عن اداء الفروض الدينية من صوم وصلاة وما قيل فيها(٢٣٦)، كما وصفها ابن الحاج بانها لعبة تضييع الوقت(٢٣٧) ، هذا وقد تفوق كثير من الناس فى مختلف فنونها(٢٣٨) .

ومن وسائل التسلية الاخرى التى شاعت على عصر سلاطين المماليك الغناء والموسيقى التى شاركت الطبقات الشعبية سلاطين

المماليك فى الاســـتمتاع بها(٢٣٩) ، وقد بلغ من ولع الطبقات الشعبية بالغناء والموسيقى أن البعض كان يحمل معه فى القوارب الآلات الموسيقية ، فيضرب البعض بالطار والبعض الآخر بالشبابة أو المزمار مع الغناء والانشاد(٢٤٠) ، وارتكاب بعض المفاســد ، مما دفع الأمير بيبرس الجاشنكير ، الى اصدار أوامره بمنع المراكب من دخـــول الخليج الحـــاكمى محملة بالخمـــور ومختلف الآلات الموسيقى(٢٤١) . وقد كان للمطربين والمطربات مكان معلوم يذهب اليه من يريد سماعهم ، وكانوا ينتظرون لحين حضور المطرب الذى يريدونه لاحياء احدى الحفلات أو الأفراح ، وقد زعم البعض أن من يمر بهذا المكان لا تقضى له حاجة(٢٤٢) ، تعبيرا عن فساد أهل هذه المهنة .

والى جانب الغناء فى حفلات الختان والأفراح وغيرها هناك ما يعرف بأغانى العمل ، فقد روى أن بعض العمال لم يستطيعوا جر عمودين ضخمين فى أثناء القيام بتشييد أحد الأبنية تحت القلعة، وعندما رددوا بعض الأغانى فى أثناء العمل تم جر العمودين ، فأطلقت النساء الزغاريد ابتهاجا بذلك ، وأنشدت أغنية تداولتها الألسنة فترة طويلة بعد ذلك(٢٤٣) .

وقد عد الرقص من وسائل التسلية والترفيه فى عصـــر سلاطين المماليك ، وكانت للطبقات الشعبية رقصاتهم التلقائية التى يعبرون من خلالها عن استيائهم لبعض الأوضاع كارتفاع الأسعار ، أو فرض الســـخرة فى أداء بعض الأعمال ، كما حدث فى عهد السلطان قايتباى(٢٤٤) فقد اشتد غلاء الدقيق والقمح ، وبيع خبز الذرة الذى لم يعهد بيعه من قبل ، وكان ذلك فى عام ٨٩٢ هـ/ ١٤٨٧ م ، فصنفت الطبقات الشعبية رقصة يرقصونها وهم يرددون

بعض الأغاني(٢٤٥) . كما ضمنت رقصة أخرى في أثناء دوران المحمل ، الذى كان السلطان الغورى(٢٤٦) يشاهد موكبه ، كما كان الناس يحرصون لمشاهدة ما يتضمنه من العاب الرماحة وهم يرقصون ويغنون(٢٤٧) .

كما ولع الصوفية بحلقات الذكر على عصر سلاطين المماليك ، وكان السلاطين يحضرون مجالس غنائهم وينعمون عليهم بالأموال ويشاركونهم — أحيانا — رقصاتهم وأناشيدهم(٢٤٨) . كما شارك بعض السلاطين الطبقات الشعبية في رقصاتهم وانشادهم فقد روى أن أحدهم نزل بأحد الخوانق الذى كان يجمع فيه بعض الفقراء للرقص والانشاد ، فشاركهم فيما يقومون به واستمر السماع طوال الليل(٢٤٩) .

وعلى العكس من ذلك قام بعض السلاطين بمحاربة الرقص ، فقد نهى السلطان الاشرف جقمق(٢٥٠) في عام ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م بعض الصوفية عن الغناء والرقص في زواياهم(٢٥١) .

وقد كان سلاطين المماليك والطبقات الشعبية في القاهرة يخرجون الى الحدائق والمتنزهات والبرك للاستمتاع وممارسة مختلف الالعاب في هذه الاماكن المفتوحة . ومن اشهر هذه المتنزهات ارض الطبالة(٢٥٢) التى تعد من أحسن المتنزهات في عصر سلاطين المماليك ، حيث يمر النيل من غربيها ، فضلا عن قربها من القاهرة فكانت الطبقات الشعبية والسلاطين على حد سواء يقصدونها للتنزه خاصة في ايام الربيع(٢٥٣) .

وتعد بولاق(٢٥٤) أيضا من أماكن التنزه حيث يقصدها الناس ويقيمون بها الاخصاص(٢٥٥) المصنوعة من الخوص ويزرعون حولها الرياحين ويزينونها بالرخام(٢٥٦) . ومن المتنزهات الشهيرة

فى هذه الفترة جزيرة أروى او الجزيرة الوسطى(٢٥٧) ، التى تعد من اجمل المتنزهات هى وجزيرة الروضة التى كان الناس يأتونها من مختلف الانحاء للتمتع بمناظرها الجميلة(٢٥٨) .

ومن المتنزهات التى كانت الطبقات الشعبية تخرج اليها فى ذلك العصر « الخليج الناصرى(٢٥٩) الذى كانت تقام فيه الافراح ومجالس اللهو والغناء ، كما كانت تدر فيه المراكب التى تتنزه فيها مختلف الطبقات(٢٦٠) ، كذلك كانت هناك متنزهات اخرى عرفتها القــــاهرة فى تلك الفترة هى بركة الحبش(٢٦١) والأزبكية(٢٦٢ والرطلى(٢٦٣)) .

وقد اهتم الناس فى ذلك العصر اهتماما بالغا باستغلال النيل والتمتع بمناظره وهوائه ، فلجأ بعضهم الى استئجار القوارب حيث اللهو والتسلية(٢٦٤)

ولم تقتصر اماكن اللهو والتنزه على الاماكن سابقة الذكر ، فقد عدت طائفة من اهل القاهرة القرافة(٢٦٥) مكانا للهو والترويح عن النفس ، فاعتادت الخروج اليها لاسيما فى الليالى المقمرة(٢٦٦). ولهذا نجد كثيرا ما نودى بالقاهرة بمنع النساء يوم العيد من الذهاب الى القرافة(٢٦٧) . هذا عن اشهر اماكن التنزه والترويح فى القاهرة والتى ارتبطت بها مختلف الطبقات ووجدت فيها متنفسا ومكانا للتسلية والمرح .

ومن الظواهر التى انتشرت بصورة واضحة ابان العصــر المملوكى ظاهرة الاعتقاد فى الاولياء والمشــايخ والاســتعانة بهم لقضاء الحاجات وتحقيق الرغبات(٢٦٧) . وربما كان شيوع افكار التصوف والمتصوفة احد الاسباب فى ذيوع هذه المعتقدات ، اذ روج الصوفية لما يسمى « بكرامات الاولياء » الذين كانوا يقومون وفقا لما يروى عنهم باعمال خارقة لقوانين الطبيعة المعروفة(٢٦٩) .

وقد ساد الاعتقاد فى وجود قدرات خاصة للأولياء بين السلاطين الى جانب وجوده فى المعتقد الشعبى لدى الطبقات الشعبية فى تلك الآونة وهنا يكمن سبب لجوء مختلف الطبقات الى هؤلاء الأولياء فى اوقات الأزمات وعلى سبيل المثال عندما ينخفض منسوب مياه النيل ، فقد روى ان النيل قد انخفض منسوبه وكان بالقاهرة شيخ(٢٧٠) يعتقد فى كراماته فتوجه اليه الناس يسألونه ان يدعو الله تعالى بوفاء النيل ، فلما زاد منسوب المياه ميه فى اليوم التالى زاد اعتقاد الناس فى مكانته وكراماته(٢٧١) .

كذلك حينما تحل كارثة الطاعون أو ترتفع عن مقدور الطبقات الشعبية فى القاهرة فكانوا يجدون فى الأولياء ملاذاً ، ويتوسلون بهم فى الدعاء الى الله تعالى فى تفريج هذه الكروب وقد كان اعتقاد الناس بقدرات الاولياء يزداد رسوخا كلما صدقت بعض توقعاتهم تجاه المستقبل أو اتوا بعمل معجز يفوق قدرات البشر . فقد حدث ان توقع أحد الأولياء وهو الشيخ على الروبى بأن الطاعون سيحل فى يوم محدد فى احد الشهور ، وحينما صدق توقعه زاد اعتقاد الناس فيه(٢٧٢) .

ومما يروى ايضا عن قدرات الأولياء ان الشيخ نجم الدين أبى الغنائم(٢٧٣) كان يملك شاه كبيرة مزل عليه ذات يوم أحد الفقراء فحلب له منها لبنا لاطعامه ، وحينما طلب عسلا قيل انه حلب منها عسلا ايضا ، وقد أطلق عليه بعد هذه الواقعة اسم « غانم » او « أبو غانم »(٢٧٤) .

وكثيرا ما قصد الناس على اختلاف طبقاتهم مزارات الأولياء والمشايخ وبخاصة لمصحاب العاهات ومرضى الجذام الذين تزاحموا على ابوابهم طلبا للشفاء(٢٧٥) .

ويصف ابن جبير ما شاهده من اقبال الناس عند مشهد

الحسين واستسلامهم للقبر وتمسحهم بالكسوة التى عليه وطوافهم حوله متوسلين الى الله تعالى ببركة المشهد الحسينى(٢٧٦) ، سواء لتحقيق رغبة فى الانجاب أو طلبا لرمع الدين ، وكانوا يحملون معهم النذور من الزيت وغيره من أصناف النذور الاخرى(٢٧٧) .

وقد تنافس الناس على اختلاف طبقاتهم فى شراء ملابس الأولياء بعد وفاتهم رغبة فى الاحتفاظ بها على سبيل البركة(٢٧٨) .

ولم يقتصر الاعتقاد فى الأولياء على الشيوخ منهم فحسب بل ساد الاعتقاد بين طائفة كبيرة من الناس فى وجود كرامات للأطفال أيضا ، فقد روى أن أهل القاهرة كانوا يعتقدون فى طفلة صغيرة قيل انها كانت ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام مرات عديدة ، كما تناقل الناس قصصا مختلفة عن ظهور بعض الكرامات لها كشفاء المقعد ورد البصر للأعمى ، وقد توافد عليها أهل القاهرة من كل حدب وصوب(٢٧٩) .

ونظرا لرسوخ الاعتقاد فى كرامات وقدرات الأولياء والمشايخ فى العصر المملوكى ، فقد اشتد الحرص على احياء الموالد السنوية لهؤلاء الأولياء وذلك فى الجهة التى يكون بها قبر الولى أو الشيخ المحتفى به ، وكان الهدف الأساسى من اقامة هذه الموالد هو تكريم أصحابها واحياء ذكراهم(٢٨٠) .

وكثيرا ما كانت تحدث المفاسد فى هذه الاحتفالات ، كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك مما يتعارض مع الشريعة الاسلامية ، والدليل على ذلك ما ذكره بعض المؤرخين مرتبطا بمولد الشيخ الانبابى الذى عثر بعد انقضاء الاحتفال بمولده على كثير من جرار الخمر ، هذا عدا ما كان فى تلك الليلة من الزنا واللواط(٢٨١) .

وقد صحب هذه الاحتفالات جمع بعض الأموال من الأغنياء والموسرين ، الأمر الذى أثار سخط هذه الطبقة ودفعها الى الدعوة

الى الغاء مثل هذه الاحتفالات . وقد عبر أحد الاغنياء عن هذا الموقف بقوله : « لقد سمئت نفوسنا من كثرة سؤال هؤلاء المشايخ الذين يعملون لهم الموالد ، فلم يتركوا عندنا عسلا ولا ارزا ولا عدسا ولا بسلة ، وايش قام على هؤلاء ان يشحذوا ويعملوا ثم موالد »(٢٨٢) .

وقد كان لهذه الموالد بعض الآثار الاجتماعية والاقتصادية ذلك لأنها كانت بمثابة مواسم يتلاقى فيها الناس ، فيتمارفون ، ويحصل الفقراء وخدام الأضرحة على النذور والصدقات ، كما أنها تبرز جوانب متعددة من الأنشطة وبعض الفنون نحو الغناء والانشاد ، هذا فضلا عن أنها أسواق جامعة تروج فيها مختلف البضائع وتنشط من خلالها الحركة التجارية(٢٨٣) .

وقد كان هدف البعض من أحياء هذه الموالد ينحصر في ممارسة بعض الأنشطة الاقتصادية الى جانب الترفيه والتسلية ، ولهذا نجد أن عددا محدودا من رواد الموالد هم الذين يشاركون فعليا في النشاط الديني ، وقد اكد السبكي ذلك حينما ذكر انه شاهد منشدا يذكر صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن هناك من ينصت له أو يهتم بما يقول(٢٨٤) . وربما كان ما شاهده السبكي يمثل حالة فردية لا يمكن اتخاذها معيارا لما كانت عليه أحوال المنشدين في تلك الآونة .

وبالرغم مما شاب هذه الاحتفالات من ظواهر سلبية ، ينبغي الاعتراف ببعض آثارها الاجتماعية والاقتصادية والترويحية الايجابية خاصة فيما يتصل بحياة الطبقات الشعبية(٢٨٥) .

واستغل البعض ابان العصر المملوكي قوة اعتقاد مختلف الطبقات في الأولياء والمشايخ وذلك بالترويج لوجود أولياء متوهمين

لهم كرامات وقدرة على الشفاء من الامراض وقضاء الحاجات ، وقد ذكر المقريزى ان رجلا من الطبقات الشعبية حفر حفرة كبيرة وزعم انها مقام لأحد الصحابة المعروفين بكراماتهم ، وكان يسمح بزيارة هذه الحفرة نظير مبلغ من المال ، وقد ذاع صيت هذا الولى الزائف حتى أن أم السلطان نزلت لزيارته(٢٨٦) .

وانتشر فى هذه الفترة بعض المرائين الذين يظهرون الزهد ويتبعون طرق هؤلاء الاولياء والشيوخ وهم متكالبون على الحياة الدنيا(٢٨٧) . كما كان هناك من يشايع هؤلاء الأولياء هربا من دين عليه أو رغبة فى التحلل من بعض القيود السائدة فى المجتمع(٢٨٨) .

ولم يكن أمراء المماليك وسلاطينهم اقل اعتقادا فى أولئك المجاذيب والأولياء من الطبقات الشعبية ، فكثيرا ما استدعى السلاطين هؤلاء الأولياء والمشايخ للتقدم والاجتماع بهم ، وقد كان السلطان برقوق(٢٨٩) يحرص على الاجتماع ببعض هؤلاء الأولياء(٢٩٠) . وكان السلطان بيبرس الجاشنكير يعتقد فى أحد هؤلاء الأولياء ولما تولى السلطنة استمر فى تبجيله وتعظيم قدره ، فتبعه الناس فى اللجوء اليه والاستعانة به(٢٩١) ، وقد أنشأ السلطان بيبرس خانقاه المنصورة(٢٩٢) .

والى جانب اعتقاد السلاطين والطبقات الشعبية فى الأولياء ، كان هناك بعض صفوة اهل القاهرة ممن يشاركونهم هذا الاعتقاد ، فقد روى أن احد القضاة كان يعتقد فى كرامات احد المجاذيب ويدعى ابو بكر الاحميمى ، وقد شجع ذلك بعض الطبقات الشعبية فى الاعتقاد فيه والتبرك به(٢٩٣) .

وقد تمسك المصريون بوجه عام والطبقات الشعبية منهم بوجه خاص فى عصر سلاطين المماليك ، بكثير من المعتقدات الباطلة ،

حتى أضحت لدى بعضهم بمثابة قواعد ثابتة لا يمكن الخروج عنها بأى حـــال من الأحـــوال(٢٩٤) ، ومن ذلك الفأل ، والطير والتشاؤم(٢٩٥) .

ورددت الطبقات الشعبية بعض الجمل والأقوال اعتقادا فى اثرها الحسن على مجريات الأمور فى حياتهم العامة وهو ما يسمى لديهم « بالفأل الحســن » ومن عاداتهم المرتبطة بهذا الاعتقاد شراء اللبن فى أول ليلة من السنة الهجرية عسى ان يكون العام الجديد عام خير وسرور لهم(٢٩٦) .

وقد اعتاد بعضــهم وضــع حجر أو قليل من الملح فى الغربال عند اعارته الى الآخرين وذلك من باب التطير ودرءا للشر(٢٩٧) .

وكان بعض أهل القاهرة يتشاءمون عند مرور متوفى من أحد أبوابها(٢٩٨) ، واذا تصادف مجىء العيد فى يوم الجمعة تطير الناس وكان ذلك نذير شؤم لدى بعض أهل القاهرة فيما يخص السلطان لان القاء خطبتين فى يوم واحد فى المساجد يؤذن بزوال حكمه(٢٩٩) . كذلك اعتاد كثير من الناس قبل الاقدام على عمل من الأعمال ، فتح المصحف والنظر فى أول سطر تقع أعينهم عليه فاذا صادفوا آية تنطوى على العذاب خافوا وتشاءموا . وقد روى أن أحد الفقهاء عين فى منصب القضاء بالقاهرة ، فلما فتح المصحف ووجد الآية التالية « قال رب الســـجن احب الى مما يدعوننى اليه »(٣٠٠) ، خاف واختفى أياما ولم يظهر الا بعد تعيين غيره فى هذه الوظيفة(٣٠١) .

وقد شغفت الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى بالتنجيم وبخاصة النســاء الى جانب اهتمام السلاطين والأمراء به(٣٠٢) ،

وعرف الناس فى هذا العصر عدة طرق للتنجيم وقراءة الطالع ، منها مراقبة النجوم وفتح المندل وضرب الرمل(٣٠٣) ، وقد صور لنا ابن دانيال فى بابه « عجيب وغريب » احد المنجمين ووسائله فى الاحتيال على الناس ومخلصة النساء فيما كان يصنعه لهم من تمائم وتعويذات واحراز واحجبة ، زاعما انها تعين الحامل على ان تضع حملها ، وترد البصر وتجمل المرأة التى ترملت مطمحا للخاطبين . وقد نقد ابن الحاج سلوك هؤلاء المنجمين بسبب اختلاط النساء بهم ، الامر الذى يؤدى الى حدوث بعض المفاسد الاخلاقية بينهم(٣٠٤) .

ومن الاعتقادات التى ظلت راسخة لدى الطبقات الشعبية فى تلك الفترة الاعتقاد فى « الحسد والعين » ، وقد لجئوا الى استخدام البخور اتقاء لشر العين والحسد والكسل والمرض(٣٠٥) . ومن التمائم التى استعان بها بعض أهل القاهرة من الطبقات الشعبية ما يسمى « بحفيظة رمضان »(٣٠٦) التى اعتقدوا ان وضعها فى المنزل يقى من حدوث الحريق كما ان وجودها فى المركب يحفظه من الغرق(٣٠٧) .

ولم يكن اعتقاد الناس فى الجان والعفاريت أقل من اعتقادهم فى السحر ، فيحكى ان أحد الاشخاص تعقبته تابعة من الجان لم يستطع التخلص منها ما استعان عليها بأحد الاولياء ذوى الكرامات(٣٠٨) . كذلك يروى الشعرانى ان احد المشايخ استخدم الجان ، فقاموا على خدمته وترضيته ، ويروى الشعرانى ايضا ان امرأة من الجان كانت تعيش فى بيته فاذا اقتربت منه تحركت كل شعرة فى جسده(٣٠٩) .

كما ذكر انه كانت تسكن عنده جماعة من الجن يتحدثون اليه ويحضر لهم الخبز والطعام ويحاورهم ويجيبونه بالطاعة لما يطلبه منهم(٣١٠) .

ومن المعتقدات التى ارتبط بها بعض المصريين من الطبقات الشعبية التمسك بعدم زيارة المريض يوم السبت ، بالاضافة الى عدم دخول الحمام او شراء الصابون او غسل الملابس أو شراء السمك او تناوله فى ذلك اليوم(٣١١) ، تأثرا بعادات اليهود المتبعة فى ذلك اليوم(٣١٢) . كذلك الحرص على شراء البخور واستخدامه واستعمال الكحل وشرب الدواء فى بعض الأيام ، وعدم اخراج نار أو ماعون أو اناء من المنزل بعد العشاء(٣١٣) .

هوامش الفصل الثالث

(١) السبوع هو اليوم السابع من ولادة الطفل ، ويهتم الناس بذلك اليوم فيطبخون فيه ثم يدقون ملحا في هاون ، ليعتاد الطفل سماع الصوت القوى . ويرشون في ذلك اليوم ملحا في المنزل حفظا له من العين ، احمد أمين : قاموس العادات والتقاليد ، ص ٢٢٩ .

(٢) ويت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٢٥ .

(٣) انظر الاول ص ٢٦ هامش (١) .

(٤) بيت القاضي : يقع في الضلع الشمالي للقصر الشرقي الكبير (الفاطمي) فقد حل مكانه جزء من هذا الضلع ، واصبح امام مدرسة قلاوون عن د/ احمد رمضان

(٥) نقيب وجمعها نقباء ، وهو من كان يؤدي معظم الخدمات الصغيرة لمن يتبعه من السلاطين او الامراء . القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ٢١ ، ص ٢٢ ، سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص ٥٩٠ .

(٦) هذه التسمية يسبقها دائما اسم ، على سبيل المثال اسد الدين لقب به شيركوه ثم صلاح الدين ، ويعرف هذا النوع في مصطلح القلقشندي « بلقب التعريف الخاص » وهو اللقب المضاف الى الدين ، ويتفق كثير من المؤرخين على ان أول من تلقب بهذا النوع من الالقاب هو بهاء الدولة ابو نصر خسرو بن عضد الدولة الا انهم يختلفون في اللقب نفسه فيعطيه المقريزي « قوام الدين » وابو المحاسن « ركن الدين » . حسن الباشا : الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٤١ .

(٧) هو الرصد ويحدد تقاويم الاشهر والسنين الهجرية ، وقد اختاروا له في البداية مسجد التنور فوق جبل المقطم ، ثم يعلوه بالمسجد المعروف بالفيلة الكبير ، ثم انتقل مكان الرصد من جامع الفيلة الى المسجد الجيوشي ثم انتقل بعد ذلك الى

باب النصر بالقاهرة ، المقريزى : الخطط ، حـ ١ ، ص ٢٢١ الى ص ٢٢٦ . ومن الالات الفلكية الاسطرلاب والربعية او ذات الربع ، دائرة المعدل ، المزاول الشمسية، القبلة نامة ، لمزيد من التفاصيل انظر احمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية ، العلوم العقلية ، ص ٧٥ وما بعدها .

(٨) ابن بطوطة : الرحلة ، طبعة بيروت ١٩٦٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨٤ ، ص ١٨٥ ، قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٩٥ .

(٩) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٤٥ ، ص ٢٥٤

(١٠) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٢٥٧ .

(١١) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨٥ .

(١٢) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٥١ .

(١٣) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٢٥٥ .

(١٤) المقريزى ، السلوك ، حـ ٤ ق (١) ص ٦٥) ، السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٠٩ .

(١٥) ابن تغرى بردى : منتخبات ، حـ ٣ ، ص ٥٠) ، المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ق (١) ص ٤٦٥ .

(١٦) وقد استنتج الاستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة أن عتق هذا العبد كان عادة مقوية منتظمة فى عصر سلاطين المماليك ، المقريزى : السلوك ، حـ ١ ق (٢) ، ص ٥١٣ .

(١٧) سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ١٨٨ .

(١٨) انظر الفصل الاول ص ٣٣ هامش (٧) .

(١٩) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٥٦ .

(٢٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ٤٠٦ ، ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٨٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ١ ، ص ١٨٤ .

(٢١) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٨٩ .

(٢٢) المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة .

(٢٣) عوزى ليين : المجتمع المصرى ، ص ٢٦٢ .

(٢٤) المقريزى : الخطط ، حـ ٣ ، ص ١٦٢ .

(٢٥) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٩٧ .

(٢٦) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٦٧ ، ص ٢٦٨ .

(٢٧) سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ١٨٩ .

(٢٨) هو برقوق بن أنص الظاهر أبو سعيد الجركسي العثماني ، حضر إلى القاهرة واتصل بالأشرف شعبان فلما قتل الأشرف ترقى إلى إمرة أربعين ثم آل الأمر إلى استقرار برقوق وبركة (هو الأمير زين الدين بركة الجوباني اليلبغاوي . ابن تغري بردي : النجوم ، جـ ١١ ، ص ١٦٠) في تدبير المملكة إلى أن اختلفا وتباينت أغراضهما فدارت الحرب بينهما أياما إلى أن قبض على الأمير بركة واستقل برقوق بالسلطنة ولقب بالظاهر وبايعه الخليفة والقضاة والأمراء ، وخلعوا السلطان حاجي إلى أن خرج عليه يلبغا الناصري وانضم إليه منطاش فجهز لهما الظاهر عسكرا وانتصر عليهم فلما اقترب الناصري من القاهرة مال الأمراء إليه ولم يبق مع الظاهر برقوق الا مصمم فاستولى الناصري على المملكة وأعيد حاجي وأراد منطاش قتل برقوق لكنه لم يتمكن من ذلك ، ثم ثار منطاش على الناصري واستقل بالسلطنة إلى أن عاد برقوق مرة ثانية إلى القاهرة وذلك في عام ٧٩٢ هـ/١٣٩٠ م واستقر بالمملكة إلى أن توفي وعهد بالسلطنة لولده فرج ، وقد كان برقوق شهما شجاعا ذكيا خبيرا بالأمور لكنه أفرط في جمع الضرائب ، وأفسد أمور المملكة ، وانتشرت في عصره ظاهرة البذل والبرطلة ودفع الرشوة لتولي الوظائف المهمة ولكن بالرغم من ذلك فقد عرف عنه تواضعه أمام الفقراء وتودده إليهم . السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ٣ ، ص ١٠ إلى ١٢ .

(٢٩) Lane Poole · The Mohammadan Dynasties, P. 81.

(٣٠) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م (٩) ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٣١) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٠٦ ، النويري : نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .

(٣٢) السماط يعني المائدة ، وهو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة عليه وقد استخدمت هذه الكلمة في العصر المملوكي للدلالة على معنى الطعام ذاته والمآدب التي تقام في شتى المناسبات ، ويبدو أن الطبقات الشعبية في القاهرة كانت تجد حاجتها في الأسمطة السلطانية التي تمد في أيام المواكب بصفة رسمية . القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٥٦ ، سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص ٤٣٦ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١١٩ .

(٣٣) المقريزي : السلوك ، جـ ٤ ، ق (١) ص ٤٢٢ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٤٦ ، ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٨٦ .

(٣٤) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ ، ص ٢٨٤ .

(٣٥) ابن الحاج : المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٣٦) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٧٦ ، ص ١٧٧ .

(٣٧) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ .

(٣٨) يعيد هذا العيد ذكرى مقتل سيدنا الحسين بن على بكربلاء ، فى العاشر من المحرم فى عام (٦١ هـ/٦٨٠ م) ويسمى بسبب ذلك « عاشوراء » - القزوينى : اثار البلاد واخبار العباد ، طبعة بيروت بدون تاريخ ، ص ٤٢٢ ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٥٥ ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ ، وكان الشيعة يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق ، ويمد نقيب الخليفة فى العصر الفاطمى السماط الذى يطلق عليه سماط الحزن ، المكون من العدس والمخللات والاجبان والالبان والخل والفطير والخبز ، فاذا قرب الظهر انتقل الناس للاكل منه ، وبعد ذلك يبدأ النواح حتى وقت صلاة العصر ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٣١ ، ص ٤٣٢ ، فلما زالت الدولة الفاطمية اتخذ الأيوبيون يوم عاشوراء يوم سرور ، يوسعون فيه على اولادهم بالطعام والحلوى ويكتحلون ويحتفلون الحمام ، نكاية فى الشيعة ، الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن على لانه قتل فيه . المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٩٠ ، انظر على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٤ ، ص ٩٥ ، ص ٩٦ ، انظر كذلك سعد زغلول عبد الحميد : الحياة الدينية فى المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر م (١١) العدد الأول ١٩٨٠ ، ص ٨٢ .

(٣٩) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ .

(٤٠) المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٨٩ ، ص ٢٩١ .

(٤١) امر يزيد ان يطاف برأس الحسين الشريف فطيف به حتى انتهى الى عسقلان فدفنه أميرها فيها ، فلما غلب الافرنج على عسقلان ، افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين ووضعه فى كيس حرير أخضر على كرسى من خشب الابنوس وفرش تحته المسك والطيب ، وبنى عليه مشهده الحسينى المعروف بالقاهرة قريبا من خان الخليلى - سعاد ماهر : مخلفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المسجد الحسينى ، دار النشر لجامعة القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٣٢ .

(٤٢) Lane Poole : Social Life in Egypt, London, 1883 PP. 86 — 87.

علاء طه : حماية القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١١٥ .

(٤٣) اتفق الجاهليون قبل الاسلام وعند ظهوره على تحريم القتال والأخذ بالثار فى اشهر معينه عرفت عندهم بالاشهر الحرم ، وهى المحرم ورجب وذو القعدة

وذو الحجة ، فكانوا يتحرجون فيها من القتال . وقد كان لشهر رجب حرمة خاصة في نفوس الجاهليين وترفه عندهم برجب مضر ، ذلك لأنه كان معظما عند قبائل مضر خاصة ، ومن حرمة شهر رجب انهم كانوا يوفون وليمة عن ظهور علامة : كما ان لهذا الشهر صلة وثيقة بالموتى فنجد الناس يذكرون موتاهم خاصة فيه ، وذلك حتى اليوم عند المسلمين ويقدمون فيه الأطعمة الى الفقراء . جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، طبعة ١٩٥٦ ، جـ ٦ ، القسم الدينى ، ص ٣٢٩ ، ص ٣٣٠ .

(٤٤) قاسم عبده : دراسات في تاريخ مصر ، ص ٩٩ .

(٤٥) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٦٢ .

(٤٦) المصدر السابق نفسه والجزء ، ص ٢٩٣ .

(٤٧) وهى الليلة التى أسرى فيها بالرسول (صلى الله عليه وسلم) من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ببيت المقدس وعرج به الى السموات العلى ، وقد روى ان ذلك قد تم فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب . ابن هشام : سيرة ابن هشام ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، بدون تاريخ م (١) ، جـ ٢ ، من ص ٣٢ الى ص ٣٩ .

(٤٨) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ ، ص ٢٩٤ .

(٤٩) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨٠ .

(٥٠) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٢٣ .

(٥١) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٩٩ .

(٥٢) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ ، ص ٣١٠ ، انظر ابى شامة الشافعى الباعث على انكار البدع والحوادث تحقيق عادل عبد المنعم طبعة ١٩٨٩ ، ص ٥١ .

(٥٣) زغلول سلام : الأدب فى العصر المملوكى ، ص ١٧٧ ، ص ١٧٨ .

(٥٤) انظر حسن السندوبى : تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى ، طبعه ١٩٤٨ م ، القاهرة ، ص ١٠٨ ، ص ١٠٩ .

(٥٥) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٢ .

(٥٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ، جـ ٥ ، ص ٥٧٥ ، جـ ١٢ ، ص ٧٣ ، ص ٧٤ ، وللمؤلف نفسه منتخبات ، جـ ٤ ، ص ٧٥٢ ، ابن الفرات : تاريخ

ابن الفرات ، م (٩) حـ ١ ، ص ٢٦ ، علاء طه علية القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١١٦ .

(٥٧) الشملة : عصبة الزمر المعروفة ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٢ ، ص ٢٠١ ، حاشية (١) .

(٥٨) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٢ ــ ص ٤ ، ص ١١ .

(٥٩) المصدر نفسه والجزء ص ٦ ، ص ٢٥ .

(٦٠) هذا وقد خصص سلاطين المماليك مدرسة عالية لتعليم الخالية في ادارة المحمل ولعب الرملحة اسموها مطبية المحمل ، يقوم عليها أحد المعلمين الكبار من ذوى الخبرة الفنية ورشح لها المؤرخ المعروف ابن تغرى بردى ، وعين له أربعة مساعدين ، بعد أن اعتذر جماعة من الأمراء لعجزهم عن معرفة هذا الفن ، انظر قاسم حسان : صور ومظالم ص ٨١ ، ص ٨٢ .

(٦١) المقريزى : السلوك ، حـ ٣ ق (١) طبعة ١٩٧٠ ، تحقيق سعيد عاشور ص ٢٦٩ ، ابن بطوطة الرحلة ، حـ ١ ، ص ٢٥ .

(٦٢) القلقشندى : صبح الاعشى ، حـ ٤ ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ .

(٦٣) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨١ ، قاسم عبده : دراسات ، ص ١٠١ .

(٦٤) المرجع السابق نفسه ، ص ١٨١ ، تطور حسان : صور ومظالم ، ص ٨٢ ، ص ٨٣ .

(٦٥) ابن الحاج : المدخل ، حـ ١ ، ص ٢٧٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، حـ ٤ ، ص ٥٧ .

(٦٦) المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ق (٢) تحقيق سعيد عاشور ١٩٧٢ ، ص ٦١٤ .

(٦٧) ابن شاهين : زبدة كشـــف الممالك ، ص ٧ ، ٨ ، ابن تغرى بردى منتخبات ، حـ ٢ ، ص ١٨٠ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٨٢ .

(٦٨) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٥ .

(٦٩) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١٠١ .

(٧٠) المقريزى : السلوك ، حـ ٤ ق (٢) ، ص ٨٠٠ .

(٧١) ابن تغرى بردى : منتخبات ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ ، ص ٥٢٩ ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٨٢ ، ويت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص ١٢٥ ، ص ١٢٦ .

(٧٢) Lane-Poole : Op. Cit., P. 82.

(٧٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ١٦٥ الى ص ١٦٨

(٧٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م (٦) جـ ٢ ، ص ٢٦٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٩٥ ، ص ١٩٦ .

(٧٥) Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

(٧٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ٨٨ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٩٤ .

(٧٧) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (٢) ص ٢١٧ ، ص ٢١٨ .

(٧٨) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م (٦) ، جـ ٢ ، ص ٤٦٩ .

(٧٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ٥٦ ، ص ٥٧ ، منتخبات ، جـ ٢ ، ص ٦٥٧ ، جـ ١٢ ، ص ١٠٢ ، ص ١٠٥ .

(٨٠) المقصود بكسر الخليج هو عملية فتح السد عند بلوغه حد الوفاء لري الاراضى أى رفع الحواجز التى على نهر النيل وقت الفيضان حتى لا تغرق القاهرة وهى عبارة عن قنطرة لها بوابات تقفل معظم أيام السنة الا انها تفتح أيام الفيضان وكان موقعها جنوب القاهرة عند مدينة الفسطاط . والخليج هو خليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو مجرى الماء الذى يصل البحر عند مدينة السويس بمجرى النيل فى جنوب القاهرة (الفسطاط) . ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا ، وكامل المهندس ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٢٠٠ ، وكان يتم الاحتفال به على مرحلتين فى يوم واحد الاولى تخليق عمود المقياس بالزعفران والثانية التى يتجه فيها السلطان ومعه الامراء فى موكب كبير الى قنطرة السد لفتحه بمعوله المصنوع من الذهب كاشارة لبدء الطبقات الشعبية فى العمل حتى يجرى الماء فى الخليج ثم ينصرف السلطان الى القلعة . القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٤٧ ، ص ٤٨ ، علاء طه : عامة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ١٠٦ ، ص ١١٠ .

(٨١) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١٠٦ .

(٨٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ، ص ١٢٤ حوادث ٧٧٥ هـ/ ١٣٧٣ م ، جـ ٢ ص ٢٨٢ ، ص ٢٨٣ حوادث ٨٥٤ هـ/١٤٥٠ م ، السخاوى : التبر

السلوك ص ٢١٠ ، ص ٢١١ ؛ زيادة : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ، ص ١١٤ ص ١١٥ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٩٧ ، ص ١٩٨ .

(٨٣) يوجد هذا الشباك بدار القاضى بالروضة انظر ابن دقماق " الانتصار" ، ح ٤ ص ١١٤ ، ص ١٥٥ .

(٨٤) انظر الفصل الأول ص ٥٢ هامش (٥) .

(٨٥) ابن دقماق : الانتصار : ح ٤ ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ .

(٨٦) وفى كثير من الأحيان كان ابن السلطان يقوم بكسر الخليج بالنيابة عن السلطان . ابن تغرى بردى : منتخبات ، ح ١ ، ص ٣ .

(٨٧) الحراقة Brulot جمعها حراقات وحراريق ، والحراقات سفن فيها مرامى نيران وقيل هى المرامى أنفسها ، كما كانت تستعمل فى حمل الأسلحة النارية كالنار الافريقية وقد استعملت فى العصور الوسطى وانتشرت فى جميع أجزاء العالم الشرقى والغربى منه على السواء . واستخدمت فى العصر المملوكى فى النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية التى تقام فى الحفلات العامة مثل الاحتفال بكسر الخليج . المقريزى : السلوك ، ح ١ ص ٣٠٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ح ٩ ، ص ٧٥ هامش (١) ، سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧ ، ص ٢٣٩ ، ص ٢٤٠ ، ابراهيم طرخان : النظم الاقطاعية ، ص ٤٧٨ .

(٨٨) فم الخليج : أى بداية خليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عند الفسطاط والخليج يمتد من السويس حتى الفسطاط . عن د / أحمد رمضان .

(٨٩) Dopp : Op. Cit., PP. 20 — 21.

القلقشندى : صبح الأعشى ، ح ٤ ، ص ٤٧ ، ص ٤٨ ، ابن دقماق " الانتصار" ح ٤ ، ص ١١٥ . ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٨٧ ، انظر السيوطى : حسن المحاضرة : ح ٢ ، ص ٢٦٢ ، ص ٢٦٣ ، المقريزى : السلوك ، ح ٣ ق (٢) ٤٠٠ ص ٤٩١ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ح ١٤ ، ص ٨٦ ، ص ٨٧ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٦٩ ، قاسم عبده دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١٠٨ .

(٩٠) ابن دقماق : الانتصار ح ٤ ، ص ١١٥ ، نظير حسان : صور ومظالم ص ٨٧ ، ص ٨٨ ، فوزى أمين : المجتمع المصرى ، ص ٢٥٥ ، ص ٢٥٨ .

(٩١) زيادة : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ، ص ١٦٦ .

(٩٢) ڤييت : القاهرة ، ص ١٣٠ .

(٩٣) انظر ص ١٧٩ من هذا الفصل .

(٩٤) الشهر المقابل لبشنس هو شهر مايو وهو من الشهور القبطية « الميلادية » ، ويعد من شهور الصيف . أحمد رمضان : تطور علم التاريخ الاسلامى ، ص ٧١ .

(٩٥) معنى الشهداء عند قبط مصر : الشهداء هم رجال الكنيسة القبطية الذين قاموا بدور مهم فى بناء الكنيسة وتحملوا صنوفا عديدة من العذاب بسالة نادرة كما تعرضوا لنار الاضطهاد وكانوا نموذجا للبذل والتضحية مظهرين اسمى منزلة للتفانى المقترن بالفرح مستعينين بقوى عجيبة مصدرها الروح الالهية . ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ، دار العالم العربى ١٩٥٢ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٢ . المقريزى : الخطط جـ ١ ، ص ١٢٢ ، السلوك ، جـ ١ ق (٣) ص ٩٤١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ٢٠٢ . عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، مكتبة الانجلو ، ١٩٦٧ ، جـ ٢ ، ص ١٧١ .

(٩٦) المقريزى : السلوك جـ ١ ق (٣) ، ص ٩٤٦ ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٢٢ ، قاسم عبده : دراسات ، ص ١٠٩ .

(٩٧) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٢٢ .

(٩٨) يفهم من سياق كلام المقريزى ان اهل شبرا كانوا اقباطا ، المصدر السابق نفسه والجزء والصفحة .

(٩٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ٢٠٢ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق (٣) ، ص ٩٤١ ، جـ ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٦ ، ترتون : اهل الذمة فى العصور الوسطى ، ترجمة حسن حبشى ، ١٩٦٧ ، ص ١٢١ .

(١٠٠) انظر الفصل الأول ص ٦٠ هامش (٤) .

(١٠١) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ٢٠٣ .

(١٠٢) حسن بن محمد بن قلاوون الصالحى ، هو الملك الناصر بن الناصر بن المنصور ولد فى عام ٧٣٥ هـ/١٣٣٤ م ، كان مفرطا فى الذكاء اشتغل بالعلم كثيرا حتى نسخ دلائل النبوة للبيهقى بخطه ، وقد ولى السلطنة بعد اخيه المظفر فى رمضان عام ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م ، ثم قبض على حاشية المظفر واستولى على ما يحوزنهم من اموال وجواهر ، وقد احكم قبضته على البلاد وقبض على من يخالفه الرأى من الامراء

الأمر الذي أدى الى خروجهم فعقدوا العزم على التخلص منه فتم خلعه وتولى أخوه الحكم من بعده ، لكن الناصر حسن استولى على الحكم مرة ثانية وزادت سطوته فاستحوذ على أملاك بيت المال ، ومن أعماله بناء المدرسة المعروفة باسمه وقد توفى قبل أن يكمل بناؤها . ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٢ ، من ص ٣٨ الى ص ٤٠ .

(١٠٣) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٢٢ ، ص ١٢٤ ، قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١١٠ .

(١٠٤) النيروز أو النوروز وهو عيد رأس السنة القبطية ، ويقال ان جم شاد أو جمشيد أحد ملوك الفرس هو أول من أحدث الاحتفال به وذلك حين اكتمل ملكه وقضى على أعدائه ومعنى كلمة نوروز بالفارسية (اليوم الجديد) ويزعمون أن الله خلق فيه النور ، ومدة النوروز عند الفرس ستة أيام بدءاً فى أول شهر افروردين ماه .

ويسمون اليوم السادس النوروز الكبير ، لأن الأكاسرة يقضون حوائج الناس فى الأيام الخمسة الأولى ثم ينتقلون الى مجلس أنسهم ، ومن عاداتهم الاغتسال بالماء وأن يرشوا بعضهم بعضا تبركا ودفعا للأمراض وطلبا للشفاء . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٠٨ ، ص ٤٠٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ ، ابن اياس بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٣٦٣ ، قاسم عبده : أهل الذمة ، ص ١٦٢ ،

R-Levy : Encyclopaedia of Islam art Nawruz Vol. (6) Leiden 1987, P. 888.

(١٠٥) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ ، وشهر توت بداية السنة القبطية ويساوى شهر توت فى التقويم الميلادى شهر سبتمبر وهو من أشهر الشتاء . أحمد رمضان . تطور علم التاريخ الاسلامى ص ٧١ ، ماجد : نظم المماليك ، ص ١٦٩ .

(١٠٦) قاسم عبده : دراسات فى تاريخ مصر ، ص ١١٠ .

(١٠٧) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٥٢ ، ص ٥٣ .

(١٠٨) انظر الفصل الثالث ص ١٣٠ هامش (٣) .

(١٠٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ ، ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .

(١١٠) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٥١ ، ص ٥٣ .

(١١١) ابن الحاج : المدخل جـ ٢ ، ص ٥١ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ٢٠٢ .

(١١٢) انظر ص ١٦٣ من هذا الفصل .

(١١٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ق (١) ، ص ٣٩٤ ، ابن اياس : بدائع الزهور : جـ ١ ق (٢) ، ص ٢٦٣ ، ص ٣٦٤ .

(١١٤) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٥٤ .

(١١٥) القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤١٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ١٩٢ ، ص ١٩٣ .

(١١٦) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٧ .

(١١٧) النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ١٩٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤١٧ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٧ .

(١١٨) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٥٦ — ٥٨ ، قاسم عبده : أهل الذمة ، ص ١٢٣ .

(١١٩) يساوى شهر طوبة فى التقويم الميلادى شهر يناير وهو من أشهر الشتاء ، أحمد رمضان : تطور علم التاريخ ، ص ٧١ ، أحمد أمين : قاموس العادات ، ص ٢٥٣ .

(١٢٠) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ١٩٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤١٦ ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ .

(١٢١) ابن الحاج المدخل ، جـ ٢ ، ص ٧٩ .

(١٢٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤١٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ١٩١ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣ ، قاسم عبده : أهل الذمة ، ص ١٢٠ .

(١٢٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٢٥ ، القزوينى : آثار البلاد ، ص ٢٧١ ، ص ٢٧٢ .

(١٢٤) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٨٣ .

(١٢٥) البشارة هى بشارة غبريال (وهو جبريل على زعمهم) لمريم عليها السلام بميلاد عيسى ، ويوافق هذا العيد يوم التاسع والعشرين من برمهات ،

الفصح : هو العيد الكبير لأقباط مصر ، يحتفلون به فى يوم الفطر بعد صيامهم الأكبر ، وهم يزعمون أن المسيح قام فيه بعد الصلب بثلاثة أيام ، وخلص آدم من الجحيم ، وأقام فى الأرض أربعين يوما آخرها يوم الخميس ، ثم صعد الى السماء ، **خميس الأربعين** : هو اليوم الذى يزعمون أن المسيح صعد فيه الى السماء بعد القيام ، ووعد تلاميذه بإرسال « البار ــ قليط » ، أى روح القدس ، **عيد الخمسين** : وهو عيد العنصرة يحتفلون به بعد خمسين يوما من القيام ، ويأتى فى السادس والعشرين من بشنس ، ويزعمون أن روح القدس حلت فى تلاميذ المسيح وتفرقت عليهم الألسنة التى تكلموا بجميع الألسنة ، وذهب كل واحد منهم الى بلاد لسانه ليدعو الى دين المسيح ، **عيد الميلاد** : هو اليوم الذى يقولون ان المسيح ولد فى بيت لحم (قرية من أعمال فلسطين) ويكون فى التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط ، وفيه يوقدون المصابيح بالكنائس ، ويزينونها ، **عيد الصعود** : وهو بعد الفصح بثمانية أيام ، وفيه يحتفلون الآلات وأثاث البيوت ، ويبدءون بعده ممارسة أنشطتهم المعتادة ومزاولة كافة الأمور الدنيوية ، **التجلى** : ويكون فى الثالث عشر من « مسرى » ويقولون أن المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه بعد أن رفع فى هذا اليوم ، وتمنوا عليه أن يحضر لهم إيليا وموسى عليهما السلام ، فأحضرهما لهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد وصعدا ، **عيد الصليب** : وهو فى السابع عشر من توت ، ويرتبط هذا العيد باعتناق قسطنطين بن هيلانة النصرانية وخروج أمه هيلانة الى الشام وبنائها لعدد من الكنائس ، وقد اتخذت هذا اليوم عيدا بعد أن دخلت بيت المقدس وحصلت على الخشبة التى يزعم النصارى ان المسيح قد صلب عليها فحملتها ووشيتها بالذهب تيمنا ببركة المسيح . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، من ص ٤٢٥ الى ص ٤٢٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ١٩١ الى ص ١٩٣ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣ الى ص ٧ .

(١٢٦) انظر النويرى : نهاية الأرب ، جـ ١ ، ص ١٩٥ ، ص ١٩٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٢٦ الى ص ٤٢٩ ، قاسم عبده : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى القاهرة ١٩٨٧ م ، من ص ٤٦ الى ص ٤٨ ، وللمؤلف نفسه أهل الذمة ، ص ١٢٢ الى ص ١٢٧ ، حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى أطواره ومذاهبه ١٩٧٥ ، ص ١٩٦ ، ص ٢٢٠ ، ألفت محمد جلال : العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم ، ١٩٧٤ م ، ص ٧٥ الى ص ٨١ .

(١٢٧) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ ، قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٥١ .

(١٢٨) الزواج : عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة بما يحقق ما يتقاضاه الطبع الانساني وتعاونهما مدى الحياة ويحدد ما لكليهما من حقوق ، وما عليه من واجبات ، محمد أبو زهرة : محاضرات في عقد الزواج وآثاره ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣٨ ، وهو سنة من سنن الله في الخلق والتكوين ، وهي عامة مطردة ، لا يشذ عنها عالم الانسان او عالم الحيوان ، او عالم النبات ، سيد سابق : فقه السنة ، م (٢) طبعة ١٩٤٦ دار التراث ، القاهرة ، ص ٥ ، وايضا انظر عن الزواج ومراحله محمد حسن : الأسرة المصرية ، رسالة ماجستير ، من ص ١ الى ص ١٣ .

(١٢٩) ابراهيم حمادة : خيال الظل ، ص ١٦١ ، أحمد عبد الرازق : المرأة زمن سلاطين المماليك ، ص ٣٣ وللمؤلف نفسه ،

La Femme au temps des Mamlouks P. 60.

(١٣٠) الجعل دابة سوداء من دواب الأرض كالجعران الاسود ، والحلى حيوان معروف كالخنفساء . ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٣ ، ص ١١٨ ، ص ١١٩ .

(١٣١) ابراهيم حماده . خيال الظل ، ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ ، وقد قيل في هذا المقام : ايش تعمل الماشطة في الوجه المشئوم .

الأبشيهي : المستطرف ، ج ١ ، طبعة ١٩٥٢ م ، ص ٣٧ وعن الامثال العامية انظر أحمد تيمور : الامثال العامية ، ط (١) القاهرة ١٩٤٩ م .

(١٣٢) ابراهيم حمادة : خيال الظل ، ص ١٦٤ .

(١٣٣) اسيلة الخد : اسل اسالة : ملس واستوى ، فهو اسيل يقال خد اسيل ، وكف اسيلة الأصابع . ابراهيم انيس : المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ١٨ .

(١٣٤) ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ١٦٢ .

(١٣٥) تربت يداك : كلمة معناها الحث والتحريض ، وقيل هي كلمة دعاء عليه بالفقر ، وقيل بكثرة المال ومعناه اظفر بذات الدين ولا تلتفت الى المال أكثر الله مالك . الشعراني : لواقح الانوار القدسية في بيان العهود المحمديه ، طبعة ١٩٦١ ، ص ٢٣٠ .

(١٣٦) المصدر السابق نفسه والصفحة .

(١٣٧) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٢٩١ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٢٠ .

(١٣٨) من المعروف انه بعد اختيار العريس لعروسه وإتمام الخطبة بقراءة الفاتحة يأتى دور الاتفاق على قيمة المهر الذى يعتبر من حقوق الزوجة ، وهو مقدار من المال فرضه الله تعالى عند عقد القران وهو حق مقدس من حقوقهن اثبته لهن الاسلام اعلاء لقدرهن ، وتشريفا لمكانتهن ، وقد جرت العادة فى عصر المماليك أن يدفع جزء من المهر مقدما قبل عقد القران ، أما الباقى الذى اصطلح على تسميته بمؤخر الصداق فكان يحدد على اقساط مؤجلة كما يفهم من معظم عقود الزواج التى وصلتنا من عصر المماليك ، سعاد ماهر : عقود الزواج على المنسوجات الأثرية ، القاهرة ١٩٦٠ من ص ٥ الى ص ١٠ ومن ص ١١ الى ص ٣ ١؛ أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٦٨ ، ص ٦٦ ، عبد الله المراغى . الزواج والطلاق فى جميع الأديان ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٦٦ ، ص ٢١٢ ، ص ٢١٣ ، فايزه محمود عبد الخالق . جهاز العروس فى مصر عصر سلاطين المماليك ، دراسة اثرية فنية ، رسالة دكتوراه غير منشوره جامعة القاهره كلية الآثار ١٩٨٨ ، ص ٣٨٧ ، ص ٣٩١ اختلف الفقهاء فى تقدير الحد الأدنى للصداق ، فهو عشرة دراهم من الفضة عند الحنفية وربع دينار من الذهب أو ثلاثة دراهم من الفضة عند المالكية ، ولا حد لأقله عند كل من الشافعية والحنابلة . انظر احمد عبد الرازق ، عقد نكاح من عصر المماليك البحرية ، المجلة العربية للعلوم الانسانية م (٦) ، الكويت ١٩٨٦ ، ص ٨٦ .

(١٣٩) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٣٦٤ .

(١٤٠) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٦٨ ، ويستدل من معظم عقود الزواج التى ترجع الى عصر دولة المماليك ، أن عقد الأنكحة كان يتم وفقا لمذهب الحنفى أو المالكى ، ولما كان المذهب السائد فى تلك العصر هو الشافعية فقد تمت أغلب هذه العقود على هذا المذهب ، وقد استمر المذهب الشافعى طوال العصر المملوكى حتى احدث بيبرس نظام القضاة الأربعة مع تميز القاضى الشافعى باستقلاله بتوليه النواب فى سائر بلاد مصر ، واستمر الامر على هذا النحو حتى تولى العثمانيون الحكم فى مصر ، فأبطلوا نظام القضاة الأربعة وحصروا القضاء فى الحنفية لأنه مذهبهم . سعاد ماهر : عقود الزواج ، ص ١١ الى ص ١٦ ، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص ٦٩ ، أحمد تيمور : نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الفقهية الأربعة (الحنفى ، المالكى ، الشافعى ، الحنبلى) وانتشارها عند جمهور المسلمين طبعة ١٩٦٥ ، ص ٤١ الى ص ٤٥ ، والذى يلفت النظر فى صيغة العقود أنه قد توافرت فيها أركان العقد وشروطه ، ويرى فى صلب العقد شهودا عن شخصية الزوجة وخلوها من الموانع الشرعية وولاية أخيها لها بإذنها بمحضر شهوده وفى نهاية كل عقد اربعة

شهود آخرين يقرر كل منهم عند توقيعه حضوره مجلس العقد وانه يشهد بما فيه ، أحمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، ص ٢٢٩ .

(١٤١) محمد بن محمد بن بهادر : فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ، ورقة ١٨٢ ، ١٨٤ ، ابن حبيب تذكرة النبيه ، جـ ١ ، ص ١٨٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، بدون تاريخ ، جـ ١٣ ، ص ٣٤٣ زترشتين : تاريخ سلاطين المماليك ، طبعة ليدن ١٩١٩ ، ص ٣٦ .
Lane-Poole : Op. Cit., PP. 289 — 290.

انظر علاء العادل كتبغا زبدة محمد عطا : بيبرس الدوادار ، مخطوط زبدة الفكر في تاريخ الهجرة تحقيق جـ ٩ ، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة ، كلية الآثار ، بدون تاريخ ، ص ٣٦٤ ، ص ٣٦٥ ، ص ٣٦٦

(١٤٢) المقريزي : اغاثة الأمة ، ص ٣٢ ، ص ٣٨ .

(١٤٣) « يا أمراء شهر عليكم وشهر على الله » المصدر نفسه ، ص ٣٩ ، ص ٤٠ ، قاسم عبده : النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ط (١) ١٩٧٨ ، ص ١٣٠ .

(١٤٤) محمد ماهر : عقود الزواج ، ص ٣٣ .

(١٤٥) المقريزي : اغاثة الأمة ، ص ٣٧ ، ص ٧١ .

(١٤٦) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٦٠ .

(١٤٧) المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٤٤ .

(١٤٨) الشوار الشارة والزينة ، والشوار متاع البيت أو المستحسن منه وجهاز العروس . ابن منظور : لسان العرب ، طبعة أولى بولاق ، ١٣ هـ ، جـ ٦ ، ص ٤٠٢ ، ص ١٠٥ ، ابراهيم انيس وآخرون : المعجم الوسيط ، ط (٢) دار المعارف ١٩٧٢ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٩ .

(١٤٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١٦ ، طبعة ١٩٧٢ تحقيق جمال الشيال ، ص ٩٦ .

(١٥٠) ابن تغرى بردى : منتخبات ، جـ ١ ، ص ٩٧ .

(١٥١) الطرحة وحجمها طراريح — مرتبة يفترشها السلطان اذا جلس . المقريزي : السلوك ، جـ ١ ق (١) ، ص ٤٤٩ حاشية (٣) .

(١٥٢) فايزه محمود : جهاز العروس ، رسالة دكتوراه ، ص ٢٤ .

(١٥٣) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٢٢ .

(١٥٤) ابن تغرى بردى : منتخبات ، حـ ١ ، ص ٦٦ ، ص ٦٧ ، السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٢٠٢ ، ابراهيم حمادة : خيال الظل : ص ١٤٧ .

(١٥٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(١٥٦) محمد حسن : الاسرة المصرية ، رسالة ماجستير ، ص ٨ .

(١٥٧) هذا وقد وجدت سيدات فى العصر المملوكى اطلق عليهن اسم الصانعات مفردها صانعة ومن وظيفتها تزيين العروس فى ليلة الزفاف ، وكانت ادوات الزينة متنوعة الالوان وبهيجة الى جانب استخدامها الطيور فى الزينة .
Dopp : Op. Cit., PP. 138 — 140.

(١٥٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٢٢ .

(١٥٩) ابن دقماق : الانتصار ، حـ ٤ ، ص ١٣ .

(١٦٠) ابن حجر : انباء الغمر ، حـ ١ ، ص ٢٧٣ .

(١٦١) المقريزى : الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٦٧ .

(١٦٢) انظر : Ahmed-Abd-Al-Rasiq : Op. Cit., PP. 62 — 63.

(١٦٣) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٢٨١ ، عن الداية انظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٤ ، ص ١٤٤ ،
Abd Al-Rasiq : Op. Cit., P. 62.

(١٦٤) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٢٨٥ .

(١٦٥) ابن قيم الجوزيه : تحفة المودود بأحكام المولود ، الناشر المكتبة القيمة طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢٥ ، ص ٢٦ .

(١٦٦) ابن الحاج : حـ ٢ ، ص ٢٨٧ ، ص ٢٩٠ ، احمد امين : قاموس العادات ، ص ٢٢٩ .

(١٦٧) ابن الحاج : المدخل ، حـ ٢ ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٣ .

(١٦٨) الختان اسم لفعل الخاتن وهو مصدر كالنزال والقتال ، ويسمى به موضع الختن ايضا ، ويسمى فى حق الانثى خفضا ، يقال ختنت الغلام ختنا وخفضت الجارية خفضا ، ويسمى فى الذكر اعذارا ايضا ، وغير المعذور : أغلف واقلف ، وقد يقال الاعذار لهما ايضا ، وهو من خصال الفطرة . ابن الجوزية : تحفة المودود ، ص ١١٩ ، ص ١٢٦ .

(١٦٩) انظر المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ق (٢) ، ص ٩١٩ ، رشاد عبد الله الشامى ، جولة فى الفهن والتقاليد اليهودية ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٣٠ .

(١٧٠) السبكى : معيد النعم ، ص ١٣٤ .

(١٧١) المقريزى : السلوك ، جـ ٤ ، ص ٤٦٦ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٢٥ .

(١٧٢) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ ، احمد امين : قاموس العادات ، ص ٢٣٦ .

(١٧٣) السخام هو الفحم وسواد القدر ، وذلك اظهارا للحزن ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق (٢) ص ٧٩٦ هامش (٤) .

(١٧٤) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٢٢٣ .

(١٧٥) هذا وقد نصت الشريعة الاسلامية على ان يقوم بتغسيل المتوفى رجل مثله وبالعكس ، تقوم المرأة بتغسيل امرأة مثلها ، وهناك عدة شروط يجب توافرها فى الغاسلة منها أن تكون امرأة ثقة تتصف بالعفة وعلى علم بالشعائر الجنائزية .
Abd Al-Raziq : Op. Cit., PP 81 — 82.

(١٧٦) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ ، احمد امين ، قاموس العادات ، ص ٣٧٤ .

(١٧٧) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٤١٤ ، محمد حسن ، الأسرة المصرية ، رسالة ماجستير ، ص ١٠٣ .

(١٧٨) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٣ ، ص ٢٤٨ .

(١٧٩) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ .

(١٨٠) ابن تغرى بردى : منتخبات ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ ، العينى : عقد الجمان ، ص ٢٦١ .

(١٨١) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ الى ص ٢٥٧ .

(١٨٢) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٣٧١ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٠٨ ، وقد حرمت الشريعة الاسلامية النواح على الموتى وبالرغم من ذلك لم يراعى هذا فى العصر المملوكى بل استمرت النائحة فى اداء وظيفتها .
Abd-Al-Raziq : Op. Cit., P 85.

(١٨٣)

طـــالع وانـــا وراه انـــوح — قال عـــاودى وبخـــطوك تروح

طـــالع واما وراك بالعـــين — قال عـــاودى ورايحة ورايا لين ؟

عبد الحليم حلمي : المراثي الشعبية (العديد) هيئة الكتاب ١٩٨٢ ، ص ٤٩ .

(١٨٤) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧ .

(١٨٥) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٣١١ ، ص ٣١٢ .

(١٨٦) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٧٦ ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٨١ ، احمد امين قاموس العادات ، ص ٤٠ .

(١٨٧) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٩ ، نقولا زيادة : الرحالة العرب ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٣٩ .

(١٨٨)

ســلطاننا ركين ونائبنــا دقيــق يجينــا المــاء من أين

يجيبــوا لنــا الأعــرج يجي المــاء ويتعــرج

ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٨ ، ص ٢٤٣ ، ص ٢٤٤ هامش (١) ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (١) ص ٥٥ .

(١٨٩) ارتفعت أسعار الغلال نتيجة قصور النيل عن حد الوفاء ، واشتد قلق الناس فأصدر السلطان جقمق أوامره بالخروج للاستسقاء والتضرع الى الله تعالى بزيادة النيل . ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، من ص ٢٨١ الى ص ٢٨٤ .

(١٩٠) ابن تغرى بردي : منتخبات ، جـ ١ ، ص ٨٩ .

(١٩١) من مماليك المظفر بيبرس الجاشنكير ، ثم انتقل الى خدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون فصار ساقيا وعظمت أمواله ، واطلقت عليه الطبقات الشعبية النم الأسود ، وكان من الظلمة المسرفين على انفسهم . ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، جـ ٣ ، ص ٣٩١ ، ص ٣٩٢ ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٢٨ .

(١٩٢) ناصر الدين تولى منصب حسبة القاهرة وقد لقبته الطبقات الشعبية باسم قلز الصوف . المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٠١ .

(١٩٣) طشتمر الحموى الساقى الناصرى لقب بحمص أخضر لأنه كان يحب أكله وقد اشتراه الناصر صغيرا وتولى تربيته ورعايته وقد قبض عليه مع آخرين اتهموا بإثارة فتنة ثم أفرج عنه لما ثبتت براءته وأوسع عليه فى الخلع والملابس ، وكان قطلوبغا الفخرى يدعوه أخى فاتفق أن الناصر قبض عليهما فاجتمع فيهما نائب الشام واقام طشتمر بالقاهرة فى العيلية والفخرى فى نيابة دمشق ثم قبض احمد

الناصر على طشتمر بعد شهر وتوجه الناصر الى الكرك وقبض على الفخري أيضا وسجنهما في الكرك لكنهما فرا من السجن ، وكان طشتمر شجاعا واسع الصدر وهو الذي عمر الجامع بالصحراء والربع بالحريريين وقد توفي في ٧٤٣ هـ/١٣٤٢ م .
ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٢ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٢٠ .

(١٩٤) قطلوبغا الناصري المعروف بالفخري من مماليك الناصر المقربين وكان يتجاوز حدوده معه مما أثار غضبه للقبض عليه ، فأضرب المماليك عن الطعام مطالبين باطلاق سراحه ، فاستجاب لهم الناصر وأفرج عنه واستمرد مكانه مرة ثانية الى أن مات السلطان فمال الفخري الى الأمير قوصون وقام بنصره فأعطاه عشرة آلاف دينار وأمره بحصار أحمد الناصر بن الناصر محمد الى أن وصله كتاب أخيه طشتمر ينكر عليه ما فعل ويؤكد ولاءه لأحمد الناصر ، وقد تولى الفخري بعد ذلك دمشق بعد أن أرسل اليه الناصر أحمد بالنيابة ، وذلك عام ٧٤٢ هـ/١٣٤١ م ، ثم غدر الناصر به وأراد القبض عليه فهرب ولكن اعتقل وأرسل الى القاهرة وقتل هو وطشتمر ، وقد كان الفخري شجاعا مقداما داهية جوادا ، وكان يلقب بالثور المقشر ورفيقه طشتمر بالحمص الأخضر . ابن حجر : الدرر الكامنة ، حـ ٣ ، ص ٢٢١ ص ٢٢٢ .

(١٩٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٤ ، ص ٢٧ .

(١٩٦) وقد كان الوطن الأول لخيال الظل الهند ومنها الى الصين ، وتعتمد صنعة هذا الفن على انعكاس الصورة أو الخيال وذلك عن طريق الضوء والصورة معا ، ويحتاج تبعا لذلك الى مكان محكم يتركز فيه الضوء على التمثيل ، ومع ذلك فقد اتسم بنوع من المرونة في الحركة يجعله صالحا لأن يؤدي في فناء دار أو داخل فسطاط . هذا وتعرف تمثيليات خيال الظل باسم بابات ومفردها بابة . أما طريقة عرض هذه التمثيليات فتتلخص في عمل عرائس تصنع من الجلد والورق المقوى ، وتوضع خلف ستارة بيضاء ومن خلفها مصباح حيث تنعكس ظلالها على الستارة ليراها النظارة من الجهة الأخرى ، وتحتوى العرائس والشخوص على ثقوب ومفصلات تجعلها سهلة الحركة ، ويحركها الذي يقدم البابة ممسكا في يده حسب الحوار الذي ينطق به صاحب البابة . ابراهيم حمادة : خيال الظل ، ص ٣٣ ، عبد الله محمد فتحي حسين : الفنون الشعبية في مصر الاسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٢٨ ، علي ابراهيم أبو زيد تمثيليات خيال الظل ، ط (٢) ١٩٨٣ م ، ص ٤٤ ، المصطفى أحمد المرسي : تطور خيال الظل في

القره كوز التركى ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، م (١٦) ١٩٨٧ ، ص ٣٥ .

(١٩٧) Kahle-Paul : the Arabic Shadow play in Egypt. The Journal of the royal asiatic society por 1940 London, P. 21.

انظر أحمد تيمور : خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة عند العرب ، طبعة دار الكتاب العربي ، ط (١) ١٩٥٧ م ، ص ١٦ .

(١٩٨) ابراهيم حمادة : خيال الظل ، ص ٩ ، صفة الله : الفنون الشعبية رسالة ماجستير ، ص ٢٨ ، ص ٢٩ ، متز : الحضارة الاسلامية ، ص ٢٦٦ .

Lane-Poole : History of Egypt, P. 261.

(١٩٩) الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين محمد (٩٠١ هـ/١٤٩٥ م) صاحب اللقبين ، وقد لقب أولا بالناصر ، ثم لقب بالأشرف بن الملك الأشرف أبي النصر قايتباي المحمودي وهو الثاني والأربعون من ملوك الترك ، وقد كان حسن الشكل ، بعيد الحسد ، ويوصف بالكرم الزائد والشجاعة ، وقد تميز بتقريبه من الأوباش ، واتصف عصره بانتشار الفتن وتشويه المنازعات والحروب . ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ ، ص ٣٢٣ .

(٢٠٠) Kahle : Op. Cit, P. 21.

(٢٠١) هو الظاهر أبو سعيد الجركسي ، كان ساقيا في الدولة الناصرية ثم ترقى فصار أمير عشرة ثم قبض عليه الناصر لكنه أطلق سراحه بعد ذلك واستمر الى أن أعطاه المؤيد امرة عشرة ثم طبلخاناه ثم استقر في وظيفة الحجوبية أيام الأشرف برسباي ، ونقل بعد ذلك الى منصب الأخورية وباشر أنظر الخانقاه الصلاحية ثم تولى أمره سلاح ، وانتقل الى الأتابكية ، وقد مات الأشرف برسباي بعد أن أوصاه على ولده الذي تولى السلطنة من بعده ، الا أن جقمق لم يعمل بالوصية فخلعه واستولى على السلطنة ، وقد كان جقمق عادلا متدينا ، يحترم العلم والفقهاء ، وقد حارب بعض مظاهر الفساد السائدة في عصره نحو ما كان يحدث في سوق الرماحة القاهرة بالحمل ، وما كان يحدث كذلك في مولد السيد البدوي بطنطا ، كما حارب أصحاب الخيال ، لكنه عرف الى جانب ذلك بالاحسان الى الفقراء ، والأيتام ، ومن أهم ما قام به من اصلاحات ترميم وتعمير بعض القناطر نحو قنطرة بني منجا وقنطرة باب البحر : السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ٣ ، من ص ٧١ الى ص ٧٤ .

(٢٠٢) ابن تغرى بردى : منتخبات ، جـ ١ ، ص ١١٧ ، السخاوي : التبر المسبوك ، ص ٢٥٢ .

Kahle : Op. Cit, P.

(٢٠٣) ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٩ حبة الله : الفنون الشعبية ، رسالة ماجستير ، ص ٢٨ ، ص ٢٩ ، احمد رمضان : المجتمع الاسلامي في بلاد الشام ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٠٢ ، سعيد عاشور : اعلام العرب ، ص ١٦٦

(٢٠٤) زغلول سلام : الادب في العصر المملوكي ، ص ٢٩١ ، ابراهيم حمادة خيال الظل ، ص ٥٣ ، ص ٥٤ .

(٢٠٥) حبة الله : الفنون الشعبية ، رسالة ماجستير ، ص ٣٤ .

(٢٠٦) ابراهيم ابو زيد : خيال الظل ، ص ٤٦ ، ومما قيل في تشبيه الحياة الدنيا بخيال الظل :

رأيت خيال الظل أعظم عبرة

لمن كان في علم الحقائق راقي

شخوصا وأصواتا يخالف بعضها

لبعض وأشكالا بغير وفاق

تجيء وتمضي بابة بعد بابة

وتفنى جميعا والمحرك باقي

الأبشيهي : المستطرف ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٥٩٩ ، فؤاد حسنين : قصصنا الشعبي ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٨٠ .

(٢٠٧) انظر قاسم عبده : الشخصيات التاريخية في سيرة الظاهر بيبرس ، مجلة الفنون الشعبية عدد ١٨ ، ١٩٨٧ ، من ص ٢١ الى ص ٣٥ ، فاروق خورشيد : عن كتابة السير الشعبية ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٣٣ ، نبيلة ابراهيم : اشكال التعبير في الأدب الشعبي ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ٩٢ والمؤلفة نفسها الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، الرياض ، ١٩٨٥ م ، ص ١١٥

(٢٠٨) قاسم عبده : بين الأدب والتاريخ ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٧٢ .

(٢٠٩) Carl-brockel man - Carmichae History of the Islamic Peaples, London, 1949, P. 23.

السخاوي : تحفة الأحباب ، ص ٨١ ، رشدي صالح : الأدب الشعبي ، ص ٧٢ ، فاروق خورشيد ، أضواء على السير الشعبية ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١٠٧ ، ص ١٢٦ ، عبد الحميد يونس ، الحكاية الشعبية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٥٨ ، عبد اللطيف حمزه : الادب المصري من قيام الدولة الايوبية الى مجيء الحملة الفرنسية مكتبة النهضة بدون تاريخ ، ص ٢٥٦ الى ص ٢٧٨ .

(٢١٠) انظر المدخل ص ٤٢ .

(٢١١) المقريزى : الخطط ، م ٣ ، ص ٤٩ .

(٢١٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ ، سعيد عاشور : المجتمع المصري : ص ١٠٧ ، عبد اللطيف حمزة : الأدب المصرى ، من ١٩٤ الى ص ٢٠١ .

(٢١٣) انظر (ص ٢٧١) من هذا الفصل ، هامش (١) .

(٢١٤) وقد استعمل الشاعر بأسماء بعض من سور القرآن الكريم ليعبر بها عن لهو هذا السلطان وما يريد من سخرية به وبسيرته ، وفى كلمة الواقعة تورية واضحة بمعناه . شوقى ضيف : الفكاهة فى مصر ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٥٤ ، ص ٥٥ .

(٢١٥) ومن الأشعار التى يرددها المغنى الشاذة بحكه :

نبكى صباح من الهنود حذار من باسه الشديد

أن كان متقوه تصبيرا فان كتبه من حديد

وقد كان المغنى يرد عليه بما يتطلبه من الشعر فى الاشادة بحكه أيضا ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٢٤١ .

(٢١٦) المرجع السابق نفسه والصفحة .

(٢١٧) ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٢٤٢ ، فوزى أمين : المجتمع المصرى ، ص ٣١٥ ، ص ٣٢٦ ، لطفى احمد : وسائل الترفيه ، رسالة ماجستير ص ٣٠٧ ، ص ٣١٨ .

(٢١٨) حاجى بن محمد بن قلاوون المعروف باسم الملك المظفر سيف الدين بن الناصر وقد استقرت ابان حكمه الأحوال الاقتصادية ، فانخفضت أسعار السلع وتوافرت فى الأسواق ، لكنه كان مولعا بالنساء مقبلا على اللهو ، كما كانت علاقته سيئة بالأمراء ، بالرغم من مشاركته للأوباش فى المجالس وخلسة ألعاب المسرحة ، وقد تآمر عليه الأمراء ، واتفقوا على قتله وتولى أخوه الناصر حسن السلطنة من بعده . ابن حجر الدرر الكامنة ، جـ ٢ ، ص ٣ ، ص ٤ ، ص ٥ .

(٢١٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١٠ ، ص ١٦٨ ، والتبان سروال صغير مقدار شبر يكون للملاحين والمصارعين . المصدر نفسه والجزء والصفحة هامش (٢) ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (٣) ، ص ٧٤٠ .

(٢٢٠) المصدر نفسه والجزء ص ٦٤٢ ، سيرة الظاهر بيبرس م (١) ، جـ ٩ ، ص ١٥١ .

(٢٢١) انظر ص ١٩٧ من هذا الفصل ، هامش(٣) .

(٢٢٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٢٥٨ ، لطفي احمد : وسائل التسلية ، ص ٢١٠ .

(٢٢٣) ٨٢٥ هـ/١٤٢٢ م
Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

هو الملك الاشرف برسباى بن عبد الله ابو النصر الدقماقى الظاهرى الجاركسى عمل مع الظاهر برقوق وأصبح ساقيا في دولة الناصر فرج ، وقد تولى منصب امير مائة بعد قتل الناصر فرج ، ثم ولى نيابة طرابلس وعاد بعد ذلك الى القاهرة في صحبة الملك الظاهر ططر الى ان توفى ، فتولى برسباى شئون المملكة ، ثم دخل في صراع مع الامير طرباى فقبض برسباى عليه ، وقد كان ملكا عادلا مهابا حازما ، حاذقا ، لكنه بالرغم من ذلك كان شرها بجمع المال ، ميالا لشراء المماليك ، ويؤثر الجراكسة على غيرهم من الطوائف الاخرى ، وكان يباشر أموال المملكة غالبا بنفسه كما كان خيرا ، تقيا ، واتصف عصره بالاستقرار والرفاهية الاقتصادية ، وأنشأ عددا من المنشآت كمدرسة الاشرفية التى تقع فيما بين القصرين . ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، جـ ٣ ، من ص ١٥٥ الى ص ٢٧٦ . السخاوى الضوء اللامع ، جـ ٣ ص ٨ ، ابن العماد : شذرات ، جـ ٧ ، ص ٢٢٨ ، ابن تغرى بردى : منتخبات ، جـ ١ ، ص ١١٧ ، السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٣٥٢ ، احمد تيمور : خيال الظل ، ص ٢٤ ، سيرة الظاهر بيبرس ، م (١) ، جـ ٩ ، ص ١٠٥ ،
Kahla : Op. Cit., P. 21.

(٢٢٤) المقريزى : السلوك ، جـ ٤ ق (٢) ، ص ٧١٣ ، ص ٧١٤ .

(٢٢٥) انظر الفصل الأول ص ٧٣ هامش (٤)

(٢٢٦) اى اصحاب السير والقصص الشعبية .

(٢٢٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥١ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٦٤ .
Lane-Poole : History of Egypt, P. 351.

(٢٢٨) انظر النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٣ ، ص ١٦٢ الى ص ١٦٩

(٢٢٩) فوزى أمين : المجتمع المصرى ، ص ٢٢٩ ، ص ٢٣٠ .

(٢٣٠) ومن امثلة هذه الالغاز ما قيل في كوز فقاع :

ومحبــوس بلا ذنب جنيــناه   له في السجن ثوب من رصــاص
اذا اطلقتــه وثنيت ارتقــاما   بثيــل شــك من لسرح القلاص

الابشيهي : المستطرف ، طبعة بيروت ١٩٨٦ ، ص ٣٦٦ .
وقيل في شبكة الصياد :

وكثير الأحداق الا أنها عمياء ما لم تنغمس في ماء
وإذا هي انغمست انسابت ربها ما لا ينال بأعين البصراء

وقال آخر في الكرة :

ومضروبة تعدو اذا ما ضربتها وان تركت من شدة الضرب ماتت

النويري : نهاية الأرب ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ ، ص ١٦٩ .
وفي الشطرنج :

يا ذا الذي ما اسم له حالة يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما ثلاث منها لـه شطر

الابشيهي : المستطرف ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩ .

(٢٣١) الاحجبة جمع حجاب وقد اشتهرت بين الطبقات الشعبية ، وأشهر من اشتهر بعملها المغاربة من أهالي تونس والجزائر والمغرب ، ويليهم السودانيون والعادة أن يكتبوها بحبر أحمر او أخضر ثم تطبق الورقة ، ويعلقها في رقبة من أراد ، ويكون الحجاب تحت الثياب ، وقد ألف بعض العلماء كتبا في الأحجبة على اختلاف انواعها كحجاب لشفاء المريض ، وحجاب لقضاء الحاجات وحجاب لتحبيب الزوج في الزوجة وغير ذلك أحمد أمين : قاموس العادات ، ص ٢٥ .

(٢٣٢) عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية ، ص ٦٥ ، ص ٦٦ .

(٢٣٣) شوقي عبد الحكيم : الحكايات الشعبية العربية دراسة نظرية ميدانية ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١٢١ .

(٢٣٤) لعبة النرد تسمى بالفارسية « نردشير » أي أكبر نرد وتنسب الى اردشير بن بابك الذي وضعها ، وهي عبارة عن رقعة مقسمة مثل الشطرنج وهي من العاب الفرس . ياقوت : معجم الادباء ، جـ ٢ ص ١٢٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ ، لطفي أحمد : وسائل الترفيه ، ص ٣٤١ .

(٢٣٥) لعبة الشطرنج عرفها المسلمون منذ عهد الرشيد ، وكانت ادواتها تصنع بدقة متقنة ، وكانوا يلعبون بها على قطعة مربعة حمراء من الجلد . المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٥٢١ ، ص ٥٢٢ ، حورية عبد السلام : الخلافة العباسية ومظاهر الحضارة في بغداد ، ١٩٨١ ، ص ١٢٦ .

(٢٣٦)

والقبح فعل البنج في اللعب ما بدا   والهك عن صوم الفريضة والفطر ،

ترويك من شـــــفع ووتر تتوضــــها   وتلهيك ما لاحت عن الشـــفع والوتر

نوري أمين ، المجتمع المصري ، ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧ .

(٢٣٧) ابن الحاج : المدخل جـ ٤ ، ص ٥٥ .

(٢٣٨) انظر السخاوي : التبر المسبوك ، ص ٢٠ عن أحمد بن عثمان بن محمد شهاب الدين ، ابن حجر : انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٣٢١ عن أحمد بن محمد بن حنا .

(٢٣٩) محمد قنديل البقلي : الطرب في العصر المملوكي ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٩ ، ص ١٠ .

(٢٤٠) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٣٤٦ .

(٢٤١) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ .

(٢٤٢) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ .

(٢٤٣) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ، ص ١٥٤ ، حوادث ٧٧٧ هـ/١٣٧٥ م .

Lane-Poole : Op. Cit., P. 81.

(٢٤٤) ٨٧٣ هـ/١٤٦٨ م .

(٢٤٥) ومما كانوا يرددونه :

نويجي فو المسخرة   يطعمني خبز القرة

ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ .

Lane-Poole Op. Cit., P. 82.

(٢٤٦) ٩٠٤ هـ/١٤٩٨ م

الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه بن قانصوه الأشرفي اصله جركسي الجنس ، اشتراه الأمير قانصوه الألفي وقدمه للسلطان قايتباي ، ثم منحه قايتباي عتقا وقماش وصار من جملة المماليك الجمدارية ، واستمر على ذلك الى ان توفي قايتباي وتولى ابنه السلطنة ، فولى الغوري أمير طبلخاناه وشاد الشراب خاناه ، فعظم أمره وشاع ذكره بين الناس ، ثم تولى منصب الوزارة والاستادار ، ولما قتل الناصر سادت الاضطرابات والفتن ، تولى الغوري منصب السلطنة ولقب بالملك الظاهر أبو سعيد وكان ذلك في عام ٩٠٤ هـ/١٤٩٨ م . ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، طبعة بولاق ١٣١١ هـ ، ص ٣٤٩ ، ص ٣٥٠ .

(٢٤٧) ومن الأغاني التي كانوا يرددونها في أثناء فوران الخمل :

يبيع اللحاف والطراحة حتى أرى ذا الرمحة
يبيع لي لحافي ذي المحل حتى أري شكل المحل

ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٦١ .

(٢٤٨) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٢٢ .

(٢٤٩) ابن تغري بردي : النجوم ، ج ١٤ ، ص ٢٨ .

(٢٥٠) انظر ص ١٩٧ من هذا العمل هامش(٥)

(٢٥١) السخاوي : التبر المسبوك ، ص ٢٢٠ .

(٢٥٢) من منتزهات القاهرة وعرفت بهذا الاسم لأن الأمير أبي الحارث البساسيري قام بقيادة اتباعه من الشيعة الاسماعيلية أو الشيعيين لها بالسيطرة على بغداد وقام بالدعاء للخليفة المستنصر الفاطمي من فوق منابر بغداد ، فلما وصل الخبر القاهرة فرح الخليفة المستنصر وزينت القاهرة فوقفت نسب طبالة المستنصر وكانت امرأة تقف تحت القصر في المواسم والأعياد وحولها طائفتها وهي تضرب بالطبل ، فلما عرفت ذلك قالت :

يا بني العباس ردوا ملك الأمر معد
ملككم ملك معار والعواري تسترد

فأعجب المستنصر بها وأعطاها الأرض المجاورة للمقس وأطلق عليها حينئذ أرض الطبالة - المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ وما بعدها .

(٢٥٣) المصدر السابق نفسه والجزء ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٠٤ .

(٢٥٤) انظر الفصل (ص ٧٣) هامش (٤) .

(٢٥٥) الأخصاص والتي تقوم مقامها في أيامنا الشاليهات والكبائن ، سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ٢٠٣ .

(٢٥٦) المقريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

(٢٥٧) عرفت بذلك لوقوعها بين الروضة وبولاق وبين القاهرة والجيزة ، المقريزي : الخطط ، ج ٣ ص ٢٠٢ .

(٢٥٨) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ١١٠ ، المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ ، وما بعدها .

(٢٥٩) يرجع سبب حفره الى أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أنشأ القصور والخانقاه اختار أن يحفر خليجا من بحر النيل لمرور المراكب التي تحمل الغلال اليه ، فأمر نائب السلطنة بحفر الخليج وهدم ما كان هناك من الأملاك التي من جهة باب اللوق ، وانتهى العمل وجرى الماء فيه ، فسر السلطان بذلك وأخذ الناس في العمارة على حافتي الخليج وكثرت وتنافس الناس في المسكن ، فكانت هناك العمارات والمساجد والأسواق وصار هذا الخليج مواطن الراح ومنازل لهو . المقريزي : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ .

(٢٦٠) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ ، زغلول سلام : الأدب في العصر المملوكي ، ص ٨٠ ، ص ٨١ .

(٢٦١) انظر الفصل الأول ، ص ٦٨ ، هامش (٣) .

(٢٦٢) الأزبكية نسبة للأمير أزبك ، وكان من أجل الأمراء قدرا وأعظمهم ذكرا وكان شجاعا قوي الشكيمة ، ويرجع في أصله الى مماليك الظاهر جقمق اشتراه وأعتقه وتولى بعد ذلك عدة وظائف جليلة بالقاهرة ، ومرت به بعض الشدائد والمحن وتعرض للنفي عدة مرات ، وقد أنفق أموالا طائلة على انشاء الأزبكية في عام ٨٨١ هـ/١٤٧٦ م وكانت قبل ذلك بستانا كبيرا غربي الخليج ثم تحولت الى بركة الى أن عمرها الأمير ازبك بعد ذلك . علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٦٦ .

(٢٦٣) تعتبر من جملة أرض الطبالة ، وكان في شرق هذه البركة شخص يصنع الأرطال الحديد فأطلق عليها بركة الرطلي ، ثم بنى الناس الدور حول البركة وصارت المراكب تدور في البركة تحمل الناس وقد تظاهروا بأنواع المنكرات من شرب الحشيش وتبرج النساء واختلاطهن بالرجال ، وقد تلاشى أمر هذه البركة في عام عام ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م :

المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٤ .

(٢٦٤) سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص ٣٢٠ .

(٢٦٥) القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٤٠ ، محمد حمزة : قرافة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٢١٤ ، لطفي أحمد : وسائل الترفيه ، ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ .

(٢٦٦) المقريزي : الخطط ، جـ ٤ ، ص ٣١٩ ، محمد حمزة : قرافة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ص ٢١٤ .

(٢٦٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ، ابن قاضى شهبة : تاريخ ابن قاضى شهبة ، م (١) ، جـ ٣ ، دمشق ١٩٧٧ ، ص ٣٨٣ ، ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ١٧ .

(٢٦٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٣٥ ، محمد حسن : الأسرة المصرية ، رسالة ماجستير ، ص ٨٩ .

(٢٦٩) زكى مبارك : التصوف الاسلامى ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣ .

(٢٧٠) هو الشيخ محمد وفا كان من أكابر العارفين واطلق عليه اسم وفا لأن النيل لم يزد فى سنة من السنين فجاءت اليه الناس أفواجا فذهب الى النيل وقال « اطلع باذن الله فطلع ذلك اليوم سبعة عشر ذراعا واوفى » فسموه وفا ، وله مؤلفات كثيرة منها كتاب العروس وكتاب الشعائر كما له ديوان عظيم ومؤلفات أخرى .

الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ، ص ١٩ ، ص ٢٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٦ .

(٢٧١) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق (٢) ، ص ٦ .

(٢٧٢) ابن حجر : انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٢٢١ .

(٢٧٣) هو الشيخ نجم الدين أبى الغنائم ، محمد بن الشيخ الصالح تقى الدين أبى بكر الشافعى المشهور متصلم ، ولد بقرية من قرى فارسكور بالوجه البحرى ، عكف على حفظ القرآن وأتم الاشتغال بالعلم ثم بمعرفة الطريقة ، اشتهر بالاخلاص ، فاقبلت عليه مختلف الطبقات ، ورحل الى القاهرة ، وعاش فيها الى أن توفى فى عام ٦٨٣ هـ/١٢٨٤ م . السخاوى : تحفة الأحباب ، ص ٢١ ، ص ٢٢ .

(٢٧٤) المصدر نفسه ، ص ٢١ ، ص ٢٢ .

(٢٧٥) المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٠٣ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ٢٣٦ .

(٢٧٦) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٩ .

(٢٧٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٧٦ .

(٢٧٨) ابن حجر : انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٢٧٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .

(٢٨٠) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٣٧ .

(٢٨١) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ق (٢) ، ص ٥٧٦ ، ابن حجر : انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٢٥٠ ، ص ٣٥١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١١ ، ص ٣١٥ .

(٢٨٢) زكى مبارك : التصوف الاسلامى ، جـ ١ ، ص ٣٦٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٢٨ .

(٢٨٣) المرجع السابق نفسه والجزء ، ص ٢٨٩ ، محمد قنديل البقلى ، الطرب فى العصر المملوكى ، ص ٢٨ ، محمد الجوهرى : علم الفلكلور ، جـ ٢ ، القاهرة دار المعارف ١٩٨٠ ، ص ٩٦ ، ص ٩٧ .

(٢٨٤) المسكى : معيد النعم ، ص ١١٠ ، ص ١١١ ، محمد حسن : الاسرة ، رسالة ماجستير ، ص ٨٩ .

(٢٨٥) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٣٩ .

(٢٨٦) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ق (٢) ، ص ٦٤٩ ، ص ٦٥٠ .

(٢٨٧) ابراهيم جزينى : شرح ديوان بهاء الدين زهير ، طبعة بيروت ١٩٦٨ ، ص ٦ .

(٢٨٨) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٢٤٧ .

(٢٨٩) انظر ص ١٦٣ من هذا الفصل حاشية (٣) .

(٢٩٠) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ١٢ ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٤ ، السخاوى : تحفة الاحباب ، ص ٥٥ .

(٢٩١) السخاوى : تحفة الاحباب ، ص ٣٥ .

(٢٩٢) انظر الفصل الاول ص ٩٦ .

(٢٩٣) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٢٣٧ .

(٢٩٤) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٣٩ .

(٢٩٥) الطيرة والطورة ، وقد تطيرت به واطيرت ، طائر الله لا طائرك ولا تقل لا طيرك ، وقال البعض رفعوه على اراده هذا طير الله عليه بمعنى الدعاء ، والفأل جمعه فئول وقيل الفأل فى الخير والطيرة فى الشر . ابن سيدة : المخصص ، جـ ١٣ ، ص ٢٤ ؛ انظر أيضا النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٩ ، سعد

الخادم : الفن الشعبي والمعتقدات المـــــصرية ، بدون تاريخ ، ص ١٢٩ ، محمد الجوهري : علم الفلكلور ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ ، احمد امين : قاموس العادات ، ص ١٢٤ .

(٢٩٦) فوزى امين : المجتمع المصرى ، ص ٢٥٠ .

(٢٩٧) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ .

(٢٩٨) ابن تغرى بردى : منتخبات ، جـ ٢ ، ص ٥٢١ .

(٢٩٩) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٠١ ، ص ١٠٢ .

(٣٠٠) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ١٧٢ ، ص ١٧٣ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٤٠ ، ص ٢٤١ .

(٣٠١) زغلول سلام : الادب فى العصر المملوكى ، ص ٨٧ .

(٣٠٢) انظر احمد امين : قاموس العادات والتقاليد ، ص ٢٨٠ ، ص ٢٨١ .

(٣٠٣) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ ، ابراهيم حماده : خيال الظل من ص ٢٠٨ الى ص ٢١٠ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٤١ ، ومن الطالع انظر احمد امين : قاموس العادات والتقاليد ، ص ٢٧٥ ، ص ٢٧٦ .

(٣٠٤) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ ، فوزى امين : المجتمع المصرى ص ٢٥١ ، محمد الخادم : الفن الشعبى ، ص ٢٤ ، ابراهيم حماده : خيال الظل ، ص ٢٠٨ الى ص ٢١٠ .

(٣٠٥) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .

(٣٠٦) حفيظة رمضان : كلمة تطلق على الأحجبة وغيرها للاحتراز من الجن والحسد . احمد امين : قاموس العادات ، ص ١٦٦ .

(٣٠٧) السخاوى التبر المسبوك ، ص ٢١٨ .

(٣٠٨) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ١١٣ ، ص ١١٤ .

(٣٠٩) زكى مبارك : التصوف الاسلامى ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ .

(٣١٠) المرجع السابق نفسه والجزء والصفحة .

(٣١١) ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ .

(٣١٢) انظر ص ١٨٣ وما بعدها من هذا الفصل .

(٣١٣) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٥٤ الى ص ٥٧ ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢٣٩ ، ص ٢٤٠ ، ومن البدع انظر الطرطوشى : كتاب الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالبى ، تونس ، ١٩٥٩ م .

الخاتمــة

وبعد ، فقد عرضت فى هذه الدراسة للطبقات الشعبية فى القاهرة فى عصر دولة المماليك فى الفترة المشار اليها (٦٤٨ هـ — ٩٢٣ — ١٢٥٠ م — ١٥١٧ م) متتبعة ظروف هذه الطبقات واحوالها من كافة جوانبها المختلفة وعلاقتها بالحكام والسلاطين ، وانتهيت من هذه الدراسة الى أن مدينة الفسطاط كانت اكبر مركز لتجمع هذه الطبقات الفقيرة . وكان جامع عمرو بن العاص أحد الأماكن التى تواجدت بها تلك الطبقات ، وبقدوم بدر الجمالى امير الجيوش سمح للطبقات الشعبية بسكنى القاهرة وبعد ذلك تغير الوضع ابان العصر الأيوبى فأصبحت القاهرة مركزا للطبقات الشعبية . وفى العصر المملوكى لعبت الاسواق دورا كبيرا كاحد الأماكن التى تواجدت فيها الطبقات الشعبية ليس بهدف البيع والشراء فحسب ولكن من اجل العمل والتنزه كما كانت الأسواق بمثابة كيان جامع لمختلف مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية آنذاك . وقد ضمت الأسواق بعض الرباع التى كانت مخصصة لسكنى الطبقات الشعبية كحى البندقانيين ، وحى السبع خوخ العتيق الذى ضم عدة مساكن للأباريين . ويعتبر حى الحسينية من الاحياء الشعبية التى كانت مكتظة بالطبقات الشعبية ويليه من حيث نسبة تواجد هذه الطبقات حى باب اللوق وحى بولاق ، وتمد القرافة من

الأحياء التى تواجدت فيها هذه الطبقات بصورة كبيرة ، كذلك ضمت القياسر عدة رباع كانت مخصصة لسكناها .

ومن الناحية الاقتصادية فقد كشفت الدراسة بجلاء عن الدور الاقتصادى الذى لعبته الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى من خلال اشتغالها بمختلف الحرف الاساسية .

وكان من الأسباب التى دفعت الأثرياء الى اقامة الأسبلة فى القاهرة على عصر المماليك رغبتهم فى التكفير عن ذنوبهم وخطاياهم من خلال هذا المظهر من مظاهر البر والاحسان ، الى جانب رغبتهم فى اجتناب ايذاء الطبقات الشعبية لهم فى اثناء تمردهم فى مواجهة تدهور أحوالهم الاقتصادية .

وتجدر الاشارة الى ان الموقف الرسمى للدولة المملوكية من حرفة البغاء كان مرتبطا بالظروف الاقتصادية والاجتماعية وطبيعة من يتولى السلطنة ، فعندما ينقص منسوب مياه النيل يسود اعتقاد بأن ذلك مرجعه الى غضب من الله سبحانه وتعالى على الرعايا لانتشار الرذيلة والفساد ، وحينما يتولى سلطان جديد السلطنة تصدر بعض القرارات لاسترضاء الرعايا منها الغاء الضريبة المفروضة على مهنة البغاء .

وقد كشفت الدراسة أيضا أن البعض من الطبقات الشعبية زاولوا التجارة وان كانت فى أضيق الحدود كما لجأ بعضهم الى قرض الشعر كوسيلة للتكسب ، الى جانب مزاولة حرفتهم الرئيسية .

وفيما يتعلق بنظام طوائف الحرف فى العصر المملوكى فقد عاد هذا المشروع بفوائد متعددة على الطبقات الشعبية ، اذ قامت هذه

الطوائف بدور المؤسسات الاجتماعية التى ترعى الحرفيين وتنظم أحوالهم ، وتقدم العون لهم فى حالات العجز والافلاس ، كما كان لها دور رقابى تمثل فى وجود المحتسب ودوره فى الاشراف على الأسواق ، كما تولت الطوائف ايضا الدفاع عن الحرفيين أمام أصحاب الصناعات والحرف بغية تحسين أوضاعهم الاقتصادية والحفاظ على حقوقهم المهنية .

وقد استشرت فى دولة المماليك وبخاصة فى عصرها الثانى ظاهرة تولى بعض الوظائف من طريق الرشوة أو ما كان يطلق عليه فى ذلك العصر « البذل والبرطلة » ، وقد أصبحت هذه الرشوة حقا مكتسبا بعد ذلك بحيث أصبح التأخر عن دفعها يعرض باذلها للسجن والعقاب وكان من يصيبه الثراء من الطبقات الشعبية بطريقة أو بأخرى يستطيع بفضل ما له أن ينتقل الى طبقة الحكام لفساد الادارة فى أواخر تلك العصر . على أن هذه الحالات كانت فردية ولا يمكن تعميمها على الطبقات الشعبية فى تلك الآونة .

وفيما يتعلق بالتمردات المتعددة التى قامت بها الطبقات الشعبية فى العصر المملوكي — الشطار — العياريون — الحرافيش — الزعر — العياق — المناسر — فقد كان وضعهم الطبقى وبخاصة حالتهم الاقتصادية والتى تعتبر المحرك الأول والمهم فى انتفاضاتهم ضد السلاطين والأمراء ، لم يكن من القوة بحيث يؤثر فى تغيير الأوضاع . فقد نظر السلاطين الى هؤلاء نظرة احتقار وتعال ؛ وعلى أنها طبقة لا يهتم بها أو ينظر اليها ، فقد كان جل اهتمامهم بأنفسهم ومماليكهم ومتعتهم دون مراعاة هؤلاء ونسوا تماما أنهم جزء لا يتجزأ من الشعب المصرى .

والجدير بالذكر أن الحرافيش والزعر والعياق والمناسر مترادفات لمسمى واحد اندرجوا تحته وذلك من خلال اشتراكهم فى

اشـــــياء لا يمكن ان تبعد عنهم او تحزا منهم كتدهور احـــوالهم الاقتصادية والاجتماعية وممارسـة اعمال السلب والنهب .

وقد لاحظنا ان التصوف فى تلك الفترة قد حظى بقبول مختلف طبقات الشعب حيث وجدوه ملاذا الى الله جل وعلا يخففون به من آلامهم وخاصة ابان الازمات التى تعتريهم وقد شجع الســـلاطين والامراء على اقامة الخوانق والربط والزوايا فى كل مكان ، وذلك فى محاولة منهم لامتصاص تذمر الفقراء والمحتاجين الذين كانوا يشكلون خطرا كبيرا على سلطانهم واملاكهم .

وعلى الصعيد الاجتماعى فقد أوضحت الدراسة أن الاحتفالات والاعياد التى شاركت فيها الطبقات الشعبية كانت متنفسا لها من المعاناة والفقر والفاقة التى كانت تحياها الطبقات الشعبية فضلا مما كانت تحصل عليه هذه الطبقات الفقيرة من عطايا السلاطين .

وكما نعرف فقد كانت بعض هذه الأعياد تعكس موقف الطبقات الشعبية من سلاطين المماليك وطبقة الأغنياء التى كانت تتعرض للسلب والاعتداء ، وربما كان مرجع ذلك الى احساس الطبقات الشعبية بأن السلاطين والاغنياء هم السبب فى تدهور اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية . ولذلك فقد كان سلاطين المماليك يحرصون دائما على ارضاء الطبقات الشعبية والعطف عليهم والتودد لهم فى محاولة منهم لامتصاص سخطهم واظهار ما لدى ولى الامر من تقوى وصلاح حتى تجب طاعته .

الفهـــرس

الموضــوع **الصفحة**

صدر من هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ ،
د٠ عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
٢ ـ علي ماهر ،
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧
٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة ،
د٠ محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
٥ ـ غارات اوروبا على الشواطئ المصرية فى العصور الوسطى
علية عبد السميع الجنزورى ، ١٩٨٧
٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٧
٧ ـ صلاح الدين الأيوبى ،
د٠ عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية ،
د٠ علي بركات ، ١٩٨٧
٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د٠ محمد أنيس ، ١٩٨٧
١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزى ، ١٩٨٧
١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٧
١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير ،
د٠ نبيل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ـ الثنوية الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونيـة ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسـلامى ،
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ـ فصـول من تاريخ حركة الاصـلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعيـة الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القـاهرة المملوكية ،
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ـ مصر القديمـة وقصة توحيد القطرين ،
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسـلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،
د. محمـد انيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،
د. توفيـق الطويـل ، ١٩٨٨

٢٢ ـ تطـورات فى تاريخ مصـر ،
جمـال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ـ التصـوف فى مصر ابان العصر العثمـانى ج ٢ ، امـام التصوف فى مصر : الشعرانى ،
د. توفيـق الطويـل ، ١٩٨٨

٢٤ ــ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ــ ١٩٣٦) ،
د. نجوى كامل ، ١٩٨٩

٢٥ ــ المجتمع الاسلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين : ترجمة : د. احمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩

٢٦ ــ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩

٢٧ ــ فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٨ ــ فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٩ ــ مصر فى عصر الاخشيديين ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩

٣٠ ــ الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩

٣١ ــ خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٩

٣٢ ــ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩

٣٣ ــ مصر وقضايا الجنوب الافريقى : نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩

٣٤ ــ تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د. يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ ــ اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠
٣٦ ــ المجتمع الاسلامى والغرب ، جـ ٢ ،
تاليف : هاملتون بروين : ترجمة : د. احمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠
٣٧ ــ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
٣٨ ــ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
٣٩ ــ قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ ــ ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
٤٠ ــ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠
٤١ ــ محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١
٤٢ ــ تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠
٤٣ ــ رحلة فى عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
٤٤ ــ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩١
٤٥ ــ الحروب الصليبية ، جـ ١ ،
تاليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم د. حسن حبشى ، ١٩٩١

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٧) ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث ،
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى ،
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١

٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٣

٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) أعدها للنشر .
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر :
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ـ أربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ـ الحروب الصليبية ج ٢ ،
تأليف : وليم الصورى : ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم المنوفية ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٢

٥٧ ــ مصر الإسلامية وأهل الذمة ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢
٥٨ ــ احمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،
د. ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣
٥٩ ــ الرأسمالية الصناعية فى مصر ، من التمصير الى التأميم (١٩٥٧ ــ ١٩٦١) ،
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
٦٠ ــ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣
٦١ ــ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
٦٢ ــ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣
٦٣ ــ موسوعة تاريخ مصر عبد العصور : تاريخ مصر الإسلامية،
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، اعدها للنشر : د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
٦٤ ــ مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة وثائقية ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
٦٥ ــ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ــ ١٩١٧)
سهام نصار ، ١٩٩٣
٦٦ ــ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣
٦٧ ــ مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ ـ الحروب الصليبية ، ج ٣ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة : وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ ـ ١٩٥١) ،
د. محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ ـ أهل الذمة فى الاسلام ،
تأليف : آدمس ترتون ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ ـ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) ،
أمينة أحمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ ـ تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، فى العصر الفرعونى
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ ـ أهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،
د. سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتلال البريطانى) ،
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ ـ الحروب الصليبية ، جـ ٤ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٤
٧٨ ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،
نعمات احمد عثمان ، ١٩٩٥
٧٩ ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دى يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٥
٨٠ ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥
٨١ ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر اكتوبر ،
د. رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥
٨٢ ـ مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤
٨٣ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤
٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ٢ ، القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥
٨٥ ـ تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،
د. حلمى احمد شلبى ، ١٩٩٥
٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،
د. احمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن ، ج ١ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ، اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ، عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ، د. عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ، د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ، تاليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ج ٢ ، نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ، د. نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ، ج ٢ ، د. سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ مصر وافريقيا .. الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة ، (ابحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة) ، أعدها للنشر ، د. عبد العظيم رمضان

٩٦ ــ عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ــ ١٩٧٠)،
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ ــ العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ،
د٠ ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ ــ هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د٠ محمد سيد محمد

٩٩ ــ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ــ الرومانى) جـ ٢ ،
د٠ سمير يحيى الجمال

١٠٠ ــ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،
أ٠ د٠ عبد العزيز صالح ، أ٠ د٠ جمال مختار ،
أ٠ د٠ محمد ابراهيم بكر ، أ٠ د٠ ابراهيم نصحى ،
أ٠ د٠ فاروق القاضى ، اعدها للنشر : أ٠ د٠ عبد العظيم رمضان ٠

١٠١ ــ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ــ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ــ ١٩٥٢ ،
د٠ تيسير ابو عرجة

١٠٣ ــ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره ،
د٠ على بركات

١٠٤ ــ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ــ ١٩٥٢) ،
د٠ فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر والقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ـ ١٩٨٧) ،
د. أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، ج ٢ ،
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الإسلامية فى العصر الحديث ،
تأليف : دليب هيرو ، ترجمة : عبد الحميد الجمال

١٠٨ ـ مصر للمصريين ، ج ٤ ،
سليم خليل النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين ، ج ٥ ،
سليم خليل النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ١ ،
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ـ مصادر الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ٢ ،
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ اسماعيل باشا صدقى ،
د. محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى) ،
د. اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ،
أحمد رشدى صالح

١١٥ ــ مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٣ ،
أحمــد شفيق باشــا
١١٦ ــ اديب اسحق (عاشق الحرية) ،
عــلاء الدين وحيــد
١١٧ ــ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ــ ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى
١١٨ ــ النظم المــالية فى مصر والشام زمن سلاطين المماليك ،
د. البيومى اسماعيل الشربينى
١١٩ ــ النقابات فى مصر الرومانية « دراسة وثائقية »
حسين محمد أحمد يوسف
١٢٠ ــ يوميات من التاريخ المصرى الحديث (١٧٧٥ ــ ١٩٥٢) ،
لويس جرجس
١٢١ ــ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ــ ١٩٥٤) ،
محمد عبد الحميد الحناوى
١٢٢ ــ مصــر للمصــريين ج ٦،
سليم خليل النقاش
١٢٣ ــ السـيد احمـد البدوى ،
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
١٢٤ ــ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن ،
د. محمد نعمــان جلال
١٢٥ ــ مصــر للمصــريين ج ٧ ،
سليم خليل النقاش
١٢٦ ــ مصــر للمصــريين ج ٨ ،
سليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨) ،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم

١٢٨ ـ معــارك صحفيــة ،
جمـــال بدوى

١٢٩ ـ الدين العـام (وأثره فى تطور الاقتصـــاد المصـــرى)
(١٨٧٦ ـ ١٩٤٣) ،
د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧) ،
سـمير فريـد

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)،
تأليف : جايل ماير ، ترجمة : د. عبد الرءوف أحمد عمرو

١٣٢ ـ دار المثلوب السـامى فى مصر ج ١ ،
د. ماجدة محمـد محمود

١٣٣ ـ دار المثلوب السـامى فى مصر ج ٢ ،
د. ماجدة محمـد محمود

١٣٤ ـ الحملة الفرنسـية على مصر فى ضـوء مخطوط عثمـانى للدارندلى ،
بقلم : عزت حسن أفندى الدارندلى ، ترجمة : جمال سعيد عبد الغنى

١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكيـة (فى ضـوء وثائـق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)
د. محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ أوراق يوسـف صـديق
تقديم : أ. د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ ـ الاخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والارهاب فى مصر ،
السيد يوسف

١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين ،
بقلم : محمد قابيل

١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥ هـ/١٨١١ ـ ١٨٤٨ م ،
طارق عبد العاطى غنيم بيومى

١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك فى مصر ،
لطفى احمد نصار

١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٤ ،
احمد شفيق باشا

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والاول ق.م. ،
د. منيرة الهمشرى

١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩)
عبد العليم خلاف

١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥ م)
د. منيرة الهمشرى

١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية ،
د. احمد عبد الرازق

رقم الإيداع ١٩٩٩/٨٤٦٩

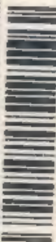
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 6147 — 0

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة

هذا الكتاب الذى بين أيدينا يتكون من ثلاثة فصول، وقد مهدت له المؤلفة بمدخل استعرضت فيه أوضاع الطبقات الشعبية فى القاهرة فى العصرين الفاطمى والأيوبى.

ففى الفصل الأول تناولت تجمعات الطبقات الشعبية بالقاهرة المملوكية، فتحدثت عن الأسواق والوكالات والمساجد والخانقاوات ومجالس الذكر وأحياء الطبقات الشعبية. أما الفصل الثانى فتناولت فيه الأوضاع الاقتصادية للطبقات الشعبية، وسياسة الدولة حيالهم، وأخيراً تناولت فى الفصل الثالث عادات وتقاليد الطبقات الشعبية فى مصر المملوكية، فتحدثت عن الاحتفالات والأعياد الدينية للمسلمين والنصارى واليهود.

والكتاب بذلك يرسم صورة بانورامية للطبقات الشعبية فى العصر المملوكى.



٤٠٠ قـرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب